



Bibliotheca Alexandrina



0115914

كِتَابُ السُّلُوكِ

لِمَعْرِفَةِ دُولِ الْمُلُوكِ

أحمد بن علي المقرئ

الجزء الأول - القسم الأول

الهيئة العامة للكتاب - الإسكندرية	
رقم التصنيف	١٥٩٠
رقم التسجيل	١٥٩٠ / ١٥٩٠

صحة وضع حواشي

محمد مصطفى زيادة (D. Phil.)

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة

تصدير الطبعة الثانية

للقسم الأول من الجزء الأول من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

للمقرئ

قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن أقوم على مراجعة هذا القسم الأول من الجزء الأول من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئ ، نزولاً على رغبة واسعة في إيجاد طبعة ثانية منه ، بعد نفاذ الطبعة الأولى منذ ستين . ولا شك عندي أن الحاجة العلمية التامة هي التي حثت بالجنة إلى تقرير إعادة طبع هذا القسم ، قبل إعداد قسم جديد مما لا يزال مخطوطاً حتى الآن من هذا الكتاب الطويل .

وأود التنبيه هنا إلى محافظتي في هذه الطبعة الثانية على أرقام الصفحات والخواشي وترتيب الفقرات ، كما هي في الطبعة الأولى ، ولذا اقتصرت التعديلات والتصحيحات الجديدة على إحلال لفظ صحيح محل لفظ غلط ، أو إبدال عبارة سليمة بعبارة غير سليمة ، وهذا وذلك في ضوء ما وصل إلي من أنواع النقد إبان ظهور الطبعة الأولى ، وما عثرت عليه بنفسى أثناء المراجعة . وأخص بالشكر هنا صديق الدكتور مصطفى جواد ، الأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد ، إذ أمدني مشكوراً بقائمة من المواضع التي احتاجت إلى إعادة النظر في بعض حقائق المتن والخواشي ، كما أمدني بملاحظات علمية دقيقة لتصحيح تلك المواضع ، وكان ذلك سنة ١٩٣٦ . وأرجو أن أكون أفدت الفائدة الكاملة من ملحوظاته ، وأن أكون أودعت هذه الطبعة الثانية جميع هذه الملحوظات . وأسدي الشكر هنا لتلميذي السابق وزميلي الحالي الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، مدرس المصنوع الوسيط بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، لقيامه على تصحيح بروقات هذا القسم ، كما أسدي الشكر العام كذلك إلى جميع تلاميذي الذين بدأبوا على مساعدتي بالنقد الطيب ، والمطالبة الحميدة بإكمال القيام على طبع الأجزاء الباقية من هذا الكتاب ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم بإخراج القسم الثالث من الجزء الثاني منه في المستقبل القريب ؟

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة في سبتمبر ١٩٥٦
مصر ١٣٧٦

تصدير الطبعة الأولى

للقسم الأول من الجزء الأول من كتاب السلوك

يرجع تفكيرى فى وجوب نشر هذا المؤلف إلى سنة ١٩٢٧ ، حين كنت أعدّ بحثاً لنيل الدكتوراه ، من جامعة لُترْبُولْ فى موضوع " العلاقات الخارجية للدولة المصرية فى القرن الخامس عشر ، (Foreign Relations of Egypt in the Fifeenth Century) " أى القرن التاسع الهجرى تقريباً . قَصَّذْتُ إلى الإحاطة بمؤلفات المؤرخين المصريين فى ذلك القرن ، واستوعبت معظم الموجود من مؤلفاتهم ، فى التاريخ وغيره ، مطبوعة أو مخطوطة ؛ وقرأت ما استطعت أيضاً من مؤلفات كُتَّاب القرنين الثامن والعاشر الهجريين . وخرجت من ذلك لليدان الفسيح ، معتقداً ومؤمناً ، بأن صاحب الصدارة بين تلك المؤلفات جميعاً ، من الوجهة التاريخية ، هو كتاب " السلوك لمحنة دول الملوك " ، لمؤلفه القرزى ، المولود بالقاهرة سنة ٨٧٦٦ هـ (١٣٩٤ م) ، وللتوفى بها سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) .

ثم كان أن تحدّثت يوماً مع الأستاذ هـ . أ . ر . جيب (H. A. R. Gibb) أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن ، فى مؤلفات المؤرخين للمصريين ، الذين عاشوا وكتبوا فى القرن التاسع الهجرى ، وفيما يعترض فأرى المخطوطات منها — وهى القسم الأكبر عدداً — من المعثرات والصعوبات ، فسرتنى قوله إن من أولى تلك الكتب بالطبع والنشر ، كتاب السلوك ، إذ وافق قوله رأيى فى ذلك المؤلف^(١) .

حضرت بعدئذ إلى مصر ، والتحقّت بوظيفة مدرّس للتاريخ ، فى كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٠ ، فطلعت أنلّس الوسائل وأنجّين القرص ، للعمل فى نشر ذلك الكتاب ، حتى علّتْ أنْ " لجنة التأليف والترجمة والنشر " تفكر فى إخراجه ، بمعاونة

(١) أنجز هذه الفرصة لأشكر للأستاذ جيب ، ما أسداه إلى من الاقتراحات إبّان بدئى العمل فى هذا الكتاب .

وزارة المعارف العمومية . ومن هذا نتج القسم الأول من الجزء الأول ، الذي تخرجه اللجنة اليوم . وإني مبادر هنا ، بربأئي إلى العاملين على إحياء النصوص التاريخية المصرية ، أن يقولوا كلمتهم في هذا النحو الذي طُبع عليه القسم الأول ، وأن يمدوني بنقدكم وملاحظاتهم .

ليس هذا التصدير مجال الترجمة للمقريزي ، أو الإضافة في تحليل كتابه السلوك ؛ وحسبي هنا التعريف بهما في كلمات قليلة ، لأتفرغ بعدُ لبيان الطريق الذي سلكته في إخراج هذا القسم .

أما أحمد بن علي المقريزي ، فلا خلاف في تبوئه صدارة المؤرخين المصريين ، في النصف الأول من القرن التاسع الهجري . ويكفي دليلاً على هذا أن فطاحل ذلك الجيل من المؤرخين في مصر ، كانوا تلاميذ المقريزي ، مثل أبي الحسن يوسف بن تترى بردى ، مؤلف كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة^(١) ، ومحمد بن عبدالرحمن السخاوي ، صاحب كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك^(٢) ؛ وأن أحمد بن حجر المسفلائي ، وبدر الدين محمود السيفي ، لم يوجها كل عنايتهما إلى التاريخ ، كما فعل المقريزي ، بل كما محدثين أكثر منهما مؤرخين .

ولا خلاف أيضاً في استحقاق كتاب السلوك أن يحل الأول ، بين كتب التاريخ في عصره . وقد كتبه المقريزي ليكون خاتمة مؤلفاته في تاريخ مصر : إذ ألف "كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط" ، في تاريخ مصر من الفتح العربي إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية ؛ و "كتاب انماض الحيفا بأخبار الخلفاء" ، في تاريخ مصر زمن الخلفاء الفاطميين ، (انظر ص ٩ ، حاشية ١ ، ٢) ؛ ثم رأى أن يصل "ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبيين ، والسلاطين المماليك التركية والجركية" ، إلى زمنه ، في مؤلف مستقل ، وسماه "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" (انظر ص ٩ ، سطر ١ - ١٠) .

(١) أخرجت جامعة كاليفورنيا الأمريكية شطراً من هذا الكتاب ، في سبعة أجزاء ، (انظر نيت الراجع العربية ، تحت اسم ابن تترى بردى ، صفحة ح) ؛ وتدأب دار الكتب المصرية ، منذ سنة ١٩٢٩ ، في إخراج طبعة كاملة له ، ظهر منها حتى الآن الأجزاء الأربعة الأولى .

(٢) طبع هذا الكتاب في بولاق ، سنة ١٨٩٦ .



يقع هذا الكتاب ، كارتبه للقرنيزى ، فى أربعة أجزاء ؛ وتوجد منه نسخ خطية عديدة ، كاملة وناقصة ، بعضها مجلد فى أربعة أجزاء ، وبعضها فى أكثر من ذلك . وأكبر هذه قيمة ، النسخة الأصلية الأولى ، التى خطها المؤلف بيده ، ومن هذه يوجد الجزء الأول ، من أربعة أجزاء ، بمكتبة يكي جامع بالآستانة ، تحت رقم (٨٨٧) .

وتحوى مكانب الآستانة عدة نسخ أخرى ، متفاوتة فى تاريخ كتابتها ، وفى عدد أجزائها : فى مكتبة الفاتح نسخة فى إحدى عشرة مجلدة ، تنقصها الأولى والمباشرة ، كتبت سنة ٨٨٠ هـ ، وأرقامها (٤٣٨١ — ٤٣٩٠) ؛ وهى أقدم النسخ المعروفة ، وتتلو النسخة الأصلية فى القيمة . وبالمكتبة نفسها نسخة أخرى ، فى أربعة أجزاء كاملة ، أرقامها (٤٣٧٧ — ٤٣٨٠) وفى مكتبة أيا صوفيا نسختان كاملتان ، كل منهما فى أربعة أجزاء ، كتبت إحداهما سنة ٨٨٣ هـ ، والثانية سنة ٨٩٤ هـ ، وأرقامها (٣٣٦٩ — ٣٣٨٦) . وفى مكتبة عاشر حفيد ، الجزء الأول من نسخة ، ذات أربعة أجزاء ، رقمها (٢٤٧) . وفى مكتبة كوبرلى جزء واحد ، من نسخة مختلفة فى تقسيمها عن الصنفين الآخرين ، ويرجع أنها كتبت فى ثمانية أجزاء ، ورقها (١١٣٧)^(١) .

يوجد عدا ذلك ، من مخطوطات السلوك ، نسخ مبثورة فى شق المكاتب والمتاحف الأوربية : منها بالمتحف البريطانى فى لندن ، الجزءان الثانى والرابع من نسخة ذات أربعة أجزاء ، (British Museum Mss. Or. 2902, 9542) ، وفى مكتبة بودليان بأكسفورد نسخة كاملة ، (Bibliotheca Bodleiana, Codicum Manuscriptorum Orientalium, Catalogus a Joanne Uri confectus' Oxonii, DCLXXXIX, DCCXXIV, DCCCXXIX et DCCLII) . وفى مكتبة جامعة جوتا الجزء الأخير من نسخة ذات أربعة أجزاء ،

(١) لإقدين بهذا المعلومات ، الخاصة بجزآن الآستانة ، إلى الدكتور ف . ه . رتر (Ph. H. Ritter) ، ومن خطاب منه لزميل وصديق الدكتور عبد الوهاب عزام ، مدرس اللغتين الفارسية والتركية ، بكلية الآداب بالجامعة المصرية . وأريد أن أدون شكرى لكليهما هنا ، إذ تولى الدكتور رتر تجهيز الصور التسمية ، التى أوجبت إلها من هذه المخطوطات ، وأرسلها مرافقة تلك المعلومات المتقدمة ؛ ومهد لى الدكتور عزام السبل للاتصال بالدكتور رتر ، والاستقاء من معرفته الواسعة بالمخطوطات العربية .

(Verzeichniss der für die orientalische Sammlung in Gotha von U. J. Steetzen, 1819, Leipzig, No. 1484) ؛ وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة كاملة في أربعة أجزاء ونسخة أخرى عبارة عن مجلدين من الجزء الثالث ، (Bibliothèque Nationale, Paris, Fonds Arabe No. 1726-1728) ، ويوجد بدار الكتب المصرية صور شمسية لمائتين النسختين الباريسيتين (تاريخ ١٢٥٥، ١٢٦٤)، ونسخة خطية ثالثة ، منقولة حديثاً من النسخة الباريسية الكاملة.

أول ما يلزم لنشر مخطوط ، الحصول على صور شمسية لأكثر عدد ممكن من النسخ المعروفة منه ، مع الإحاطة بأوصاف ما لم يتيسر منها . وقد وقَّعتُ إلى أكثر من هذا ، فيما يخص نشر الجزء الأول من السلوك ، إذ حصلتُ على صور شمسية من المخطوط الذي كتبه المقرئ بيده ، والوجود بمكتبة يكي جامع ، فلم تعد حاجة ماسة إلى الحصول على عدة من النسخ المعروفة . وهذه النسخة هي أصل القسم الأول للنشور هنا ، وعباد ما يتلوه من بقية الجزء الأول . على أني لم أطمئن إلى إخراج الكتاب من نسخة واحدة ، رغم اتساعها إلى المؤلف مباشرة ، لما حدثت فيها من الصعوبات عند أول نظرة . لذلك استعنت بالصورة الشمسية للنسخة الباريسية الكاملة ، الموجودة بدار الكتب المصرية ، فاستهديتها في إثبات بعض ما غمضت قراءته من الألفاظ من مخطوطة يكي جامع ، واسترشدت بها في بعض العبارات والألفاظ الزائدة ، أو المحجوبة بورقة ملصقة فوقها ، (انظر ص ٧٠ ، حاشية ٣ ، ص ١٠١ ، حاشية ٣ ، ٤ ، ص ١٠٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ١٩٦ ، حاشية ١ ؛ وغيرها كثير) .

يتمين هنا ، قبل شرح الطريقة التي اتبعتها في إخراج القسم الأول من السلوك ، أن أصف مخطوطة يكي جامع ، وقد سميتها في الحواشي ، ونسخة باريس ، وقد سميتها ب ، وأن أذكر الشذرات المطبوعة فضلاً من السلوك ، بلقتها أو مترجمة .

أما س فمجلد ضمن ، غلافه من جلد قوى ، مطبوع في وسطه مستطيل للزينة ، غير مذهب . وخط هذا المجلد نسخ متوسط ، واضح القراءة ؛ وعدد أوراقه ٢٥٧ ، لونها أبيض ضارب إلى الصفرة ، وماس الورقة ٢٥ × ١٦ م ، أي أكبر بقليل من الصورة الشمسية للطبوعة هنا . (انظر ص ٢) .

يبتدئ متن كتاب السلوك في هذه المخطوطة من الورقة ١٣ ، ويتبع عند ورقة ٢٥٣ . أما ما قبل ذلك ، وما بعده ، من أوراق المجلد ، فيحتوى عبارات متنوعة ، ليس للثن علاقة ظاهرة بها ، على أنها مكتوبة بخط يشبه خط متن السلوك ، ما عدا الوارد في ص ١١ . ويوجد بتلك الصفحة الأولى رسم دائرة ، في نصفها الأعلى ، بخط نسخ كبير ، وقفية نصها : ”وقف سلطان أحمد خان بن غازي سلطان محمد خان“ ، وبنصفها الأسفل طغراء ، يرجع أنها لهذا السلطان العثماني ، الذي تولى من سنة ١٦٠٣ إلى ١٦٢٧ م . وعلى ص ١ ب فقرة في منشأ الخوارج ، وفي أصل عادة خلق الرءوس عندهم ؛ وتستغرق هذه إلى آخر ص ١٢ . وعلى الصفحة ٢ ب فذلكرة في أصل الجبارة ، تنتهي في منتصف الصفحة نفسها ، ويتلوها عبارة في أنساب بعض قبائل العرب ، التي سكنت حواف مصر .

أما العبارات التي تلي آخر الجزء الأول ، فأولها تعلية في أنواع الطلاق ، تشغل ص ٢٥٣ ب ومنتصف ص ٢٥٤ ، ويتلوها قول في أصل القصيدة المشهورة ، التي مدح التبرزدق بها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وتبتدئ ص ٢٥٤ ب بقول آخر في أصل القصيدة المروفة التي أنشأها ابن زريق البغدادي ، في زمن غرته بالأندلس ؛ ثم يتلو هذا القول ، إلى آخر الصفحة ، اقتباسات قصيرة من أقوال بعض المحدثين في أهمية الإسناد في الحديث ، ورأى في مدى ملكية المالك للعلم السلوك . وتبتدئ ص ٢٥٥ ب بفصل في الجرح والتصديق ، ويشغل هذا الفصل حذ ثلثي ص ٢٥٦ ب . وعلى بقية تلك الصفحة ، حتى ثلثي ص ٢٥٧ ، وهي الصفحة الأخيرة من المخطوط ، فصل في الترغيب في علم الأنساب ، يتلو ذكر وفاة أبي عثمان إسماعيل الصابوني ، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وإشارة إلى أحد الأئمة الشافعية ، لم أستطع أن أقرأ من اسمه سوى لفظي ”مهران الاسفراييني“ ، ويتلو ذلك كله حديث نبوي .

ليس غرت شك في أن هذه النسخة من الجزء الأول هي الأصلية الأولى ، سطرها القريبي لنفسه ، على قوله في صفحة العنوان ، وفي ”سرد“ المجلد (Colophon) (انظر ص ٣ ، سطر ٦ هنا ، وكذلك ص ٢٥٣ أ في ص) . ونوجد عددا هذا شواهد داخلية عدة ،

للدلالة على أن القرى كتب هذا الجزء بيده ، وتنضج هذه الشواهد من وصف خواص ترتيب المتن .

أول تلك الخواص أن كثيراً من صفحات هذا الجزء مرقوش بهوامش إضافية ، مكتوبة أحيانا على جوانب الصفحات ، وأحيانا على ورقة منفصلة بين صفحتين ، وفي المتن عادة إشارة بلامه إلى المكان المناسب لهذا أو ذاك الهامش من المتن . وتلك الهوامش ، بحسب ارتباطها بالمتن ، على أربعة أنواع : إما فقرة متسقة مع المتن اتساقاً تاماً ، فهي عبارة عن سقطة كتابية ، تداركها المؤلف عند المراجعة ، فأثبتها حيث استطاع ، وأشار إلى موضعها المناسب من صلب المتن ، (انظر ص ٤ ، حاشية ١) ؛ أو عبارة من عبارات المتن مكتوبة بأسلوب آخر ، (انظر ص ٢٥٥ ، حاشية ١) ، أو إضافة لا اتساق لها مع عبارة المتن ، رغم علاقتها أحيانا بموضوعه ، وأمثال هذه لا شك زيادات عثر المؤلف عليها ، فيما بعد ، فأثبتها حيث أراد ، (انظر ص ٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ٢٩ حاشية ٣ ؛ ص ٤٦ ، حاشية ٢ ؛ ص ٦١ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٥٥ ، حاشية ١) ؛ أو بعبارة تفسيرية للفظ لغوي ، (انظر ص ٨ ، حاشية ١ ؛ ص ١٧ ، حاشية ٢) ؛ أو عبارة للتنبيه إلى ما في المتن من مواضع ، وهذا النوع الأخير مكتوب بخط مخالف ، (انظر ص ٧٩ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٠٩ ، حاشية ٢ ؛ ص ٢١٧ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٢٤ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٤١ ، حاشية ٣)

تدل هذه الهوامش ، ما عدا النوع الرابع منها ، على أن القرى كتب هذه النسخة من الجزء الأول بيده ، ثم راجعها بنفسه ، فتدارك بالإثبات ما فاتته ، وأضاف من الزيادات ما رأى أن يضيف ، وسر من الألفاظ ما علن غريباً . غير أنه يلاحظ أحيانا خلاف لطيف بين خط المتن وخط تلك الهوامش ، وهذا يرجع أن القرى راجع الكتاب بعد مضي عدّة سنين من تاريخ كتابته ، بعد أن اعتري خطه شيء من الضعف والهرسة .

ومن خواص س أيضاً طريقة الرسم الإملائي ، التي اتبعها القرى في كل هذا الجزء ، إذ أهمل الميزات إجمالاً تاماً ، فسهّلها بالإبدال إلى ياء في أواسط الكلمات ، وحذفها في أواخرها ، وأمثال ذلك الطابع (الطائغ) ، وسائر (سائر) ، وهولا (هؤلاء) ، وعلا (علاء) ، وخلفاء (خلفاء) . وفي هذا الجزء أيضاً دأب القرى على إحلال الدال موضع الدال ، مثل

دخاير (ذخائر)، وحمدان (هذان)؛ وتهاون في التفتك كثيراً، حتى أن بعض الألفاظ وارد بنير
نقط البتة؛ ووقع في بعض أخطاء نحوية ولنوية؛ كما ضبط بعض الألفاظ ضبطاً خطأ،
وقد أشرت إلى أمثال ذلك كله في الحواشي. (انظر ص ٤، حاشية ٢؛ ص ٧، حاشية
٨، ٥؛ ص ١٠، حاشية ٢؛ ص ١٦، حاشية ٢).

• • •

يلس في القيمة العلمية، النسخة التي كتبت عام ١٨٨٠، وللوجود بمكتبة الفايح،
لأنها أقدم النسخ الخطية المعروفة، حتى الآن، وأزبها إلى زمن للقرن الثاني والنسخة الأصلية
الأولى. ويلبها ما كُتب بعدها، وهكذا. أما نسخة باريس (ب) فتأخره بالنسبة إلى
غيرها من النسخ المعروفة، لأن الجزء من الأول والثاني منها بخط المدعو منصور الأزهرى،
وقد فرغ من كتابتها في أول سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)، والجزء من الثالث والرابع بخط المدعو
حسن الثاني، وقد فرغ من نسخها بمكة، في أواخر سنة ١٠٣٩ هـ (١٥٣٣ م). (انظر فهرس
الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، ج ٥، ص ٢١٩)

تشبه بخطوطه س في وضوح الخط، وفي الرسم الإملائي أيضاً؛ من تسهيل المهمزات
المتوسطة، وحذف المهمزات المتأخرة؛ كما تشبهها أيضاً في الاقتصاد في النقط، وفي الأخطاء
النحوية واللغوية والواقع أنها نسخة طبق الأصل، لا تختلف عنه في الأسلوب أو العبارة
أو ترتيب المحتويات، إلا ما نتج عن تصرف طفيف من الناسخ، أو سهوه أو إسهاله،
أو قصيره في قراءة بعض المواضع المزدحمة، أثناء النقل. ومن أمثلة ذلك صفحة العنوان،
إذ ليس في ب شيء مما هو وارد بتلك الصفحة في س، بل يوجد بدلها الفقرة الآتية:
”الجزء الأول والثاني من السلوك لمرفة دول الملوك للشيخ الإمام العلامة الميام الرحالة المقرري
رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم“. ونمت
خلاف آخر بين النسختين، في الصفحة الأولى، ففي ب بعد البسملة عبارة: ”وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب، قل اللهم مالك الملك...“ (تأرون هذا بالمبارة الافتتاحية في س).
هذا ولمرفة أنواع الخلاف الأخرى بين النسختين، انظر (ص ٢٨، حاشية ٣؛ ص ٣٩،
حاشية ١، ص ٦١، حاشية ١؛ ص ٩٠، ١، حاشية ٤، ص ٩٨، حاشية ٢، ص
١٢٨، حاشية ٢).

ويوجد بين النسختين خلاف من نوع آخر ، لا مأس له بمجهر المتن ، بل هو عرضي بحث : ذلك أن الهوامش التي في س عبارة عن سقطات كتابية ، قد تداركها القرزى بالإثبات عند المراجعة ، أو إضافة عَترَ عليها فكتبها حيث يريد كما تقدّم ، أدمجها كاتب نسخة ب — أو كاتب النسخة التي نقل منها — حيث تَعبُ من المتن ، أو حيث مَنَظَنَة الصواب ؛ ولم يخطئُ إلا قليلا في هذا المجهود المحمود ، التي جعل ب ذات أهمية . (انظر ص ٢٨ ، حاشية ٣ ؛ ص ٦١ ، حاشية ١ ؛ ص ٩٠ ، حاشية ١ — ٤ ؛ ص ٩٨ حاشية ٢ ؛ ص ١٧٨ ، حاشية ٢) . أما ما عدا ذلك من الهوامش الواردة في س ، كالحواشي التفسيرية التي كتبها القرزى ، وكالإشارات والتنبيهات الواردة بخط مخالف ، فليست موجودة في ب مطلقا . على أن في ب هوامش من نوع آخر ، امتازت بها أيضا ، وهذه عبارة عن إشارات باللغة الفرنسية لكبار أحداث الحروب الصليبية ، أو ترجمة إلى تلك اللغة لأسماء كبار الصليبيين ، قبالة ورود أسمائهم بالمتن . (انظر ص ٩٦ ، حاشية ٧) .



ليست الطبعة المروضة اليوم ، أوّل محاولة لنشر كتاب السلوك ، فقد تناوبته مجهودات المستشرقين ، كل على قدر حاجته منه ، منذ أواسط القرن الثامن عشر ، أي قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر بمجمل تقريبا . وأوّل المبكرين إلى هذا هو (Cardonne) ، إذ نشر منه في سنة ١٧٦١ م ، شذرات باللغة العربية ، في ذيل كتاب تاريخ حياة لويس التاسع ملك فرنسا (Joinville: Vie de St, Louis; ed- Cardonne. Paris, 1761) ، كما نشر منه فقرات أخرى سنة ١٨٢٤ ، ضمن مختارات عربية ، متعلقة بتاريخ فرنسا ، تحت عنوان (Petitots: Extrait de Mss. Arabes) ، في المجموعة الفرنسية السّماة: (Collection des Mémoires ; Vol III, Paris 1824). بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة ، أتمّ المستشرق (Quatremère) ترجمة فرنسية في جزئين ، لشطر كبير من كتاب السلوك ، أوّل سنة ١٨٤٨ هـ ، وآخره سنة ١٢٠٨ هـ ، تحت عنوان (Quatremère; Histoire des Sultans Mamlouks etc, Paris, 1837-1845)

وكان اعتماده في الترجمة على مخطوطة باريبية ، كانت في أيلمه بمكتبة الملك (Bibliothèque du Roi) ، تحت أرقام ٦٧٢-٦٧٤ ؛ فبدأ ترجمته من ص ١١٥ منها ، وانتهى عند ص ٣١٥^(١) . ثم انتقلت تلك المخطوطة إلى (Bibliothèque Nationale) ، وصارت أرقامها ١٧٢٦ - ١٧٢٨ ؛ ومنها ترجم (Blochet) ، في سنة ١٩٠٨ ، ما فات (Quatremère) من الجزء الأول ، وسمى ترجمته (Blochet : Histoire d'Egypte de Makrizi) ، ونشرها في (Revue de L'Orient Latin, Tomes VI, VII-XI) وهذا المخطوطة ، التي كانت عماد الترجمتين الفرنسيين ، ليست سوى ب هنا ، والتي أشرتُ إلى مبلغ استعانتى بها في القابلة والمقارنة^(٢) .

• • •

أما محاولتي التي تخرج با كورتها في الصحائف التالية ، فهي أول محاولة لإخراج الكتاب كاملا ، بلغة التي كُتِبَ بها . وقد اعتمدت على مخطوطة من اختيار أكليبا ، واستعنت بنسخة ب . واسترشدت بترجمة (Blochet) . على أني تناولت تلك الترجمة ببعض النقد ، (انظر ص ٨٠ ، حاشية ٥ ؛ ص ٩٤ ، حاشية ١ ؛ ص ١١٢ ، حاشية ١ ؛ ص ١٣٥ ، حاشية ٤ ؛ ص ١٣٧ ، حاشية ١ ؛ ص ٢ ؛ ص ٢١٧ ، حاشية ٢) ، وبيّنت إلى عدد قليل من أخطائها ، التي كان منشؤها اعتماد المترجم على نسخة ب فقط ، (انظر Blochet : Op. cit. Introd. P. 53) وقصدتُ بذلك إبراز قيمة مخطوطة س ، لا النيل من نتيجة مجهود محمود ، فضله مشهود به هنا ، في كثير من المواضع . (انظر ص ١٠ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٤ ، حاشية ٦ ؛ ص ٣٦ ، حاشية ٦ ؛ ص ٤٦ ، حاشية ١ ؛ ص ٥٠ ، حاشية ٣ ، ٨ ؛ ص ٦٠ ، حاشية ١ ؛ وغيرها) .

(١) يوافق بدء ترجمة (Quatremère) ص ٩٦ من مخطوطة س . وينتهي في أوائل الجزء الثاني منها . والسبب الذي حدا به إلى ذلك البدء ، واستبعاد الصفحات الأولى من السلوك ، وهي القسم الخامس بدولة الأيوبيين في مصر ، أنه كان قد فكر في مجموعة قرنية مستقلة ، اسمها (Collection des Historiens des Croisades) ، كان المزمع مقومها على إخراجها ، ولم ينجح المشروع . راجع (Quatremère : Op. cit. T. I, I Pref. P. XVIII) .
(٢) توجد أيضا لمحة مختصرة من كتاب السلوك ، منشورة في الجزء الثاني من كتاب تاريخ عمارة الهيكل ، تحت عنوان " نبذة من السلوك " . (انظر ص ٥٢ ، سطر ١٠ — ص ٥٤ ، سطر ١١) .
(Derezhbourg : Oumara du Yemen. Paris, 1897-1902 Tome II. PP. 650-659)

وقد بدأت العمل بنسخ المتن الممدّ للطبع من ب ، وقابلته عليها ، تمهيدا لمقابلته على نسخة الاستانة . وكان اعتقادي أن النسختين ذاتا قيمة متكافئة ، بل ظننت أن نسخة باريس أم من الأخرى ، لأن معظمها قد ترجم إلى الفرنسية ، فأصبحت ذات قيمة معروفة ، ونصها محترم . فلما رأيت بسد ذلك أن مخطوطة الاستانة بقلم المقرئى ، تضادت أمامها نسخة باريس ، وصارت فرعا ، ومخطوطة س أصلا .

ولم يكن البدء على هذا النحو المعكوس مضية لوقتي ، فإني استفدت من ب استفادة واسعة ، (انظر صحيفة و) ، واستطعت أن أدرك أوجه الشبه والخلاف بين المخطوطتين . غير أنى لم أدأب على إثبات نتيجة المقابلة فى الحواشى ، لأن أهمية س طلت على كل الاعتبارات ، ولأنى توخيت ألا أجعل كموب صفحات المتن أكثر من اللازم .

كعب المقرئى كتابه على نظام الحواشيات ، الشائع فى مؤلفات المؤرخين الشرقيين فى القرون الوسطى ، فسر تاريخ كل سنة على حدته ، ولم يحاول أن يصل بين سنة وأخرى أبدا ، ولم يستوقف القارئ فى وسط السنين إلا عند حدوث عهد جديد . وقد سار المقرئى على هذا النحو فبدأ كل سنة فى سطر جديد ، وحنونها بخط أكبر من خط المتن ، وجمداد أحر ؛ وفعل مثل ذلك عند بدء عهد سلطان جديد . وللتفريق بين هذا النظام ومقتضيات الطبع الحديث أبقى عناوين السنين فى مواضعها ، فى أول سطر دائما ، وبحروف أكبر قليلا من حروف المتن ؛ ووضعت أوائل أسماء السلاطين فى وسط السطر ، بحروف كبيرة أيضا . (انظر ص ٤١ ، حاشية ٦) .

وقد أخذت حريتى فى نقط الأنفاظ ، وفى التزقيم والتقسيم ؛ كما فعلت ذلك أيضا فى الأخطاء الإملائية البهتة ، فأنبت الرسم الإملاى الحديث . ولو كنت عمدت إلى الإشارة إلى جميع مواضع النقطه المتناقصه ، أو الغلطات الإملائية الشائمه ، للأت أضفاف المساحات التى شغلها الحواش . على أنى تبتت دائما ، عند الحاجة ، إلى الألفاظ التى تغطتها من عندى ، وعلى مسئوليتى . ولما كان المقرئى قد ضبط بعض ألفاظ المتن دأبت على إثبات

ضبطه دائماً حيث كان ، بنير تنبيه إليه في الحواشي ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ذلك ، أو كان الضبط خطأ ، فقد أصلحته ، ونهت إلى أصله . على أنه كثيراً ما استلزم للمن ضبط كلمات أخرى ، لزيادة التوضيح . (انظر ص ٢٤ ، حاشية ٢) .

• • •

والآن ، وقد بينت في هذا التصدير المختصر معالم الترتيب الذى سرت عليه ، فواجبى أن أشكر لكل من عاوننى ، بالمساعدة أو بالتشجيع ، في إخراج هذا القسم الأول ، من كتاب السلوك . وأبدأ بالذكر " لجنة التأليف والترجمة والنشر " وهيئتها الفنية ، لتكليف القيام بنشره ، وإعطائى الحرية في كيفية طبعه وتنظيمه ، وتواصيها بالصبر إزاء البطء الذى تطلبه نوع العمل . وأشكر أيضاً الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ورئيس " لجنة التأليف والترجمة والنشر " ، لما رمقنى به من عنايته المستمرة ، إذا قرأ جميع صفحات القسم الأول ، قبل اعتمادها نهائياً للطبع ، وهدانى باقتراحاته ، سرّة إلى مراجعة عبارة بالمتن ، وصرات لتعديل بعض الحواشي . وقد كان من حسن حظى أيضاً أن طلبتُ إلى صديق وزميلى أحمد الشايب ، أن يماوتنى في أدوار المقارنة والمقابلة ، فقرأ معى النسخة التى أعدتها لطبع ، على نسخة باريس ، وعلى ثلثي مخطوطة الاسفانة ، فأسديه شكرى ، كما أسديه إلى صديقى محمد نديم ، ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية ، فقد حرص على طبع الكتاب طبعة دقيقة . ولست أعدد تلك المساعدات توزيعاً للمسئولية النهائية على أكتاف غيرى ، بل اعترافاً بالجميل لمن قدّموها لى ، فإن تلك المساعدات سهلت على العمل في مختلف أدواره ، وجنبتنى بعض الزلل . وإنى أقدم إلى كل الذين ذكرت ، وإلى غيرهم أيضاً ، من شجعونى على المضى في العمل ، بوافر الشكر والتناء . كما أرسل شكرى مقدماً إلى كل من بطلع على هذا القسم ، ويدلّنى على ما عساه قد وقع من خطأ ، أو على ما يقترح من إصلاح يساعدننى في إخراج الأقسام التالية .

مصر الجديدة في أول المحرم سنة ١٣٥٣
١٤ أبريل سنة ١٩٣٤

محمد مصطفى زيادة

المراجع المذكورة في حواشى القسم الاول

مراجع عربية

- ابن الأثير (هو الدين أبى الحسين على المعروف بابن الأثير) : كتاب الكامل فى التاريخ ، ١٤ جزءا . طبعة ليدن . (Edidit Tornberg. Lugduni Batavorum. Brill, 1863).
- ابن تقيى برّدى (جمال الدين أبو الحسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . طبعة جامعة كاليفورنيا^(١) . (Edited by Popper. Vols II, III, V, VI, VII; University of California Publications in Semitic Philology, 1909-1929).
- ابن حوّل (أبو القاسم) : كتب للمالك والمالك . طبعة ليدن . (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, edidit De Geojc. pars secunda. Lugduni Batavorum, Brill. 1873).
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزمان . طبعة جوتنجن . (Edidit Wüstsnefeld, Göttingae, Deuerlich, 1835-1840).
- لهذه المؤلف ترجمة إلى الإنجليزية . انظر ثبت المراجع الأوربية ، تحت اسم (De Slane) .
- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى) : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك . طبعة باريس . (Ed. Ravaisse, Imprimerie Nationale Paris, 1094).
- ابن شدّا : (بهاء الدين أبو الحسن يوسف) : النوادر السلطانية والحامس اليوسفية . طبعة باريس . (Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, Tome III, Imprimerie Nationale, Paris, 1884)
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ثمانية أجزاء . (مكتبة القدسي ، بحوار الأزهر ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ) .

(١) آمنت جامعة كاليفورنيا نشر هذا الكتاب ، فخل جهود الدكتور وليم لوبر ، كآمنت دار الكتب المصرية الجزء الخامس عشر من طبعها لهذا الكتاب .

مراجع عربية (ف)

ابن مسكويه (أبو علي أحمد المعروف بمسكويه) : القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ،
سبعة أجزاء . طبعة أكسفورد .

(Arabic text, edited by Amedroz, vols I-III; English translation, vols IV-VII, Margoliouth. Oxford, Basil Blackwell, 1920-1921).

ابن النديم (أبو الفرج محمد) : كتاب الفهرست . طبعة ليبزج .
(Mit anmerkungen herausgegeben von Gustav Flügel, Leipzig, Vogel, 1872).
أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل) : منتخبات من المختصر في أخبار البشر . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Orientaux, Tome I.
Imprimerie Nationale, Paris, 1872).

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن) : منتخبات من كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
النورية والصلاحية . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux,
Tome III, Imprimerie Nationale. Paris, 1884).

أمين (أحمد) : نحي الإسلام ، الجزء الأول . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٣).
الأنصاري (زكريا) : شرح المنهج ، جزآن . (المطبعة الميمنية ، قرب الأزهر . القاهرة
سنة ١٣٠٥ هـ) .

البروني (أبو الريحان محمد) : كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبعة ليبزج .
(Ed. Ravaisse, Imprimerie Nationale, Paris, 1894).

هذا المؤلف مترجم أيضاً إلى اللغة الإنجليزية . انظر ثبت المراجع الأوربية ، تحت
اسم (Sachau) .

حسن (حسن إبراهيم) : الناطقيون في مصر . (المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢) .
الغزرجي (علي بن الحسن) : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . طبعة ليدن .
E. W. J. Gibb Mem. Series, Vol. III. Parts I-V, Brill, Leiden, 1906-1918)
الطوارزقي (أبو عبد الله محمد) : مفاتيح العلوم . (مطبعة الشرق ، بجوار الأزهر . القاهرة ،
١٩٤٢ هـ) .

- الزركشى (عبد الله محمد) : تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية . (تونس ، ١٢٨٩ هـ) .
- السخاوى (محمد شمس الدين) : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع . (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ١٨ جزءاً ، رقم : تاريخ ٦٧٥) .
- الطبرى (أبو جعفر محمد) : تاريخ الرسول والملوك . طبعة ليدن .
(Cum aliis Edidit De Geoeje, Lugduni Batavorum, Brill, 1991).
- الغنى (بدر الدين محمود) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ٢٣ جزءاً ، فى ٦٩ مجلداً ، رقم : تاريخ ١٥٨٤) .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً . دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩) .
- مبارك (على باشا) : المخطوط التوفيقيّة الجديدة لمصر والقاهرة ، ٢٠ جزءاً ، فى أربع مجلدات .
(المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣٠٦ هـ) .
- المسعودى (أبو الحسن على) : كتاب التتبيه والإشراف . طبعة ليدن .
(Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Edidit De Geoeje, Pars octava, Lugduni Batavorum, Brill, 1894).
- المسعودى (أبو الحسن على) : كتاب مروج الذهب ، تسعة أجزاء . طبعة باريس .
(Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, Tomes IV-V, Imprimerie Nationale, Paris, 1898-1906).
- (Herausgegeben von Sachau, Harrassowitz, Leipzig, 1923).
- المريزى (أحمد بن على) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار ، جزءان .
(دار الطباعة المصرية ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ) .
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله) : ٦ أجزاء ، كتاب معجم البلدان . طبعة ليزج .
(Herausgegeben Ferdinand Flutenfeld, Leibzig, Brockhaus, 1856).

(ف)

مراجع أوربية

- Allen (W. E. D.) : A history of the Georgian People. (Kegan Paul, London 1932).
- Blochet (E.) : Histoire d'Égypte de Makrizi. (Leroux, Paris, 1908). (Extrait de la Revue de L'Orient. Tomes VI, VII - XI).
- Brown (E. G.) : An Abridged Translation of the History of Tabaristân. Compiled by Ibn Isfandiyar; translated by Browne. (E.W J. Gibb Mem. Series. Vol. II. Leyden, Brill, 1905).
- Butcher (Ers E.L.) : The story of the Church of Egypt, 2 vols. (Smith Elder, London, 1897).
- Cambridge Medieval History : (Camb* Med. Hist.).
- Derenbourg (H.) : Odmara du Yémen ... 2 vols. Leroux, Paris 1897-1902). (Publications de L'École des Langues Orientales vivantes IV^{me} Serie, vol X).
- DE SLARON (Baron Mac Guerin : Ibn Khalliknn's, Biographical Dictionary. Translated from the Arabic, 4 Vols. (Oriental Translation Fund, Paris 1842-1871).
- Dozy (R.) : Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Dozy* : Supp. Dict. Ar.). Engyclopaedia of Islam : (Enc*. Isl.).
- Q.—Demobynes : La Syrie à l'Époque des Mamlouk1. (Geuther, Paris, 1922).
- Oibb (H. A R.). The Damascus Chronicle of the Crusades. Luyac, London, 1932).
- Hitti (Ph. K.) : Memoirs of Usamah Ibn Munkidh. (Columbia University Press, New York, 1929).
- Hogarth (D.O.) : A history of Arabia. Clarendon Press, Oxford, 1922).
- King (E.J.) : The Knights Hospitallers in the Holy Land. (Methuen, London, 1931).
- Lamb (Harold) : Genghis Khan. (Thornton Butterworth, London, 1928).

(*) The astericks denote the abbreviated form, in which the authority is cited in the note.

السلوك لمعرفة دول الملوك

—

(١٣) الجزء الأول

من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، جمع فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبد القادر
ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ،
الشهير جده بالمقر يزي الشافعي ، غفر الله له وتعمد زله بمنه :

سطره لنفسه * قاله وجامعه

فليف عن زلاته * ناقله وسامعه

لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته ، ولا الجأك إلى قبض عوض عن جميل
أوليته ، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا ، وأعانك من عز مفقود وعيش
مجهود ، وأحيأك ما كانت الحياة أجل بك ، وتوفأك إذا كانت الوفاة أصلم لك ، بعد عمر
مديد وسمو بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلغك في الأولى أملك ، وسدد فيها مضطربك ،
وأحسن في الأخرى منقلبك ، إنه سميع قريب جواد مجيب .

والأكراد ينسبون إلى كرد^(١) بن مُرد بن عمرو بن حمصة بن معاوية بن بكر بن
هوازن . وقيل هم من ولد عمرو بن زَيْد بن عامر ماء السماء . وقيل إنهم من بني حميد

(١) هذا الاسم غير واضح كله في س ، ولكن المراجع العربية يتحدثون بكاء الأكراد به . قال ابن حوقل
في المسالك والممالك ، ص ١٨٧ : "إنهم من كرد بن عمرو بن عامر" بدون ضبط . أما المسعودي في مروج
الذهب ج ٣ ، ص ٢٥٠ فقد نسبهم إلى "كرد بن مرد" (كذا) بن حمصة بن هوازن ، "ولسبهم في
كتابه التنبيه والإشراف ، ص ٨٩ ، إلى كرد بن مرد بن حمصة بن حرب بن هوازن . وكل هذه الألساب محاولات
من الأكراد للاتصال بالنسب العربي ، ولكن الثابت إنهم من الجنس الإيراني (راجع Enc. Isl. Art. Kards) .
ولا يشار إلى المراجع هنا بأكثر من هذا ؛ أما مكان الطبع وزمانه ، وتعيين المخطوطات ، وسائر المعلومات
الأخرى ، فهي واردة في قائمة المراجع المذكورة في المقدمة .

(٢) انظر لحاشية رقم (١) في الصفحة التالية .

ابن طارق الراجع إلى حيد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد المزي بن قصي بن كلاب^(١) وم قبائل : ومنهم الكورانية^(٢) بنو كوزان ، والمهنيانية ، والبشوية ، والشاهنجانية ، والسرجلية ، واليزولية ، والمهرانية ، والرززارية ، والكيكانية ، والجلج ، والدر ، والدنبلية ، والروادية ، والدبستية ، والمكارية ، والحميدية ، والورجكية ، والمروانية ، والجلالية ، والشنكية ، والجلوبى . وتزم الروانية أنها من بى مروان بن الحكم بن أبى العاص ؛ وتزم بعض المكارية أنهم من ولد عتية بن أبى سفيان صخر بن حرب . وأحياء الأكراد تكثر عن الإحصاء ، غير أنهم بجميع أحيائهم كانوا مقيمين بفارس ، فكانوا يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ، يخرج من البيت الواحد نحو العشرين ، وكانوا يتجمعون للمراعى فى الشتاء والصيف ، ويحبال كوران^(٣) .

(بقية محتويات صفحة العنوان^(٤))

(أولاً) المصيرين (كذا) ، بمصر وأعمالها ، ينتسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(١) العبارة المبينة بلفظ "عمرو" فى الصفحة السابقة ، والتهية بكلمة "كلاب" هنا ، موجودة بملامش صفحة العنوان . وسبب ذلك سقطة كناية من المؤلف ، تداركها هو بخطه عند مراجعة الكتاب ، وأشار إليها علامة بين سطور المتن للدلالة على مكانها المناسب لها . ونسخة من مملوءة بأشياء هذا الملامش ؛ فإكان منها نتيجة سفطات الكتابة ، ومتقفا مع عبارة المتن أدرج فيه ، وما كان منها تحسيرا أو شرحا ل عبارة المتن ، أو كان غير متسق تماما معه ، وضع فى حاشية فى آخر الصفحة بنصه .

(٢) معظم هذه الأسماء وارد فى المراجع الثلاثة المشار إليها فى حاشية رقم ١ ، ص ١ ؛ وقد اكتفى هنا بنسب البعض الذى عنى الفريزى بنسبته . وسيحافظ دائما على نسب المؤلف بنسبته ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ضبطه ذلك ، أو كان خطأ فيه إليه بعد إصلاحه . على أنه كثيرا ما يحتاج المتن إلى ضبط كلمات أخرى لزيادة التوضيح . انظر أيضا الفريزى : المواقف والاعتبار ، ج ٧ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، حيث بعض هذه الأسماء وارد بمرسم مخالف . (٣) على هذا ملامش تصدوت قراءته ، وهو بالرواية الجنوبية اليسرى من الصفحة . والمغالبة بين ما كتب الفريزى هنا فى الأكراد وبين ما جاء فى الممالك والملوك لابن حوقل ، ص ١٨٦ ، يحمل على الاعتقاد بأن صاحب السلوك نقل بصرف من ابن حوقل ، أو أنهما معا نقلتا من مرجع واحد . وهذا ما وارد فى الممالك والملوك بعد ذكر فروع الأكراد : — "وزيدون خمسمائة ألف بيت ، ويخرج من الحى الواحد ألف فارس ، وأقل من ذلك وأكثر ، يتجمعون فى الشتاء والصيف للمراعى ، إلا القليل منهم على حدود الصرود ... " .

(٤) بقية محتويات صفحة العنوان هذه ملامش مبثورة فى نواحيها بلا ترتيب ، وليس بينها وبين ما هو وارد فى متن الصفحة اساق أو ارتباط . وأحدها تاريخى ، والباقي يظهر أنه دليل على من ملك الكتاب أو حازه أو اطلع عليه ، وقد أثبتت كلها فى الصلب تحت نظام عددى يحتم (انظر الصورة الشسبية) . وفى س ملامش عدة بنير خط المؤلف سببه إليها دعاء ، أما الملامش الواردة بخطه فليست بحاجة إلى هذه الإشارة .

قال الشريف النساب محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجواهر للسكرتير في القبايل والبطون :
 ”وم يكذبون في ذلك لأن أنسابهم لا تتصل به ، وقد قُتبت منهم جماعة وعرقهم كنسبهم
 بطرائق علمية وغيرها ، وعلى قدر اتساع الأوقات “ . [و] قال : ” وأسر هؤلاء المتيمين
 إلى ولد عبد الله بن عمر يحتاج إلى دليل ، وإلا فهو قول من الأفاويل الداخلة في الأجليل ^(١) “
 (ثانياً) الحمد لله ، وبه أكتفى من عوادي الدهر في نوبه ، أقل عبيد الله تعالى محمد
 ابن أحمد بن إسماعيل العلاني النواذر الحنفى ، عامله ربه بحفى ^(٢) لطفه الجلى والحنفى ^(٣) .
 (ثالثاً) بُليتُ بحظ ما ارتفع إلا انضع ، ولا قام إلا خسر سريماً ووقع ، ولا استوى
 إلا التوى ، [ولا ارتفع إلا] انعط و [هوى] ، ولا [تيسر] إلا تعذر ، ولا تنبه إلا وعن
 قليل رقد ، ولا نشط إلا تخبط وهبط ^(٤) :

لمرك ما عدمت لواء محمد • ولا كَلَّ الجوادُ عن السباق

ولكنى بُليتُ بحظ سوء • كما تُبلى الميحة بالطلاق

(رابعاً) ملكه محمد القرينى ^(٥) .

(خامساً) قُبِد شدُّ في سنة ١١٣٨ ^(٦) [٥] .

(١) هذا هو الماشى التاريخى وهو وارد في الجهة المي الجنوبية ، ولقطة العبرين واردة هكذا منصوبة ومشكلة .

(٢) س مخفى .

(٣) عبارة هذا الماشى مكتوبة بخط مخالف . أما محمد بن أحمد بن إسماعيل العلاني الأسلى القاهرى الحنفى ،
 والمولود سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) ، فهو أحد أبناء المباليك الذين جموا بين ولاية المناسب والاشتغال بالعلم .
 تولى وظيفة النواذر الأمير برسبای قرا رأس نوبة البوب في عهد السلطان الملك الأعزف قايتباى . وكان حديد
 المتانة بقرأة النعاس من كتب العلم والتاريخ ؛ ومطالعة كتاب السلوك ، أو امتلاكه لواء وهو الأرجح ، دليل
 واضح على هذا . (الساوى : النضوء اللامع : المجلد الثانى ، القسم الأول ، ص ٧ ؛ والمجلد الثالث ، القسم الثانى ،
 ص ٣٩٨ ؛ ابن لاس : بديع الزهور ، ج ٢ ص ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨) .

(٤) اعتدى بنسب ألفاظ هذا الماشى ما عاها ، وقد وضعت الألفاظ التى بين الأقواس المربعة على سبيل الترجيح .

(٥) هذه الجملة مكتوبة بخط مخالف . ومحمد هذا هو ابن أخى المؤلف (رابع ابن تترى بردى : النجوم
 الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٧٨) .

(٦) عبارة تركية معناها سار تهيبه في السنة المذكورة ، وهى بخط مخالف .

(سادس) الحمد لله على نعمه ؟ انتهاءً و [كذلك ما بعده ؟] مطالعة ، داعياً المؤانته بالرحمة والرضوان ، ولما لكة بالسيادة وطول العز ، محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي ، إلى [رابعه] سنة ٨٤٦هـ^(١) .

(١) ما بين الأقواس يائس تهرباً في الأصل ، على أنه يوجد في آخر القسم الثالث من الجزء الرابع من الفوه اللامع لسخاوى ما يفي هذه البارة في أسلوبها . أما عهد بن فهد الهاشمي للجمهور بصر ، والمذكور في الفوه اللامع في حرف العين ، فهو سليل أسرة مكية محبذة ، توارثت الاشتغال بعلوم الحديث . ولد عمر هذا بمكة في سلخ جادى الثانية سنة ٧١٢هـ (٨ نوفمبر سنة ١٤٠٩م) وتوفي بها في ٧ رمضان سنة ٨٨٥هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٤٨٠م) . على أنه تنقل في مدن مصر والشام واليمن والمجاز غير حرة ، مشتتاً بالهدبت والتراجم . وقد روى عنه القرزى في فضل البيت الحرام . أما عن سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) المدونة آخر هذه البارة ، فإن ابن فهد كان فيها مقياً بمكة حسبما جاء في الفوه اللامع ، ولم يأت إلى القاهرة حتى سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) . ولا كان من المقرر أن القرزى أيام بمكة حتى سنة ٨٣٩هـ (١٤٣٥م) قتل ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٥هـ فليس يبيد أن كتاب السلوك حل إلى مكة بعد ما ملكه محمد القرزى ابن أخى المؤانف (السخاوى : الفوه اللامع ، المجلد الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣ ب) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الله للسمان^(١)

(قل اللهم ، مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء^(٢) ، وتنزع الملك من تشاء ، وتمن من تشاء ، وتبدل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير . توبخ الليل في النهار ، وتوبخ النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب) . فسبحان الله من إله حكيم قادر ، ومليك مقتدر ظاهر ، يملأ العاجز الخفير ، ويمنع البطل الأيد الكبير ، ويرفع الغامل الذليل ، ويضع ذا العز للنيع والمجد الأتميل ، ويعز المحضر الطريد المحفوف الشريد ، ويذل أولى الحدة الحديد^(٣) ، والعدو والديد ، وأرباب الأثوية والبنود ، ومالكى أزيمة الساكر والجنود ؛ ويؤتي ملكه من لم يكن شيئاً مذكوراً ، ولا عرف له أباً نبياً وجداً مشهوراً ، بل نشأ كلاً على مولاه وخادماً لسواه ، تجبه وتشنؤه الناس ، ولا يرعاه سائر الأجناس ، لا يقدر على شئ نفسه فضلاً عن الغير ، ولا يستطيع دفع ما ينزل به من مساة وضير ، عجزاً وشقاء وخولاً واختفاء ؛ وينزع نص^(٤) الملك من تهابه أسد الشرى في غيلها ، وتخضع لجلالته عتاة الأبطال يقظاً وقظيلها^(٥) ، وتخضع لخزواته^(٦) سلطانه حاة الكاة بمجمها وجميها ، وتذل لسلوته ملوك الجبايرة وأفيالها ، وآباء وأوسره^(٧) المساكر الكتيرة العدد ، ويقتردى بموائده الغلاتق مدى الأبد . والحمد لله على حالتي منته وعطائه ، وابتلائه وبلائه ، وسرائه وضرائه ، ومنه وبأسائه ، أهل التناء^(٨) والمجد ، ومستحق الشكر والمجد ، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (بيده ملكوت كل شيء

(١) لا يوجد هذه الجملة بعد البسملة في ب (٢ ب) ؛ ولذا يوجد بهذا " وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " . (راجع التصدير) . (٢) في س "تؤتي الملك من تشاء" دون حمز (راجع تصدير الطبعة الأولى) . (٣) الحمد هنا البأس ، والمديد الشديد . (٤) هذا الكلمة فائضة في س ، وليس لها وجود في ب (س ٢ ب) . (٥) كذا في س ، ب (س ٢ ب) . والوارد في معاجم الكفنة فنيضها بالتاء ، والتقى الحسى الصغار والفضيخ الكبار ، واللى أنهم يخضعون جيها . (٦) في س لخزواته . وليس لهذا اللفظ بالماء وجود في المعاجم ، أما الخزوات بالماء فمتلما الكبير كافي المحيط في مادة خزر . (٧) في س ملوسره . (٨) في س البنا .

وإليه ترجعون) ؛ ولا إله إلا الله الواحد الأحد ، القرد الصمد ، الذي (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) ؛ والله أكبر (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ، ولا تترك من عظمته العقول إلا ما أخبر به عنه الرسل والأنبياء . وصلى الله على نبينا محمد الذي أذهب به دول أهل الشرك من الأكاسرة ، وعما بشريته عظماء الروم القياصرة ، وأزال بملكه الأصنام والأوثان ، وأحمد بظهوره بيوت النيران ، وجمع له أسود العرب وقد كانت في جزيرتها متفرقة ، ولم يبركه شئها بعد ما غبرت زماناً وهي متبرقة ، (١٤) وألف قلوبها على موالاته وطاعته ، وحُبب إليها المبادرة إلى مبياته على الموت ومتابعته ، فتواصلوا بعد القطيعة والتدابير ، وتعاثوا في الله كأن لم ينشأوا على البغضاء والتنافر ، حتى صاروا باتباع ملته ، والافتداء بشريته ، من رعاية الشاه البعير ، إلى سياسة الخلم النفير^(١) ، وبعد اعتماد ستام الناقة والقعود ، وملازمة بيت الشعر والسمود ، وأكل القيصوم والشيخ ، ونزول القفر الفسيح ، إلى ارتقاء المنابر والسرير ، وتوسد الأرائك على الحرير ، وارتباط المسومة الجياد ، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والتتاد ، بما فتح الله عليهم من غنائم ملوك الأرض ، الذين أخذوهم بالقوة والقهر ، وحووا بمالكهم بتأييد الله لهم والنصر ، وأورثوها أبناءهم وأبناء أبنائهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم . فلما خالفوا ما جاءهم به رسولهم من الهدى ، وأحلهم الرزايا الجميحة والردى ، وسلط عليهم من رعايع الفوغاء وآحاد الدماء من ألحقهم بعد الملك والمهلك ، وحطهم بعد الرضة ، وأذلهم بعد اللمة ، وصيرهم من رتب الملوك إلى حالة العبد الملوك ، جزاء بما اجتروا من السيئات ، واقتروا من الكبائر للوقبات ، واستحلوا من الحرمات ، واستهواهم به الشيطان من اتباع الشهوات ، وليمتبر أولو البصائر والأهلام ، ويمشئ أهل النهى مواقع يقيم الله الميزنى الانتقام ، لا إله إلا هو سبحانه^(٢) .

(١) في هامش س المبارة الصغيرة الآية : " الخلم النفير الجماعة ، أى سلسوا الناس جميعاً " .

(٢) في هامش س المبارة الآية : " روى وكيع عن كامل ابن الملاء عن حبيب بن ثابت عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا مسعر قريش ، إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تعدنوا أعمالاً تخرجكم منه ، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه ، فالنعم كما يتبعى الضيغ » " .

أما بعد ، فإنه لما يسر الله له الحمد ، بإكمال كتاب عقد جواهر الأساطير من أخبار مدينة القسطنطينية^(١) ، وكتاب تصانيف الخلفاء بأخبار الخلفاء^(٢) ، وما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان في أيامهم من الحوادث والأبناء ، منذ فتحت وإلى أن زالت الدولة الفاطمية وانقضت ، أحييت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بدم من الملوك الأكراد الأيووية ، والساطين للماليك التركية والمركسية ، في كتاب يمحصر أخبارهم الشائفة ، ويستقصى أعلامهم الفاضلة ، ويحوى أكثر ما في أيامهم من الحوادث والمجريات ، غير معتنى فيه بالتراجم والوفقيات ، لأنى أفردت لها تأليفاً بديع المثال بعيد المثال^(٣) ، فالتفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار لليل والاختصار للحل ، وسميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . وبالله أستعين فهو المعين ، وبه أعتضد فيما أريد وأعتد ، فإنه حسبي ونعم الوكيل .

(ب) ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام

اعلم أن الناس كانوا بأجمعهم ، قبل مبث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما بين عرقي ويحبي ، سبع أمم كبارهم : الصين وهم في جنوب مشرق الأرض ، والمندوم في وسط جنوب الأرض ، والسودان وهم جنوب مغرب الأرض ، والبربر وهم شمال مغرب الأرض ، والروم وهم في وسط شمال الأرض ، والترك وهم في شمال مشرق الأرض ، والفرس وهم في وسط

(١) ليس بدار الكتب المصرية نسخة من هذا الكتاب . على أنه موجود بمكتبة الدولة ببرلين ، ضمن مجموعة خطية رقها ٩٨٤٥ ، في الجزء التاسع من ٣٢٦ من كتالوج المخطوطات العربية بها . ورقم المخطوط في هذه المجموعة ٥٦ .
(٢) طبع لأول مرة من نسخة وحيدة سنة ١٩٠٩ بالقدس الشريف . وقد كتب له ناشره هوجونز (Hugo Bunz) مقدمة .
(٣) يقصد المؤلف بهذا كتاب المفق الذي أراد تأليفه في تراجم حكام ومعموري مصر في ثمانين مجلدا ، ولكنه لم ينتج منه سوى ستة عشر ، ومن هذه ثلاثة بخطه محفوظة في مكتبة ليند هولندية تحت رقم ١٠٣٢ ، وجزء واحد آخر منها في باريس بالمكتبة الأهلية بالقسم العربي رقم ١١٤٤ وربما قصد المقرئ بهذا كتاب درر المقود القريبة في تراجم الأعيان الغيبة الذي لم ينتجها كذلك . غير أن هذا الكتاب الثاني كان مقصورا على تراجم المعاصرين ، والجزء الأول منه المشتمل على الأسماء من حرف الألف إلى حرف الين موجود بمكتبة مدينة جوتا (Gotha) بألمانيا تحت رقم ١٧٧١ 'اطر (Euc. Isl. Art : Makrizi) .

هذه الممالك ، قد أحاطت بهم هذه الأمم الست ^(١) . وكانت الأم كلها في قديم الدهر ، قبل ظهور الشرائع الدينية ، صنفًا واحدًا مُستعَيْنَ باحسين سمينين ^(٢) وكلدانيين ^(٣) ؛ ثم صاروا على خمسة أديان ، وهي الصابئة ، والمجوس ، والذين أشركوا ، واليهود ، والنصارى .

فأما الصابئة فلها التي تعبد الكواكب ، وترى أن سائر ما في العالم السفلى المعبر عنه بالحياة الدنيا ناشئ وصادر عن الكواكب ، وأن الشمس هي المقيضة على الشكل . [وهذا الدين أندم هذه الأديان ، وبه كان يدين أهل بابل من السككديانيين ، وإليهم بعث الله نوحًا وإبراهيم ، صلوات الله عليهما . وكانت الصابئة تتخذ التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وتعبدها ، فتصلي إليها وتقرّب لها القرابين ، وتعتقد أنها تجلب النفع وتدفع السوء . وبقيت منهم بقايا بأرض السواد من العراق وجمّان والرها ، أدركوا الإسلام وعرفوا بالنبط والبحرانيين ^(٤) ، ولم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ غلبهم فارس ، فلما كانت أيام المأمون أسقطوا عن أنفسهم اسم السككديانيين ، وتسموا بالصابئين .

وأما المجوس فإنهم الذين يقولون بالهين اثنين ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخر فاعل الشر وهو الظلام ، ويقال لهم الثنوية أيضًا . واتخذوا لهم بيوت نيران لا تزال تقد أبدًا ،

(١) هذا القسم مخالف لما توارى في كتب جغرافي العرب وروايتهم كياقوت (انظر معجم البلدان : ج ١ ، ص ٢٥ — ٣٥) . وقد اتبع المفريزي هذا القسم الزدكي القائم على أساس تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم يقع السابع وهو فارس والبلاد الإيرانية في وسطها . (Blochet : Hist. d'Ég. P. 69, N. 1.) .
(٢) كذا في س ب وهي مترجمة إلى (Samanéens) في (Blochet : Op. cit. P. 60) . ويشرح هذه التاموس الفرنسي (Ora. Dict.) بأنها اسم أطلقه كتاب اليونان على بني متكفة الغنود تميزا لهم عن الفريسيين . وعلى هذا تكون بضم السين لبة إلى معبد بلدة سمات التي كان قائما بشاطئ شبه جزيرة كياوار بالمند (Enc. Isl. Art. Sümané) . ولم يكن مذهب السمينين مقصورا على المند ، بل كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم على هذا المذهب ، وقد عُرِفَ أيضا بين المسلمين في مصر الباسي . (أحمد أمين : هيى الاسلام ، ص ٢٤١ — ٢٤٢) . على أن هنا كله لا يوضح عبارة المفريزي ، وقد ورد في الخوارزمي (مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) " وكان الناس على وجه الدهر سمينين وكدانيين ، طاسنيون ثم عبدة الأوثان ، والسككديون ثم الذين يسمون الصابئين ... " .

(٣) في س ككديانيين بالتال ، وقد وردت أيضا في نفس الصفحة بالذال وهي القراءة الخوارزة .

(٤) لبة إلى بلدة سمرقان الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة الرها . وقد ساق ابن التديم هذه النسبة في كتابه (ابن التديم : كتاب الفهرست ، ص ٣١٨ ؛ والخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) .

وكانت إلى هذه النيران صلواتهم وقرابينهم ، ويستقلون فيها النفع والضر . وعلى هذا الاعتقاد كانت الأكاسرة ملوك فارس بالرق . وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام كسرى أنو شروان . وأزال الربُّ ملكهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وملكوا منهم اللدائن وجولاء وغيرها ، وقتل يزدجرد آخر ملوكهم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولم يبق بعده قائم من الأكاسرة ، وتفرق الفرس وذهب ملكهم إلى اليوم . وقد تقدّم في كتاب عقد جواهر الأسفاط ذكر ملوك الفرس فراجمه .

أما الذين أشركوا فإنهم وإن وافقهم الصائبة والمجوس في عبادة التماثيل والنار من دون الله ، فإن العرب الذين بث الله فيهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يقال لهم للمشركون سِمةٌ لهم ، واسماٌ لهم . وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت ^(١) من دون الله ، فيسجدون ويصلون ويذبحون للتماثيل عندهم ، قد اتخذوها من الحجر والخشب وغيره ويزعمون أنها تجلب لهم النفع ، وتدفع عنهم الضر . ويستقد للمشركون مع ذلك (١٥) أن الله سبحانه هو الذى خلقهم ، وهو الذى وجدهم ثم يميتهم ، وهو الذى يرزقهم ، وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله سبحانه . وكانوا إذا مسهم الضر في البحر من شدة هبوب رياحه وعظم أمواجه ، وأشرفوا على الهلاك ، نسوا عند ذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ودعوا الله يسألونه النجاة . وقد دعا الله ، وله الحمد ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الشرك من العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجا ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، إلى أن ظهر دين الإسلام بهم على سائر الأديان ، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها بما تطوّه الدواب ، وتمر فيه السفن . وقد ذكرنا أيضاً في كتاب عقد جواهر الأسفاط قبائل العرب وبطونها ذكراً شافياً فتأمله . وأما اليهود فإنهم أتباع نبي الله موسى بن عمران ، صلوان الله عليه ، وكتبهم التوراة . وكلهم أبناء إبراهيم الخليل ، ويعرفون أيضاً بنى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، صلوات الله عليهم . وكانوا اثني عشر سبطاً وملكوا الشام بأسره إلا قليلاً منه إلى أن زالت

(١) في س الطواغيت بالتاء .

دولتهم على يد مجتصر ، ثم على يد طيطش^(١) ، وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة ، وإنما هم أم متفرقون في أقطار الأرض ، تحت أيدي النصارى . وقد ذكرنا أيضا جميع ملوكهم في كتاب عقد جواهر الأسفاط .

وأما النصارى فلهم أتباع نبي الله المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه ، وكتابهم الإنجيل . وجاء الله بالمسيح إلى بنى إسرائيل فكذبوه إلا طائفة منهم . ثم انتشر دينه بعد رفضه بدمهم ، فدخل فيه الروم والقيط والحيشة وطائفة من العرب ، وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام ، فقاتل المسلمون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم هرقل آخر الملوك القياصرة وأتباعه حتى ملكوا منه بلاد الشام وأرض مصر ، وأخرجوه إلى جزائر البحر . ثم قاتل المسلمون القوط والجلالة^(٢) ، وملكوا منهم إفريقية والأندلس وسائر بلاد المغرب ، وتاجروا والحرب والقتال لروم حتى انقضى ملكهم ، وقام من بعدهم الإفرنج . وقد ذكرنا في كتاب عقد جواهر الأسفاط . وفي كتاب اللواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جملة من حروب الروم والترنج للمسلمين . وإلى وقتنا هذا ملوك الفرنج ورعيهم ، وملوك أكثر بلاد الحبشة ورعيهم ، يدينون بدين النصرانية .

فهذه : أعزك الله ، ديانات أهل الأرض عند (٥ ب) مبث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت الممالك يومئذ على خمسة أقسام : مملكة فارس ويقال لمن ملك منهم كسرى ؛ ومملكة

(١) مجتصر واسمه في الرابع الأوربية نبوتاد رززار (Nebuchadrezzar) ، هو ملك بابل من ٦٠٤ إلى ٥٦١ ق . م . وقد خربت جيوشه بيت المقدس عاصمة اليهود مرجين ، سنة ٥٩٧ و ٥٨٦ ق . م . أما طيطش (Titus) فهو إمبراطور الدولة الرومانية من ٧٩ إلى ٨١ م ، وكان قبل ذلك أحد القواد المهرة في الدولة ، وعمل يديه فتح بيت المقدس سنة ٧٠ م ، في حكم أبيه الإمبراطور فيسباسيان (Vespasian) . وقد كان طيطش وأبوه قبل أن يصبح إمبراطورا ، يشتركان في حرب اليهود منذ أواسط القرن الأول الميلادي .

(Rappoport : History of Palestine. PP. 170, 216-218).

(٢) نسبة إلى جهات جليقية (Galicia) في الغالي الغربي من شبه جزيرة ليبيريا . وقد ساق هذه النسبة ياقوت في معجم البلدان (راجع ج ١ ، ص ٣٧٦ و ج ٢ ، ص ١٩٠) . والجلافة نسبة جغرافية إلى هذه الجهات ، أما من حيث الجنس فظم سكان جليقية أيام الفتح الإسلامي للأندلس ثم عنصر السويشي Saevi ، وقد حلوا فيها منذ سنة ٤١١ م ، وأسسوا بها مملكة عاشت حتى سنة ٥٨٥ م ، حين قضى عليها القوط ؛ فاستعالت ولاية قوطية تابعة .

(Camb. Med. Hist. Vol II, pp. 170, 258.)

الروم ويقال للملكها قعصر ، وكانت الحرب لا تزال بين الروم وفارس ويدهما أكثر للممور ؛
وعلمكة الترك وكانت ملوكهم تخارب ملوك القرس ، ولم يكن لهم قط فينا بلشنا من أخبار
الخليفة غلبة على الممالك ؛ وعلمكة الهند وحسب ملوكهم ضبط ما بيدها فقط ؛ وعلمكة
الصين ؛ وأما بنوحام من الحبشة والنج والبربر فلم يكن لهم ملك يُعتد به .

ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء

اعلم أن الله بث نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، صلى الله
عليه وسلم ، على رأس أربعين سنة من عمره ، فدعا قومه من قريش بمكة ثلاث عشرة سنة ،
وهاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها عشر سنين ، وتوفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة ، وقد
ذكرنا جملة سيرته في أول كتاب عقد جواهر الأسفاط . فقام بعد وفاته ، صلى الله عليه
وسلم ، بأمر الإسلام والمسلمين ، الخلفاء الراشدون مدة ثلاثين سنة ، وعدتهم خمسة : هم
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واسمه عبد الله بن عثمان أبي خثافة مدة سنتين وثلاثة أشهر
غير خمس ليال ؛ وعمر بن الخطاب بن قُطَيْل العدوي مدة عشرين سنة وستة أشهر وأربعة أيام ؛
وعثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مدة اثنتي عشرة سنة
إلا اثني عشر يوما ، وقيل إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، وقيل
ثمانية عشر يوما ؛ وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم مدة أربع سنين وتسعة أشهر
وسنة أيام ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل أربعة عشر يوما ؛ والحسن بن علي بن أبي طالب مدة
خمس أشهر ونحو نصف شهر ، وقيل ستة أشهر ، وبه تمت أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .
وصارت الخلافة مُلكا عَصُوصًا ، أي فيه عسف وعنف ، وانتقل الأمر إلى بني أمية .

وأول من ولي منهم معاوية بن أبي سفيان ، واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف ، ومدة تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وقيل ثلاثة أشهر إلا أياما . وقام من بعده
ابنه يزيد بن معاوية مدة ثلاثين سنة وستة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك ، وليس
بشيء . فولى بعده معاوية بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر ، وقيل أربعين يوما . وقام بعد يزيد

أيضاً عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بالحجاز ، وخالف عليه مروان بالشام ؛ فكانت مدة ابن الزبير إلى أن قتل بمكة تسع سنين . وقام بعد معاوية ابن يزيد بالشام مروان بن الحكم بن أبي العاصي (١٦) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، مدة عشرة أشهر . وقام من بعده ابنه عبد الملك بن مروان ، واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على حرب عبد الله بن الزبير قتله ، وأقام عبد الملك بعد قتله ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال . وقام بعده ابنه الوليد بن عبد الملك مدة تسع سنين وسبعة أشهر . وقام بعده أخوه سليمان بن عبد الملك ستين وثمانية أشهر وخمسة أيام ، وقيل إلا خمسة أيام . وقام بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ستين وخمسة أشهر . ثم قام بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان مدة أربع سنين وشهر وأيام . وقام بعده أخوه هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحدًا^(١) وعشرين يوماً ، وقيل ثمانية أشهر ونصف . وكان قد اتخذ طرازاً له قُدِّر ، واستكثر منه حتى كان يحمل ما أثر^(٢) فيه طرازه على سبعمائة جل ، فذه ثيابه التي لبسها ، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه ؟ فقام من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويعرف يزيد الناقص ، مدة سنة وثلاثة أشهر ، وقيل شهرين واثنتين وعشرين يوماً . فبيع بعده ابنه يزيد بن الوليد ، وفي أيامه اضطربت الدولة ، وولى مدة خمسة أشهر وأياماً . فقام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد مدة أربعة أشهر ، وقيل سبعين يوماً ، ولم يتم له أمر . وقام بعده مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويعرف بمروان الجعدي وبمروان الحمار . وفي أيامه ظهرت دولة بني العباس ، وحاربوه حتى اقتلوه بأرض مصر ، وله في الخلافة منذ بيع خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً . وانقرضت بمقتل مروان دولة بني أمية . وقامت من بعدها دولة بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشرة أشهر وأيام ، فيها افتقرت كلمة الإسلام ، وسقط اسم العرب

(١) في س واحد .

(٢) كذا في س يهنا الضبط . وفي محيط المحيط : أثر في الشيء ترك فيه أثراً ، فاعل المراد هنا ما استعمله الخليفة من الثياب . وقد ترجم هذا اللفظ بمعنى أثر أي اختلف (Blocket Op. cit. P. 67.)

من الديوان ، وأدخل^(١) الأتراك في الديوان ، واستولت عليهم ثم الأتراك ، وصارت لهم دول عظيمة جداً ؛ واهتمت بممالك الأرض عدة أقسام ، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالصف ويملكهم بالقر . وكان أول من قام من خلفاء بني العباس السفاح ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، مدة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم . وكان سريعاً إلى سفك الدماء ، سفك ألف دم فاقبمه عماله في الشرق والغرب في فله ، وكان مع ذلك جواداً بالمال ، فاقتدى به في ذلك عماله أيضاً . ثم [ولي بعده] أخوه أبو جعفر المنصور ، واسمه أيضاً عبد الله بن علي ، فأقام مدة إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً . وهو أول من أوقع القرعة بين ولد العباس وولد علي بن أبي طالب ، وكان قبل ذلك أمرهم واحداً ؛ وهو أول خليفة قرب المتجسسين ، وعمل بأحكام التجسس ؛ وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات ؛ وأول من استعمل مواله وغلمانه في أعماله ، وقدمهم على العرب ، فاقتدى به من بعده من الخلفاء ، حتى سقطت قيادات العرب ، وزالت رياستها ، وذهبت مراتبها . وكان قد نظر في العلم ، فكثرت في أيامه روايات الناس واتمت علومهم . فقام بعده ابنه المهدي أبو عبد الله محمد [مدة] عشر سنين وشهر ونصف ؛ وكان سخيّاً جواداً ، فسلك الناس في ذلك مسلكه ، واتسموا في ما يشبهه ؛ وأمن في قتل المبلعين لظهورهم في أيامه ، وانتشار كتبهم ؛ وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدین ، فصنفت في أيامه ؛ وعمر مسجد مكة والمدينة والقدس ، ثم ولي بعده ابنه الهادي بالله أبو محمد موسى سنة وثلاثة أشهر ؛ وكان جباراً ، وهو أول من شنت الرجال بين يديه بالسيف المرفعة ، والأعمدة المشهورة ، والقيس الموتر ، فاقتدى به عماله ، وكثر السلاح في محضره . فقام بعده أخوه هارون بن محمد الرشيد ، مدة ثلاث وعشرين (٦ ب) سنة [و] شهرين وثمانية عشر يوماً ، وقيل وشهر وستة عشر يوماً ؛ وكان مواظباً على الحج ، متابهاً للفرز ، واتخذ المصانع^(٢) والآبار والبرك والقصور بطريق مكة ، وبمكة ومني وعمرات والمدينة النبوية ،

(١) في من أدخل بالهاء المهلة وينت ضبط ، وفي محيط المحيط : دخل وأدخل دخل في البحر وهو التقب الذي فيه ضيق وجوفه متسع .

(٢) جمع منع وهو كالموض يحسم فيه ماء الطر . والمصانع أيضاً القرى والمباني من القصور والمصون (محيط المحيط) .

وعمّ الناس إحسانه وعده ؛ وبنى القنور ، ومدّن المدن ، وحصن فيها الحصون ، مثل طرسوس وأذنة^(١) ؛ وعمر المصبى ومرعى وغير ذلك ، فافتدى الناس به . وهو أول خليفة لعب الصوالجة في الميدان ، ورمى بالشاب^(٢) في البرجاس ، ولبس بالسكر ، ولبس بالشطرنج ، وقرب أبواب هذه الأمور ، وأجرى لهم الأرزاق ، فافتدى به الناس . وكانت أيامه كأنها من حسناتها أعراس . فبوع بعده ابنه الأمين محمد بن هارون ، وأقام أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ، قدّم الخدم ، ورفض منازلهم ، وشفّف بهم ، فاعتخذت له أمه الجوارى الثلاثيات^(٣) فاعتخذ الناس في أيامه [ذلك] . فقام من بعده أخوه المأمون عبد الله بن هارون ، مدّة اثنتين وعشرين سنة منذ سلّم عليه بالخلافة ، ومدّة عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل وخمسة وعشرين يوماً ، بعد قتل أخيه ، وكان أولاً ينظر في أحكام النجوم ويعمل بموجبها ، ويكثر النظر في كتب التقدماء من الحكماء ؛ فلما قدم بغداد أعرض عن ذلك كله ، وقال بأقوال المعتزلة ، وقرب أبواب العلوم ، وطلبهم من الأكافق ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناس في العلوم الجدلية ، وصنف كل أحد فيها ما ينصر به مذهبه ، وكان كريماً عفواً ، فافتدى الناس به في أحواله كلها : وقام بعده المأمون أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد ابن هارون ، مدّة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثلاثة أيام ، وهو أول من أدخل الأتراك الديوان ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يطلب عليه الفروسية ، ويتشبه بالعجم في عامة أحواله^(٤) ... وقام من بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد ، مدّة خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام . وفي أيامه كانت الخنعة^(٥) ؛ وكان كثير الأكل ، واسع الطعام . فقام من بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ، مدّة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ؛

(١) في س "واذ" ، وفاق المروفي غير ظاهر . (٢) في س بالشاب .

(٣) كذا في س ، ب (ص ١٦) . والثلاثيات الجوارى يُدَبَّرْنَ لبس العنان (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) بقية هذه العبارة لم تبس قراءتها تماماً . على أنه من المحتمل أن قرأ هكذا "وكان لهم إلى به ، فكتبوا في ... " .

(٥) يشير المؤلف هنا إلى محنة خنك القرائن ، التي اشتد أولها في عصر المأمون والمعتصم والواثق ، والتي كان من ههنا في عهد الواثق أحد بن نصر (راجع الطبري . تاريخ الرسل والملوك . ج ٣ ، ص ١٤٤٣ - ١٤٥٠) .

وقتل الأتراك ، وتحكموا من حينئذ في ممالك الدنيا^(١) ، وهو الباقى رفع الحنة ، ونهى عن الجدل وعاقب عليه ، وأمر بإظهار رواية الحديث . وأقاموا بعده ابنه للمتصم محمد بن جعفر ، فمات بعد ستة أشهر تنقص أياما . وأقيم بعده المستعين بالله أحمد بن محمد للمتصم ، فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وخلفه الأتراك وعذبوه ، ثم قتلوه بعد تسعة أشهر من خلفه . والمستعين أول من أحدث لبس الكيام^(٢) الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغر القلائس وكانت قبله طولا . وأقيم بعده للمعز بالله محمد بن للتوكل ، ثم خلفه الأتراك وعذبوه بالضرب حتى مات ، فكانت خلافته مدة ثلاث سنين وستة أشهر وواحد^(٣) وعشرين [يوما] ، وقيل وأربعة وعشرين يوما . وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب — وكان من قبله من خلفاء بني أمية وبنو العباس يركبون بالحليّة الخفيفة من الفضة في المناطق — واتخاذ السيوف والسروج واللباس ؛ فلما ركب للمعز بحلية الذهب تبعه الناس في فعل ذلك . وأقيم بعده المهتدى بالله محمد بن الواثق ، ثم قتل الأتراك بعد أحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما ، وأقيم بعده للمعتد بالله أحمد بن للتوكل ، فقتله الأتراك ، واستبد عليه أخوه الموفق بالله أبو أحمد طلحة ؛ وخرج في أيامه صاحب الزنج^(٤) ، فغاربه الموفق أعوانا كثيرة . ثم مات [الموفق] بعد قتله صاحب الزنج ، فاختلفت أمور للمعتد وقتل ، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما . وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به . فقام من بعده للمتصد أحمد بن الموفق طلحة واستبد بالأمر ؛ وخرجت القرامطة في أيامه ، ومات وله في الخلافة مدة عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل تسع سنين وسبعة

(١) إذا هذه العبارة في س حاش على ورقة منفصلة ، وهو يقتض على آراء متضدة في أصل يحيى بن بويه . ويظهر أن لاسق هذه الورقة قصد أن يضاهي اتجاه ما ورد في الكتاب عن دولة يحيى بن بويه ، ولهذا الاحتمال أرى " إيراد هذا الحاش حتى يبيى ما في سلب الكتاب عن هذه الدولة (انظر ص ٢٣) .

(٢) " الكيام جمع كمة وهي نوع من القلائس " . عن حاش بهذا الضبط في س .

(٣) في س واحد .

(٤) أطلقت هذه التسمية على زعيم تلك الثورة الطوية ، وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم ، لأنه " جمع إليه الزنج الذين كانوا يكسعون الباغ " بالبصرة (راجع الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ، ص ١٧٤٢ — ٧١٠٣) .

أشهر واثنين وعشرين يوما . ولما مات كفن في ثوبين قيمتهما ستة عشر قيراطا . فولى بعده ابنه المكتفى بالله على^١ ، وجدّ في حرب القرامطة وهزمهم ، وأزال دوله بنى طولون من مصر والشام ، ومات وله مدة ست سنين وستة أشهر وستة عشر [يوما] ، وقيل تسعة عشر يوما . فأقيم من بعده أخوه المعتذر بالله جعفر ابن المتصد ، وعمره ثلاث عشرة سنة وشهران^(١) وثلاثة أيام ، لم يبلغ الحلم . (١٧) وهو أول من ولى الخلافة من الصبيان ، فغلبت على أموره النساء والنصبيان ، وأكثر من قتل الوزراء وتشيريم ، فاضطربت عليه الأمور ، فلم يبق غير أربعة أشهر . وخلع بعبدة الله بن المعتز ، ثم قُتل ابن المعتز بعد يوم وليته . وأعيد^(٢) المعتذر ، وخرجت القرامطة في أيامه ، وأخذوا الحبر الأسود من السكبة إلى بلادهم ؛ وخرج عليه أيضا الفيل ؛ وظهر عيد الله المهدى بإفريقية ودعا نفسه ، وقطع دعوة بنى عباس من بلاد المغرب وبرقة . ثم إن المعتذر خلع مرة ثانية ، وأقيم بدله القاهرة بالله محمد ابن المتصد . ثم أعيد المعتذر ، وغلب عليه أصحاب التواوين ، ولم يحملوا له أمرا ينفذ ، وصارت تُنزل^(٣) القاهرة إحدى جواريه تجلس للظالم ، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء . وفي أيامه اختلع الحج ، وكثر المزل والمجون ، وآخر أمره أنه قتل بعد ما أقام في الخلافة أربعا وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وقيل واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، عندما خرج على الجنود قد شغبوا وهو متشع بالردة النبوية ، فقتل وتلوث بالدم . فقام من بعده القاهرة بالله محمد بن المتصد ، ثم خلع وكحل بمسار ، وفدح في النار مرتين ، حتى سالت عيناه بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام . وأكل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع ، ويسأل الناس فيقول : ” يا معاشرة الناس ، أنا بالأمس كنت خليفةكم ، واليوم أسألكم ما في أيديكم “ فيتصدق عليه وقام من بعده في الخلافة الراشدة بالله محمد بن المعتذر ، وفي أيامه استولى الروم على عامة الثغور ؛ وكان مغلوبا عليه مع مواليه ، لا يقدر على شيء ، ومات بعد ست سنين وعشرًا شهر وعشرة

(١) في س وشهرين .

(٢) في س ” واستمر “ .

(٣) ضبط هذا الاسم هكذا فلا عن ناشر ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ،

ج ١ ، ص ٨٤) . راجع أيضا الجزء الأول من الترجمة الإنجليزية للكتاب عنه ، ص ٩٣ ، حيث يرد اسم هذه التهرمة مترجما (Thumal) .

أيام ، وقيل وتسعة أيام من خلافته . والراضي آخر خليفة له شر مدون ، وآخر خليفة اخرد بتدير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة بنى ، وآخر خليفة خطب يوم جمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء ، ووصل إليه الندماء^(١) ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه ، وعطايا وخدمه ، وجراياته وخزائنه ، ومطابخه وشرابه ، ومجالسه وحجابه وأموره ، جارية على ترتيب الخلافة الأول ، وآخر خليفة سافر بزي الخلقاء القديماء ، وقد سافر بعده المتقى والطائع . ثم قام بعده أخوه المتقى إبراهيم بن المقتدر ، وكان خيراً عابداً ؛ وفي أيامه تقلب بنو حمدان على الجزيرة والشام ، وكثر الاختلاف عليه ، فخلعه تُوْزُون التركي ، وكحله كالحل القاهر ، ثم حبسه مع القاهر وهما مكحولان ، فقال القاهر :

صرتُ وإبراهيم نَخْنَى عَمَى لَا بَدَ لِلنَّخْنَى مِنْ صَدْرِ^(٢)

مَا دَامَ تُوْزُونُ لَهُ إِمْرَةٌ مَطَاعَةٌ فَالْيَسِيلُ فِي الْجَنْبِ

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ، ومات بعد خلعهم بخمسين وعشرين سنة . وقام من بعده لما خلع ، المستكفي^(٣) بالله عبد الله بن المكتفي ، فاستولت الديلم على البلاد ، ووقع الاختلاف عليه ، فقبض وكحل على يد معز الدولة أحمد بن بويه ، فكانت أيامه سنة وأربعة أشهر ويومين . وأقيم من بعده المطيع لله الفضل بن المقتدر ، فأقام تسعاً^(٤) وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد^(٥) وعشرين يوماً ، ليس له سوى الاسم ، والمدير للأُمُور معز الدولة ، و[قلد] فرض لنفقة المطيع في كل يوم مائتي دينار . وفي أيامه قدمت عساكر المزلدين الله أبي تميم معد إلى مصر ، وانقطعت الدعوة السياسية من مصر والشام . وأقام [المطيع] إلى أن خلع نفسه ، وأقام ابنه الطائع لله عبد الكريم ، فكث [الطائع] سبع عشرة سنة وتسعة أشهر

(١) في س التماس .

(٢) النَخْنَى والنَّخْةُ البَرُّ والموامل والخمر ؛ وأما المَدْر فهو مصدر من صَدَرَ ، فيقال صدر فلان بغيره أى عَدَّ حِلا من حزامه إلى ما وراء الكركرة (عبيد المحط) .

(٣) على هذا هامش في س ، ولما لم تستقم عبارته تملأ مع التي روى ليرده هنا وهو : " صَلَّبَ [المستكفي] الفضل بن المقتدر لما بينهما من المداوة ، فخر [الفضل] إلى أحمد بن بويه ، فأقواه إلى أن مات تُوْزُون ، [ثم] قدم به بغداد . وكان المستكفي بظاهر بالتشيع وموالة علي بن أبي طالب ، وقد كحل أيضاً ، فكحل صدر النخني الذي قال القاهر في شعره " .

(٤) في س تسعة . (٥) في س واحد وعشرين .

وسنة أيام محكوماً عليه بنفى بويه، ثم خلع وحبس قهراً ذليلاً حتى مات. وكان [الطائع] كثير الانحراف على آل علي بن أبي طالب، وسقطت الملية في أيامه حتى هجاء الشراء وطولوا. وقام من بعده القادر (٢) بالله أحد بن إسحاق بن المعتز، فأقام إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان ديناً باراً [بأهله] ^(٣) وبالطالبيين. وفي أيامه عظمت الديلم والباطنية، واشتهر مذهب الاعتزال، ومذاهب الباطنية والرافضة، وانتشر ذلك في الأرض. وفي أيامه ظهر السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ^(٤)، وغزا الهند. وقام من بعده ابنه القائم بأمر الله عبدالله، فنار عليه أرسلان الباسيري ^(٥)، وصار يدعى له على منابر العراق والأهواز، فكتب القائم إلى السلطان طغرل بك بن ميكائيل ^(٦) بن سلجوق التركاني، وأول ملوك بني سلجوق، فقدم بغداد وفرقه منه الباسيري بمن معه من الأتراك، واتى إلى المستنصر بالله مدد بن الظاهر الفاطمي صاحب مصر، فأمدّه بالأموال حتى أخذ بغداد، وقطع مناداة بني العباس، وخطب للمستنصر بها نحو سنة، والقائم محبوس. ثم قدم طغرل بك وأعاد القائم إلى الخلافة، وقتل الباسيري، وتحكم في سائر الأمور، فلم يزل القائم في الخلافة حتى مات، وله مدة أربع وأربعين سنة وثمانية أشهر. وكان ديناً خيراً كثير الصلاة، إلا أنه كان كثير الإصغاء إلى من يشير عليه. فاتفق أن وزركه رجل من سوسة بغداد يعرف بابن المسلة ^(٧)، فحسن له مجيئاً الفز، لأنه كان منفرقاً عن الشيعة،

(١) يمكن قراءة هذه الكلمة في س "أديا"، وقد اعتبرها كاتب نسخة ب هكذا (س ١٨). غير أن الحدين هو الصفة التي امتاز بها القادر من معظم الباسيين، فقد جاء فيه "أنه سلك من طريق الزهد والورع ما قدمت فيه خطاه. فكان راهب بنى العباس حقا وزاهد مدنا، ساس الدنيا والدين، وأغاث الإسلام والسلمين". انظر الزوهروري: ذيل كتاب تجارب الأمم، ص ٢٠٧.

(٢) ليست موجودة في س، ولكنها في ب (س ١٨).

(٣) هكذا خطها مارجليوت في ترجمته لكتاب ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب الأمم، ج ٢ من الترجمة، ص ١٢٠، وكذلك التهرس في مادة (Sabuktakin). أما في س فهي سبكتكين بهذا الضبط.

(٤) في س التماسيري وأحياناً بلا قطة على التين (راجع ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٩٨).

(٥) هكذا ورد في ابن الأثير (تس للرجع، ج ٩، ص ٤١١)، وهو في س ميكال.

(٦) في س «ابن المسلة» بغير ضبط، وقد تهلها كاتب نسخة ب جاء مفتوحة (س ١٨)، والصحيح ما هنا، انظر ابن الجوزي: التلخيص، ج ٨، ص ٢٠٠.

فكانتهم القائم ، فلما جاءوا كان من أمرهم وأمر الباسيرى ما كان . وقام من بعده المتحدى بأمر الله عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ، فلم يكن له سوى الاسم ، لا يتعدى حكمه بابه ، والتدبير إلى ملك شاه بن عضد الدولة ، وأقام على ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين ، وقيل إلا خمسة أيام . وأقيم بعده ابنه المستظهر بالله أحد ، فأقام محكوماً عليه خمسا وعشرين سنة ، وقيل أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحداً وعشرين^(١) يوما ، ومات . وفى أيامه أخذ الفرج بيت المقدس من المسلمين ، واستمر ملكهم^(٢) به . وقام من بعده ابنه المسترشد بالله الفضل بن أحد ، وقُتِل بعد سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما . فقام بعده ابنه الراشد بالله منصور ، وخُلع ثم قُتِل ، فكانت خلافته سنة تنقص عشرة أيام . وبويع [قبل ذلك] للمتقنى لأمر الله محمد بن المستظهر ، فصفت له الدنيا ، وسعد بوزيره عون الدين يحيى بن محمد بن هُبَيْرَة ، وقَبِض على جماعة من للتغلبين ، وخرج بنفسه وحارب من ناواه ، وأقام أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحداً وعشرين^(٣) يوما . فبويع [بعده] ابنه المستبجد بالله يوسف ، وأقام إحدى عشرة سنة وشهراً واحداً ، ومات . فبويع [بعده] ابنه المستغنى بأمر الله الحسن ، وفى أيامه أعيدت الخطبة الباسية بالقاهرة ومصر ، بعد انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة ، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى الكردى ، (١٨) ومات [المستغنى] بعد عشرين سنة تنقص أربعة أشهر . فقام بعده ابنه الناصر لدين الله أحد ، مدة ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وفى أيامه ابتدأ ظهور جنكيزخان . ورؤى [الناصر] مرة وعليه [قباء] أبيض برسوم [ذهب] فيه ، وعلى [رأسه] قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من فَنَك أو نحوه ينقشه [بزى] الأراك^(٤) . وقام من بعده

(١) فى س واحد وعشرين .

(٢) يعبر المؤلف إلى إجداء المروب الصليبية ، وإلى تتوجت بفتح المسيحيين لبيت المقدس فى ٢٣ شبان سنة ٤٩٢ هـ ، الموافق ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩ م .

(٣) فى س واحد وعشرين .

(٤) هذه البشارة كلها من أول " ورؤى " إلى كلمة " الأراك " موجودة بهامش فى س ، وإزاوية اليمنى العليا من الصفحة ، ويصح انقائها خاتم ، ولا يدل على بعضها الآخر سوى الحرف الأول . غير أن نسخة ب (س ٨ ب) تحوى البشارة كاملة ، ما عدا كلمة " الناصر " التى أخفيت هنا للايضاح . أما فتنك فغير أن فروته ثينة ، قيل هو نوع من جراء التلب الفرك . انظر ذكرى الأنصارى : شرح النهج ، ج ٥ ، س ٢٧١) . والبشارة كلها مستمدة فيما يبدو من ابن جبير : حيث يوجد وصف طويل لتصور الخلافة ، وشخص الخليفة ، وأهل بتداد

ابنه الظاهر بأمر الله محمد ، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، ومات . فقام بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور مدة سبع عشرة سنة غير شهر ، وقيل خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام ؛ وفي أيامه قصد التتار^(١) بغداد ، فاستخدم [لحربهم] الماسكر ، حتى بلغت عدتها نحو مائة ألف . وقام من بعده ابنه المستنصر بالله عبد الله ، فجمع الأموال ، وقطع كثيراً من الماسكر ، فقدم التتار ببغداد ، وقتلوه في سادس صفر سنة ست وخمسين وستائة ، وله في الخلافة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام : وانقرضت دولة بني الصباس بزواله ، وصار الناس يسمون خليفة إلى سنة تسع وخمسين [وستائة] . فأقيم [في تلك السنة] خليفة بمصر قديم إليها من بغداد ، لُقِّبَ بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر ، وسار يريد بغداد فخاربه التتار وقتلوه ، قبل أن تتم له سنة منذ بويج بمصر . فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلاً يسمونه الخليفة ، ويلقبونه بلقب الخلفاء ، وليس له أمر ولا نهي ولا نفوذ كلكة ، بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة ، تهنتهم بالأعياد والشهور ، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله .

(١) كذا في س بير ضبط . ويكتب المؤلف هذا الاسم في سائر هذا الجزء أحياناً بالرسم الوارد هنا ، وأحياناً "التز" بغير ضبط أيضاً ، وأحياناً أخرى "الطزر" ؛ هذا ولاسم "التز" رسم ثالث هو "التتار" ، ولكنه غير وارد في هذا الجزء من الكتاب ، وكلها أسماء لمسى واحد . (Enc. Isl. Art. Tatar)

ذكر دولة بني بويه الديلم^(١)

ويقال في أصل الديلم إن باسل^(٢) بن ضبة أد بن طابحة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان خرج مغاضباً لأبيه ، فوقع في أرض الديلم ، ف تزوج امرأة من السجم ، فولدت له ديلم بن باسل فهو أبو الديلم كلهم^(٣) . وم أخاؤه وعشائر ، ومنهم ملوك بني بويه . وكان سبب ظهورهم أن الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) الديلم تسمية جغرافية للصح الجبلي من بلاد جيلان ، الواقعة في الجنوبي الغربي من بحر قزوين ، ويحده في شماله جيلان نفسها ، وفي شرقه طبرستان المروقة أيضاً ببلخاندون ، وفي جنوبه جهات قزوين ، وفي غربه آذربيجان . والديلم أيضاً تسمية جنسية لمن يسكن هذا الصح ، غير أن بني بويه ليسوا من الجنس الديلمي ، بل هم فرس "نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم" . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٩٧) و (Enc. Isl. Aris. Dailam and Büylde) . ويوجد هامش في س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٦ ب و ٧ يشتمل على بعض الروايات في أصل بني بويه ، وهذا نصه . " ذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيهقي ، أن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصافي ذكر كتابه ، الذي سماه الثاني أن بويه هو ابن فناخسرو (في س فناخسرو) بن ثمان بن كوهي بن شوزيل الأصغر بن شيركند بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفته بن سنان شاه بن سسن خرة بن شوزيل بن سناناذ بن بهرام جور [الملك] . وذكر أبو الحسن بن علي بن ثمان في كتابه ، الذي اختصر فيه أخبارهم ، أنه بويه بن فناخسرو بن ثمان ؛ ثم قال بعضهم ثمان بن كوهي بن شيرزيل الأصغر ، وأفكر بعضهم كوهي فقالوا شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفته بن سنان شاه بن سسن خرة بن شوزيل (في س خيرة بن شوزيل) ابن سناناذ بن بهرام جور ؛ ثم اختلقوا في بهرام ، فنسبهم إلى الفرس قال هو بهرام جور وساق النسب ، ومن نسبهم إلى العرب قال هو بهرام بن الضحك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبة بن أد . وذكر في جملة الأبناء لا هو بن الديلم بن باسل ، فقالوا وبهذا الاسم يسمى ولده ليأهج . قال أبو الريحان [البيهقي] : أول من عرب من هذه القبيلة هو بويه بن فناخسرو وليت تلك الأمم معروفة بحفظ الأنساب ، ولا مذكورة بأنها كانت تعرف ذلك من قبل انتقال الدولة إليهم " . ويظهر أن القرطبي نقل هذا كله حرفياً ، باختصار لطيف في العبارة الأخيرة فقط ، من كتاب الآثار الباقية للبيهقي (انظر منه ص ٣٨) . وقد نشر هذا الكتاب الدكتور أودارد زهاو (Edward Sachau) ، ونشره هو ثانياً مترجماً إلى الإنجليزية ، وقد استعملت النسختان لتصحيح أسماء الأعلام وتحقيق العبارة كلها (انظر الترجمة الإنجليزية ، ص ٤٥) .

(٢) في س باسل ثلاث قطع تحت السين . وفي نسخة س كلمات متنوعة منقولة سببها هكذا أحياناً .

(٣) عما حاشية تفسرية على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٧ ب و ٨ . وهذا نصها ما عدا ما بين القوسين المستديرين في آخرها ، فإنه أشبه بتوضيح اللازم : — " يقال ولد ضبة بن أد بن طابحة سعد بن ضبة ، وسعيد بن ضبة ، ويسل بن ضبة ، وهو أبو الديلم فيما يقال . قال هشام بن محمد الكلبي : حدثني أبي قال : خرج باسل مغاضباً لأبيه ، ف تزوج امرأة من السجم فولدت له ، فقال إن الديلم ولد باسل هذا ، وهم ليسوا به إليه . وقال غير ابن الكلبي : وقع بين باسل وبين أخيه سعد شر ، فانتقل فقتل [باسل] ووقع بالديلم ، فخطبه أهلها حتى عبدوا رجله إلى أن ذهبت الرجل ، وجعلوا له مثلاً من ملين فنبهوه ، فبقي من الديلم من ولده . (ومضى " غضب " هو أنه قطعت رجله ، ومضى واردة في س بين قطع ما خلا قطعة الضاد) .

أبي طالب الزبدي الأطروش^(١) دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للحق، واجتمعوا عليه، وبقي في بلادهم مساجد، وحُفَّتْهم على الخروج معه إلى طبرستان حتى أجيابوه، وقتل [بهم] أبا العباس محمد بن إبراهيم صلوك وهرزمه، وقتل من أصحابه سبعة آلاف، وعاد إلى آمل^(٢) غافراً، واستولى على طبرستان في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وعاد (ب) إلى بغداد. ومات الناصر — بعد [أن] ملك طبرستان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياماً — في شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله تسع وسبعون سنة. فبقيت بعده طبرستان في أيدي العلوية اثنتي عشرة سنة، ثم انتقلت عنهم إلى أسراء الديلم. ولما مات الناصر ولي ابنه أبو الحسين، قدم جرجان وأقام بها، وصاحب جيشه سرخاب بن وهسودان^(٣)، فكانت له حروب وأبناء مع عساكر البعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان إلى أن مات سرخاب. فاستخلف أبو الحسين ابن الناصر بعده ما كان بن كالي^(٤) على استراباد^(٥)، فاجتمع إليه الديلم، وقدموه وأمرهم على أنفسهم، فكانت له بذلك النواحي أخبار كثيرة إلى أن قوى أبو الحجاج مرداويج^(٦) بن زيار، وقيل — مرداويج بن قانج^(٧) — الجليل^(٨) الديلي، وملك جرجان وغيرها من ما كان، وعاد إلى أصفهان غافراً. ودامت الحرب بينهما عدة سنين، فقوى مرداويج واستولى على بلد الجبل^(٩) والرمي، وأنهت الديلم من كل ناحية، فضطمت جيوشه. وكان من الديلم رجل يقال له بوريه، وكنيته أبوشجا؛ متروك الحال؛ وله ثلاثة أولاد: أبو الحسين علي أكبرهم؛ وأبو علي

(١) لم يذكر ابن الأثير اسم زيد بن أبيه الحسن هنا (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٠).

(٢) مضبوطة هكذا في س، وكذلك في ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٦٨) وتسمى هذه المدينة الكبيرة آمل طبرستان، تميزها لها من آمل جيوعون، المعروفة باسم آمل الشط أيضاً.

(٣) في س سرخاب بن بهسودان، بغير ضبط. ولم يضبط ابن الأثير من الأسين سوى السبن بالضم في سرخاب (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٨، ص ٩٦).

(٤) هو ابن عم سرخاب بن وهسودان (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٨، ص ٩٦).

(٥) في س استراباد. (٦) هذا الاسم غير واضح تماماً في س، وهو ولود في ب (ص ١٩) كما أنهت هنا. وقد روجع ابن الأثير وابن اسفنديار وابن مسكويه والبيروني و (Enc. Isl. Art. Mardāwīdī) لصفيقه فلم يوجد فيها. أما (Blochet: Op. cit. P. 78) فقد ترجم هذا الاسم إلى (Kafidj) مع التشكك.

(٧) نسبة إلى بلاد الجبل أو جيلان. (٨) في س الجبل (راجع ابن الأثير: نفس المرجع، ج ٨، ص ١٦٧) و (Enc. Isl. Art. Mardāwīdī).

الحسن أوسطهم ، وأبو الحسين أحد أصغرم . وكان ينتسب إلى الفرس ، ويزعم أنه أبو شجاع بويه بن فنا خسرو^(١) بن ثمان^(٢) بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركذ^(٣) بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سننذر شاه بن سيس فيروز بن شيرزيل بن سننذر^(٤) ابن بهرام جور الملك بن زردجرد الملك^(٥) . فبويه من قبيلة من قبائل الديلم يقال لها شيرزيل أوندازه^(٦) . ثم إن أباه شجاع بويه رأى في منامه كأنه يبول ، فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ، ثم انفجرت فصار ثلث شعب ، وتولد من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ، ورأى البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران . فقصة على منبج ، فقال له : ” إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ، ويعلمو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار ، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب “ . فقال له أبو شجاع : ” أنسخري وأنا رجل فقير ، وأولادى هؤلاء قراء مساكين يصيرون ملوكا ؟ “ فقال للمنبج : ” أخبرني بوقت ميلادهم “ فأخبره ، فجعل يحسب ، ثم قبض على يد أبي الحسن على الذي لقب بعد ذلك عماد الدولة لقبها ، وقال : ” هذا والله يملك البلاد ، ثم هذا من بعده “ ، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن ، الذي لقب بعد ذلك ركن الدولة ” ثم هذا “ ، وقبض على يد أخيهما أبي الحسين أحمد ، الذي لقب بمنز الدولة . فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : ” اصفعوا هذا فقد أفرط في السخريه بنا “ ، فصفعوه وهو

(١) في س فناخسره ، مضبوطة .

(٢) كتب المؤلف هذا الاسم ” انعام “ ، ولعله اتبع في ذلك ابن الأثير الذي كتبه ” تمام “ ، (راجع حاشية رقم ٥) ثم أصلحه إلى ما هو وارد هنا .

(٣) ورد ” شيركذ “ في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٩٧) .

(٤) في س سننذر في الرمين ، وكذلك فيروز بالزاي قبل الواو ، وفي ابن الأثير (هس المرجع والمضغة) ” سنن شاه ابن سيس فيروز بن شيرزيل بن سننادر بن بهرام جور الملك بن زردجرد الملك ... “ .

(٥) تقدمت هذه النسبة الطويلة في ص ٢٣ حاشية رقم ١ ، مضبوطة على البيوتى المتفرقة عنه فراجعها ، غير أن هناك اختلافا جوهريا بين ما هو وارد هنا وبين النسب السابق ، ويظهر أن هذا الخلاف ناشئ عن اعتماد القرزى هنا على صحيح آخر لعله ابن الأثير . وقد قيل هنا عليه فلو حظ اختلاف في بعض الأسماء به إليه (راجع ابن الأثير : هس المرجع ، ج ٨ ، ص ١٩٧) .

(٦) كذا في س ، وفي البراء يدل الزاي في ب (ص ٩ ب) . وفي مترجمة إلى (Oudarah) في

(Blochet : Op. cit. P. 76)

يستفيث (١٩) وم يضحكون منه ، ثم أسكوا . قال لم [النجم] : " اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأتم ملوك " ، وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم . فلما خرج الديلم مع ما كان ابن كالي كان أولاد أبي شجاع من جلة قواده ، إلى أن استولى مرداويج على ما بيد ما كان من طبرستان وجرجان وانهزم ما كان ، قال له على والحسن ابنا أبي شجاع بويه ، وكافا ضَمَعَةً^(١) هجرة : " نحن في جماعة ، وقد ميرنا قتلا عليك وعيالا ، وأنت مُضَيِّق ، والأصلح لك أن تغارتك تخفف عنك مؤثنتا^(٢) ، فإذا صلح أمرك عدنا إليك " . فأذن لهما فصارا إلى مرداويج ، واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما . فأقبل عليهم مرداويج ، وخلع على ابني بويه ، وقد عماد الدولة على بن بويه كرج ، فأحسن السيرة وافتتح قلاعاً غلظ منها بذخائر كثيرة ، فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس . فاستوحش منه مرداويج ، واستدعاه فداخه ثم سار [عماد^(٣) الدولة] من كرج إلى أصبهان ، وقاتل المظفر محمد بن ياقوت وهزمه ، وملك أصبهان يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فظم في أعين الناس ، لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف . وبلغ ذلك الخليفة القاهرة بالله محمد بن المتصد فاستعظمه ، وخاف مرداويج عاقبته ، فأخذ يتحيل في أخذه . وأخذ بن بويه أيضاً أَرْجَانْ من أبي بكر بن ياقوت ، في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقوى بها . وبث أخاه ركن الدولة الحسن ، فأخذ كازرون . ثم ملك [عماد الدولة] شيراز في جمادى الآخرة سنة اثنتين^(٤) وعشرين ، فلما ملك شيراز وارس كتب إلى الخليفة الراضي بالله محمد بن القنص ، وقد أفضت إليه الخلافة ، وإلى وزيره أبي على عماد بن علي بن مقلة ، يعرفها أنه على الطاعة ، ويطلب أن يُقَاطَع على ما بيده من البلاد ، وبذل ألف ألف درهم ، فأجيب إلى ذلك . وسُيِّر له الخلع واللواء ، فلبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ، وغالط

(١) مضبوطة ممكنة في س .

(٢) في س مونتتا ، وفي في ابن الأثير مونتتا (نس للرجع ، ج ٨ ، س ١٩٩) . وظهر أن مرجع المفريزي هنا ، فيها كتبه عن بني بويه ، هو كتاب الكامل لابن الأثير (نس للرجع ، ج ٨ ، س ١٩٧ وما يليها) .

(٣) أضيف ما بين التوسين قلا عن ابن الأثير (نس للرجع ، ج ٨ ، س ٢٠٤) .

(٤) في س اثني .

الرسول بالمال ، فأتى الرسول عنده سنة ثلاث^(١) وعشرين . وعظم شأنه ، وقصده الرجال من الأطراف ، فقام مرداوئج وقصد ، فقدّر الله قتله على يد غلغانه ، يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وسار أكثر أصحابه إلى ابن بويه ، ومعنى كثير منهم إلى بُجَيْكُم^(٢) قدم [بهم] بندگان . ثم سار عماد الدولة بن بويه إلى كِرمَان في سنّأربع وعشرين ، وكانت له بها حروب ظفر فيها . ثم قدم عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي^(٣) في سنة ست وعشرين ، وأطمعه في العراق والاستيلاء عليه ، فسار وملك عدّة بلاد ، وسير أخاه ركن الدولة على عسّاكر ، وكانت لها أنباء وقصص . وجرت في (٩ب) بندگان حوادث عظيمة آلت إلى مسير معز الدولة أنى الحسين أحمد بن بويه إلى بندگان ، في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، لخاربه أمير الأسراء توزون في ذى القعدة ، وهزمه عن بندگان . فلما مات توزون قدم [معز الدولة] بندگان ، واستولى عليها في يوم السبت حادى عشر جمادى الأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . قال الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلّة : ” انتهى أزلت دولة بني العباس وأسفها إلى الدليم ، لأنى كاتبته الدليم وقت إغاضى إلى أصحابها ، وأطمعهم في سرير الملك ببندگان ، فإن اجتبيت ثمرة ذلك في حياتى ، وإلا فمى تُجفّقى بمد موقى “ ، فكان كما قال . ولما ملك معز الدولة ببندگان خلع الخليفة المستكفى بالله عبد الله ، ونهب الدليم دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، وأقام المطيع لله الفضل بن المقتدر ، ولم يحصل له أمراً ولا نهياً ولا رأياً ، ولا مكنته من إقامة وزير ، بل صارت الوزارة إليه يستوزر لنفسه من يريد ، وشنع هو والدليم على بني العباس ، بأنهم غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقها . وأراد معز الدولة إبطال دعوة بني العباس ، وإقامة دعوة المزددين الله أبى تميم محمد الفاطمى ، حتى رجّحه أصحابه عن ذلك . وبث نوابه ففسلوا العراق ، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتة ، إلا ما أقامه مما لا يقوم ببعض حاجته ، وملك البصرة والموصل وعامة البلاد . ومات عماد الدولة

(١) كانت طلمات الرسول ألا يعلم الخلع أو الوا لا بعد قبض المال ، فلما وصل خرج عماد الدولة إلى لقاته ، وطلب منه تسليمها ، فذكر له الصرط ، فأخذها منه قهراً . (ابن الأثير : قس الرجب ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) .

(٢) مضبوطة هكذا في س .

(٣) مضبوطة هكذا في س .

أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وعهد إلى ابن أخيه عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو^(١) بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ، فكانت مدة إمارته ست عشرة سنة ، ولم يترك غير بنت واحدة . وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء ، فلما مات صار أخوه ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه أمير الأمراء . وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد هو المستولى على الرقاق والخلافة ، وهو كان نائب عنها إلى أن مات ببغداد ، لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فكانت مدة ملكه لبغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين . وقام من بعده ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار ، فسار إليه ابن عمه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة في سنة أربع وستين ، وقبض عليه ثم أطلقه ، وضرب عليه الجند^(٢) ، وعاد من بغداد . فمات ركن الدولة لمسه بقين من الحرم سنة ست وستين وثلاثمائة ، واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة ، فسار إلى العراق ثانيا وأخذ بغداد من بختيار^(٣) ، وخطب له بها ، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد سوى الخليفة . وضرب [عضد الدولة] أيضا على باب الطبول ثلاث نوبات ، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه ، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور^(٤) ولي النعم تاج الملك عضد الدولة أباشجاع^(٥) فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن ثمان^(٦) بن كوهي . وقُتل بختيار في الحرب لانتفى عشرة بقيت من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وستة أشهر . وعظم أمر عضد الدولة (١٠٠) إلى أن مات ثمان خلون من شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، ومدته منذ مات عمه عماد الدولة بفارس أربع وثلاثون سنة ، ملك منها بغداد خمس سنين وستة أشهر

(١) في س فناخسره ، وغير ضبط هنا وفيها إلى .

(٢) توجد في س عبارة مكله هي : " حتى زال ملكه " ، ولكنها مشطوبة .

(٣) في حاشي س الجملة : " قتل بختيار " . وهي ليست منسقة مع عبارة اللان ، ولاسيما أن المؤلف لم يصر كعادته إلى السكان المناسب لها . غير أنه أحجبها كاتب نسخة ب (س ١٠ ب) قبل عبارة " وخطب له بها " .

(٤) مشطوبة في س " ونعت الملك السيد ... المنصور " بضم الآخر .

(٥) في س " أبو شجاع " .

(٦) في س تمام . انظر س ٢٥ . حاشية رقم ٧ .

وأربعة أيام . فقام من بعده صمصام الدولة أبو كاليبجار للرزبان^(١) ببغداد ، أربع سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً . وعليه أخوه شرف الدولة أبو القوارس شبيزبل ، في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، ثم سَمَّاهُ وَطَمَ بِالْأَمْسِ ، فلقبه الخليفة الطامع بشرف الدولة وَزَيَّنَ لِللَّهِ . ومات [شرف الدولة] بعد سنتين وعثمانية أشهر وأيام ببغداد ، في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . فلك بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر خُرَّهَ فيروز ابن عضد الدولة ، ولقبه الطامع بهاء الدولة وضياء الله ، ثم زاد القادر في ألقابه غياث الأمة شاهنشاه ، ثم زاده قوام الدين ونقله عن مولى أمير المؤمنين إلى صني أمير المؤمنين ، ومات بأرجان في خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، فكانت مدته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقام من بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فنا خسرو ، فكانت أيامه ببغداد — سنة واحدة وستة أشهر تنقص ثلاثة أيام — على انزعاج ، لكثرة مطالب الأتراك^(٢) ، فخرج^(٣) [منها] ، وقد رتباً أخاه مشرف الدولة أبا علي الحسن ، وسار إلى الأهواز ، واستقر مشرف الدولة في ملك العراق خمس سنين وشهرين وأياماً . ومات سلطان الدولة بفارس ، لأربع بقين من شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فكانت إمارته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وأياماً . ومات بعده أخوه مشرف الدولة ببغداد ، لثمان بقين من ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ، فسار [أخوها] جلال الدولة أبو طاهر فيروز خره بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد ، باستدعاء الخليفة القادر ، لما حصل في بغداد من مصادرات الأتراك للناس ، فلما قدمها تلقاه القادر ولقبه ركن الدين جلال الدولة . وفي أيامه انحط أمر الخلافة

(١) كُنا في س بيز ضبط ، ولم يضبط ابن الأمير شيئاً من هذه الأسماء . (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٦) . غير أن كاتب نسخة ب (ص ١١) أو رد اسم كاليبجار بالثون بدل الياء فأصبحت "كالبجار" ، ونجم في ذلك (Blochet) فترجم الاسم كله إلى (Šamšām-ad-Daūthk-Abou-Kaladjār) (Ibid : Op. cit. P. 82.) راجع (Al-Merzebān) .

(٢) في س "خسره" دائماً . (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٧٤) .

(٣) بل هذه الكلمة إشارة إلى هلمش غير متفق مع لثن ، فرؤى لإمراده هنا وهو : " وضرب [سلطان الدولة] الطبول على يابه في أوقات الصلوات الخمس " .

(٤) في س " وخرج " (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٤٤) .

والسلطنة ببنداد ، وانطلقت الأيدي ، وعجز جلال الدولة عن إقامة الأمر إلى أن مات في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً . فاستدعى الجند أبنته الملك العزيزاً بمنصور خره فيروز ، فلم ينتظم له أمر ، واستجد الملوك فلم ينجده ، فكتب عسكر ببنداد عز الملوك أبا كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع فنا خسرو بن بهاء الدولة أبي نصر خره فيروز بن عضد الدولة ، ولقبه الخليفة القائم بأمر الله شاهنشاه عز الملوك ، ووجلت إليه الخلع واللواء وخُطب له ، فسار وقدم ببنداد ، ومات سنة أربعين وأربعمائة . ومالك [بدم] ابنه الملك الرحيم (١٠) أبو نصر خره فيروز بن عز الملوك ، وكان [عز الملوك^(١)] قد سار إلى كرمان ، فهلك في طريقه لأربع سنين من ولايته . فقام من بعده ببنداد الملك الرحيم بمباينة الجند له ، وثار في أيامه الأمير أرسلان الباسيري^(٢) ومالك ببنداد ، ثم قدم طغرل بك والسلجوقية ، وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات . فكانت عدة من ملك ببنداد من بني بويه أحد عشر ، ومدتهم ببنداد إلى أن ائترضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وألها يوم وصل معز الدولة إلى ببنداد ، وآخرها يوم وصول طغرل بك ببنداد ، ومدتهم منذ ملك عماد الدولة بلاد فارس مائة وخمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام .

ذكر دولة السلجوقية

وكان ابتداء أمر السلجوقية أنهم أخلاط من الترك ، كانوا يصيغون في بلاد البلغار^(٣) ويشتون في تركستان ، وينهبون ما طرفوه . وكان من مقدمهم رجل يقال له دقاق^(٤) ، فولده سلجوق فنصب ، وقدمه^(٥) بيتوملك الترك ، فقوى وكثر جمعه فحافه بيتو ، فخرج [سلجوق] بجموعه

(١) أضيف هنا بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٤) .

(٢) في نسق الباسيري . (٣) في حوض نهر الفولجا بالروسيا الحالية .

(٤) صحح ناشر ابن الأثير هذا الاسم إلى " تاق " (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٢٣) .

على أن هناك ما يجعل على تجميل الرسم الوارد هنا (انظر Enc. Isl. Art. Seldjūqs) وقد ضبطت الأعلام الواردة هنا على هذين المرجعين .

(٥) في نسق " بيتو " مضبوطة ، وفي نسق المطر " بيتوا " بالضغط عنه . ولرسم هذا الاسم بالياء

أولاً أنصار . (انظر Enc. Isl. Art. seldjūqs)

مهاجرًا من دار الحرب [إلى ديار] الإسلام وأسلم وأقام بنواحي بخارى وصار يغزو الترك ، وكان له من الولد أرتستان^(٢) وميكائيل وموسى . ومات سلجوق بمجند^(٣) وراء بخارى ، عن مائة وسبعة أعوام ، وبقى ولده على ما كان عليه من غزو الترك ، فقتل ميكائيل شهيداً . وخلف [ميكائيل] ينيو وطغريك وبنال وجفري بك داود^(٤) . ثم لأنهم قربوا من بخارى فأساء أميرها جوارهم ، فرجموا إلى بُغراخان ملك تركستان وجاوروه ، وتماهد طغريك وأخوه داود ألا يجتمعا عند بُغراخان وحاول على مجتمعهما فلم يطق ، فقبض على طغريك وأرسل عسكره إلى أخيه داود ، فأنهزم المسكر وأنبوه وخلصوا طغريك من أسرهم ، وعادوا إلى جند ، وأقاموا بها إلى انقراض الدولة السامانية وملك أيلك خان بخارى ، فظلم عنده محل أرسلان بن سلجوق^(٥) ولما رجع أيلك خان عن بخارى ولي عليها على تكين^(٦) فبقى معه أرسلان إلى أن عبر محمود بن سُبُكتكين النهر إلى بخارى ، وهرب على تكين فدخل أرسلان وقومه المفازة ، وكان به محمود ولاطفه حتى قدم عليه ، فقبضه ونهب أحياءه ، وأجازهم النهر وفرقهم في نواحي خراسان ، ووضع عليهم الخراج ، فلحقهم جور المال . فسار منهم جماعة أرسلان إلى أصفهان ، وحاربهم علاء الدين بن كاكوتيخرو بك كثيرة ، إلى أن ساروا إلى آذر بيجان ، وكانوا يعرفون بين الترك بالفرز^(٧) . وسار طغريك وأخوه داود ويينو من خراسان إلى بخارى ، وجمع على تكين عسكره

(١) ما بين القوسين منقول عن ابن الأثير ، لضرورة السجام الباردة (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٢٢) .

(٢) في نسخة علي بن الحسين . (٣) في نسخة علي بن الحسين فقط .

(٤) في س "بنال وجمريك وداود" راجع (Enc. Isl. Arts. Caghri Beg and Tughrilbeg) .

(٥) لعدم وضوح هذه العبارة تماماً ، مع الحرس على إيرادها كما هي ، روي قل ما يقابلها عن ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٢٣) وهي : " واستقر الأمر بين طغريك وأخيه داوود أنهما لا يجتمعا عند بُغراخان ، إنما يجرى عنده أحدهما ويقم الآخر في أهله ، خوفاً من مكر يكره بهما ، فبقوا كذلك . ثم إن بُغراخان اجتهد في اجتماعهما عنده فلم يفلح ، فقبض على طغريك وأسرهم ، فثار داوود في عشاره ومن يتيهه وقصد بُغراخان لينقش أهله ، فأخذ إليه بُغراخان عسكراً ، فالتقوا فأنهزم عسكر بُغراخان وكثر القتل فيهم ، وخلص [داوود] أخاه من الأسر ، وانصرفوا إلى جند وهي قريب بخارى . فأقاموا هناك . فلما اقترمت دولة السامانية ، وملك أيلك الخان بخارى ، عظم حل أرسلان بن سلجوق عم داوود وطغريك بما وراء النهر " .

(٦) هو أخو أيلك خان (هـس الرجج ، ج ٩ ، ص ٣٢٣) .

(٧) " الفرز " (مضبوطة) فقط يقع على ما يوالد بين العجم في اللد من لسانهم ؟ وقيل الفرز لفظ يقع على جنس العجم كله . وقيل الفرز في جنس العجم كالمولود في العرب ؟ وقيل لفظ الفرز تقع على الترك والتركان والقفق والجنس المولد : وقيل هم كل من ولد محمود بن يافت بن توح ؟ وقيل الفرز يجلس التركاني والترك أقعد ؟ وقيل الفرز جيل من اللام . عن هاشم في س ، ص ١٠ ب .

وأوقع بهم ، فعادوا إلى خراسان وغيروا بظاهر خوارزم ، في (١١١) سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، واتفقوا مع خوارزم شاه هارون بن التوتاش^(١) ، ثم غدر بهم وكبسهم ، فساروا إلى جهة مَرُوز . فأرسل إليهم مسعود بن محمود بن سبكتكين جيشا فزهمهم ، واشتغل أصحابه بالتفانم فرجع [التُز] وهزمهم ونهبهم^(٢) ، فاستألم مسعود بعدها وكان يبلخ ، فطلبوا منه إطلاقهم معهم أرسلان الذي قبضه محمود بن سبكتكين ، فشرط حضورهم فأبوا . وعادت الحرب وهزموا عساكره ، وقوى أمرهم واستولوا على غالب خراسان ، وفرقوا المال وخطب لطغريك في نيسابور . وسار دلود إلى هامة ، ففرت عساكر مسعود ، وتركوا خراسان حتى أنوا غزنة ، وسار مسعود من غزنة إلى خراسان في جيوشه ، نفروا^(٣) أمامه وهو يتبعهم ، حتى قتل الأزواد وطال الأمد ، ودخلوا البرية ومسعود في إتباعهم مدة ثلاث سنين ، فانتفض عليه عسكره ، ورجع السلجوقية وهزمهم أقيح هزيمة ، وولى مسعود وغنما منه ما لا يحصى ، وعادوا إلى خراسان فلكوها ، وثبتت أقدامهم بها ، وخطب لهم على منابرها . ووصل مسعود إلى غزنة ، واختطف عليه أراؤه حتى قتل . وملك طغريك جرجان وطبرستان ، وملك ببلد ذلك خوارزم ، ثم سار إلى بلد^(٤) الجبل واستولى عليها ، فأسلم من الترك خمسة آلاف خَرَكَاه^(٥) وتفرقوا في بلاد الإسلام ، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتار بنواحي الصين . وبث طغريك أخاه إبراهيم بن ميكائيل ، فملك همدان والدينور ، ثم استوحش منه وقاتله وأخذه ، فبث ملك الروم يطلب الهدنة من طغريك وهاداه ، وعمر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة وخطب لطغريك^(٦) . ثم سار^(٧) طغريك وحاصراً صبهان حتى أخذها صلحا ، ونزلها

(١) في الفن طاش (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ ، ٣٢٥) . وكذلك (Enc. Isl. Art. Altıntash) .

(٢) في فن قزاجوا وهزمهم ونهبهم . (انظر ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣٢٥) .

(٣) في فن قزاجا . (٤) في فن بلاد الجبل . (راجع ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣٤٧) . (٥) كلة خرسية معناها خيبة أو نبح .

(٦) العلاقة بين ما جرى لطغريك مع أخيه بنال وبين ملك الروم ، أن بنال كان قد غزا البلاد الرومية سنة ٤٤٠ هـ . (١٠٤٨ م) . يجمع من الفر حتى وصل بهم إلى طرابزون ، وظل يقاتل من يقابله من الجيوش الرومية ويقتل ويبيد ، حتى لم يبق بينه وبين القسطنطينية سوى غسة عشر يوما . فلما وقعت الوحشة بين الآخرين ، انتهزها ملك الروم وصالح طغريك على الشروط الواردة هنا . (ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣٦٠ - ٣٧٢ و ٢٨٠ - ٣٨١ ، وكذلك (Camb. Med. Hist. Vol. III. pp. 111, 284-385.)

(٧) في فن قزاجا .

ونقل إليها ذخائره ، وأثناء ملك الأكراد فأقره على بلاده شهر زور وغيرها . ثم أخذ رسوله إلى الخليفة القائم بأمر الله بالهدايا ، وسار يريد بغداد ، فدخلها لخمس يمين من رمضان سنة سبع وأربعين^(١) وأربعائة . ونمت السلطان ركن الدين أبي طالب محمد طغرل بك بن ميكائيل ابن سلجوق بن قتيق^(٢) بن جبريل بن داود بن أيوب بن دقاق بن إلياس بن بهرام بن يوسف ابن عزيز بن أحد بن دهقان ، وقبض على الملك الرحيم أبي نصر وعلى قواده ، وأزال دولة بني بويه . ثم توجه (١١٠ ب) إلى نصيبين وديار بكر ، واستولى على الموصل ، وترك عليها أخاه بنال^(٣) إبراهيم ، فخالف^(٤) على طغرل بك ، وتوجه إلى همدان ، فسار إليه [طغرل بك] لوقته . ثم عاد إلى بغداد وقد ملكها أبو الحارث أرسلان الباسيري ، فأعاد القائم إلى الخلافة وقتل الباسيري ، ثم سار إلى بلاد الجبل فات بالري ، في ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعائة ، فكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة تقص عشرين يوما ، ولم يخلف ولدا . فلك بعده ابن أخيه عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن جتري^(٥) بك بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق ، وسار إلى حلب وأقر صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عليها ، ولقي ملك الروم وهزمه ، وبث جيوشه فأخذت القدس والرملة من خلفاء مصر [الفاطمين] ، وحصرت دمشق . ومات ألب أرسلان بعد ما رجع من حلب إلى ما وراء النهر ، في ربيع الأول سنة خمس وستين . وملك بعده ابنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه بن عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تسع عشرة سنة وشهرا ، ومات في نصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعائة ، وعمره سبع وثلاثون سنة وخمسة أشهر . وكان يُخطب له من أقصى بلاد الترك إلى بلاد اليمن ، وفي أيامه ملك دمشق أنيسر^(٦) ، ثم أخذها منه نقش^(٧) بن ألب أرسلان ، فاستمرت بأيدي الترك ؛ وبث ملك شاما أيضا آقسنقر قسيم الدولة

(١) في س ب "وثلاثين" (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤١٥ — ٤٢٠) .

(٢) في س يفتح القاف وكسر التون ، (انظر Enc. Isl. Art. Seljuks) .

(٣) كذا في س . انظر ص ٣٢٢ .

(٤) في س طائف ، (راجع ابن الأثير : قس المرجع ، ج ٩ ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠) .

(٥) في س جرى بك ؟

(٦) في س "المسز" بغير ضبط .

(٧) في س تمت بغير ضبط أو قطع على التاء الثانية .

فلما وصل ، وأقْسَمَ هذا هو والد عماد الدين زَنْكِي^(١) . ثم قدم ملك شاه إلى حلب وسلمها إلى أقيسكر ، وعاد إلى بغداد . ومَلَكَ بعد ملك شاه ابنه محمود وعمره أربع سنين ، فقامت أمه تَرْكُكُن^(٢) خاتون بتدبيره ، فثار عليه أخوه بَرْكِيَارُوق بن ملكشاه واستبَدَّ بالأمر ، وكانت^(٣) له [أيضاً] حروب مع أخويه محمد وسَنْجَر إلى أن مات ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، عن خمس وعشرين سنة ، منها مدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتا عشرة^(٤) سنة وأربعة أشهر ، قاسى فيها من الحروب واختلاف الأمور ما لم يقاسه غيره . وأقيم بعده ابنه ملكشاه بن بركياروق^(٥) ، وعمره أربع سنين وخمسة أشهر ، ولَقِبَهُ جلال الدولة . وقام بأمره الأمير أياكز الأتابك إلى أن قُتِلَ في ثالث عشر جمادى الآخرة ، بعد ما سلم أمر الدولة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان . فقام محمد بأمر المملكة إلى أن مات ، في رابع عشرين^(٦) ذى الحجة سنة إحدى عشرة وخمسة ، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، منها مدة اجتماع الناس عليه اثنتا عشرة سنة وستة أشهر ، ولقى مشاق^(٧) وأخطاراً كثيرة . فأقيم بعده ابنه محمود بن محمد بن ملكشاه ، وعمره أربع عشرة سنة ، ففازه عمه (١١٢) السلطان^(٨) ناصر الدين معز الدولة أبو الحارث سَنْجَر ابن ملكشاه بن ألب أرسلان وقاتله ، فانهزم منه محمود ، وخطب لسنجر ببغداد في سادس عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وقطعت خطبة محمود . ثم اصطالحا وجعل سنجَر ابن أخيه محمود^(٩) ولي العهد بعده ، وكتب إلى جميع الأعمال التي بيده بأن يخطب للسلطان محمود بعده ، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد ، فخطب لها ببغداد وغيرها . وعاد سنجَر إلى ولايته ، واستمر محمود في السلطنة ، فتفكر الحال بينه وبين الخليفة المسترشد بالله

(١) في المتن : " أقسم هذا هو جد نور الدين العميد " . (٢) ضبط هذا الاسم على منطوقه الإنجليزى (Tárkân) . انظر (Enc. Isq. Ari. Malikshāh) .
(٣) المقام مائدة على بركياروق . (٤) في " اثنا عشر " (٥) في : بركياروق .
(٦) في " عشرين " بآيات التوثيق ، وأغلب ما ترد على هذه الصورة ، وستصلح دائماً بدون تنبيه .
(٧) في : مثلاً . (٨) هذا بدء حاشى طويل متسق مع المتن ، ولم تكن هناك حاجة إلى الإشارة إليه لولا أنه بخط غير خط المؤلف . وأكبر الظن أن ورقة هذا الحاشى تعرضت للتلف ، فسكتها أحد التأخرين بخط نسخ جميل على ورقة أخرى ، ووضعها مكان الأولى . (٩) في : محمود .

واقْتلَا، ثم اصطَلحا في عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين . وسار محمود عن بغداد ، وَوَلَّى عماد الدين زَنْكِي بن أَقْسَقَر شَحَنَكِيَّتَهَا^(١)، ثم قَلَهُ إِلَى الموصل ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ الْجَزِيرَةَ ، فَاشْتَدَّتْ رِطَانُهُ بِهَا حَتَّى مَلَكَ حَلَبَ أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَنَيْنِ وَعَشْرِينَ ، ثُمَّ مَلَكَ حِمَاةَ وَعَدَةَ حَصُونٍ بِالشَّامِ . وَمَاتَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ [وَخَمْسَمِائَةٍ] بِهَمْدَانَ عَنِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، مِنْهَا وَلَايَتُهُ السُّلْطَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . فَأَقْعَدَ بَعْدَهُ فِي السُّلْطَنَةِ ابْنَهُ دَاوُدَ بْنَ مُحَمَّدٍ [بْنَ مُحَمَّدٍ^(٢)] بْنَ مَلِكْشَاهَ ، فَتَزَعَهُ عَنْهُ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ ، وَقَاتَلَهُ ثُمَّ اصْطَلَحَا . وَطَلَبَ مَسْعُودٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرَشِدِ أَنْ يُنْتَظَبَ لَهُ بِبَغْدَادَ ، فَأَجَابَ بِأَنْ الْحَكْمَ فِي الْخُطْبَةِ إِلَى السُّلْطَانِ سَنَجَرٌ ، [وَأُرْسِلَ إِلَى سَنَجَرٍ^(٣)] أَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ فِي الْخُطْبَةِ ، وَأَنْ الْخُطْبَةَ يُبْنِى أَنْ تَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ سَنَجَرٍ . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى مَسْعُودَ ، وَعَزَمَ عَلَى اخْتِذِ السُّلْطَنَةِ ، فَسَبَقَهُ [أَخُوهُ] السُّلْطَانُ سَلْجُوقُ شَاهُ بْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ إِلَى بَغْدَادَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ آتَتْ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهَ سُلْطَانًا ، وَسَلْجُوقُ شَاهُ وَلَى عَهْدَهُ ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ سَنَجَرٍ مِنَ الْعِرَاقِ جَمِيعَةً . وَكَانَ عَمَادُ الدِّينِ زَنْكِي قَدْ قَدَّمَ نَصْرَةَ مَسْعُودَ ، فَهَزَمَهُ أَصْحَابُ سَلْجُوقِ شَاهٍ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، فَلَمَّا وَصَلَ تَكَرُّبَاتِ أَقَامَ لَهُ نِجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ شَادِي الْفَرَزْدَارِ^(٤) بِهَا الْمَبَارَءَ حَتَّى خَلَصَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَشَكَرَ ذَلِكَ لَنِجْمِ الدِّينِ وَقَرَّبَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِاتِّصَالِ نِجْمِ الدِّينِ بِهِ وَلِلصَّيْرِ فِي جَلَّتِهِ ، حَتَّى آلَ بِهِمُ الْأُمَرَاءُ إِلَى مُلْكِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا . وَاقْتُلَ مَسْعُودُ^(٥) وَسَنَجَرُ ، فَانْهَزَمَ مَسْعُودٌ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ أَحْضَرَ إِلَى سَنَجَرٍ فَعَاتَبَهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى كَنْجَةِ^(٦) ، وَأَجْلَسَ^(٧) [ابْنَ أَخِيهِ] الْمَلِكَ طَنْزَلُ بْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ

(١) أَي رِيسَاةَ الْعُرْمَلَةِ بِهَا ، وَيُسَمَّى مُتَوَلِيَهَا صَاحِبَ الْفُتْحَةِ . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٢) فِى سِ اسْمَاتِ .

(٣) رَاجِعْ . (Lane-Poole : Muhammadan Dynasties, Table facing P. 152.)

(٤) لَيْسَ لِمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ وَجُودُ فِى سِ وَلَكِنَّهُ فِى بِ (سِ ١٣ ب) ، وَهُوَ يُطَابِقُ تَامَا مَا وَرَدَ فِى ابْنِ الْأَثِيرِ (السَّكَاكِلُ فِي التَّارِيخِ ، ج ١٠ ، س ٤٧٤) . وَرَبَّمَا اسْتَمَانَ كَاتِبُ لِسْخَةِ بِ هَذَا الرَّجُلِ فِى تَوْضِيحٍ مَا غَضَى عَلَيْهِ .

(٥) فِى سِ الْفَرْدَارِ . أَمَّا الْفَرْدَارُ فَكَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَتَّاعًا "حَاكِمُ حَصْنٍ" . (Enc. Isl. Art. Diz.)

(٦) فِى سِ مُحَمَّدٍ . (٧) فِى سِ كَيْفِيَّتِهِ . انْظُرْ ابْنَ الْأَثِيرِ : تَحْقِيقُ الرَّجُلِ ، ج ١٠ ، س ٤٧٧ .

و ٤٨٣ ؟ وَكُنْجَةُ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَهِيَ قَصْبَةٌ بِبِلَادِ أَرَّانَ (يَقُولُ : مَعِينُ الْبَلْبَانِ ، ج ٤ ، س ٣٠٨) .

(٨) فِى سِ "وَأَجْلَسَهُ الْمَلِكُ طَنْزَلُ" . (رَاجِعْ ابْنَ الْأَثِيرِ : السَّكَاكِلُ فِي التَّارِيخِ ، ج ١٠ ، س ٤٧٧) .

في السلطنة ، وخطب له في جميع البلاد ، وذلك في ثامن رجب سنة ست وعشرين . فلما كان في رمضان امتلأ الملك طغرل بن محمد هو وابن أخيه الملك داود بن محمود ، فانهزم داود ؛ فلما سمع ذلك السلطان مسعود بن محمد سار إلى بغداد ، فاقبىه داود ودخل معه إليها ، في صفر سنة سبع وعشرين ، وأعيدت له الخطبة بها ولداود معه ، وخلع عليها الخليفة . ثم سارا لمحاربة طغرل ، غارياه وهزمياه في شعبان ، فامتدت الحرب بينهم إلى شوال . ثم عاد طغرل بن محمد ، وأجلى أخاه مسعوداً^(١) عن بلاده في رمضان سنة ثمان وعشرين ، فقدم [مسعود^(٢)] بغداد في نصف شوال ، فأكرمه الخليفة المسترشد وأزله وأتم عليه . ثم قدم^(٣) الخبر بوفاة طغرل بن محمد ، في المحرم سنة تسع وعشرين ، فسار مسعود إلى همدان واستولى عليها ، و [كان قبل^(٤)] ذلك قد نافر الخليفة ، فقطع [المسترشد] خطبته من بغداد وسار قتاله ، فبرز إليه [مسعود] ، وقاتله في عاشر رمضان وأخذه أسيراً ، وبث إلى بغداد قبض على أملاك الخليفة ، وكسر منبره وشباك . ثم قتل الخليفة بيد الباطنية ، وأقيم بعده الراشد^(٥) (١١٢) خليفة . فسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر آذر بيجان إلى بغداد ، فقدمها رابع صفر سنة ثلاثين وخمسة ، وأقام برتش^(٦) على شحنيكتيا . وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود ، فسار مسعود إلى بغداد وحصرها نيفا وخسين يوما ، فكانت أمور آت إلى عود الملك داود إلى بلاده في ذى القعدة ، و [إلى] تفرق الأمراء [الذين كانوا معه^(٧)] ،

(١) في س : مسعود . (٢) اطر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٦ .
(٣) في س : تقدم . (٤) أخيف ما بين القوسين بعد مهاجرة ابن الأثير (نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٠ ، ١٤ — ١٦) . (٥) هنا ينتهي المفاصل للشار إلى مبدئه في ص ٣٤ ، حاشية رقم ٨ . (٦) في س برتش . وفي ابن الأثير برتش بازدار بدون ضبط ، وكان صاحب قرون . (نفس المرجع ؛ ج ١٠ ، ص ٢٣) . راجع أيضا (Rec. Hist. Or. II. 2. pp. 88, 92) حيث رسم هنا الاسم مكانا (Berenkach) . أما البازدار فهو الذي يحمل الطيور الجوارح المدة للصيد على يده . (الفافشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ٤٦٩) . (٧) يظهر هنا بوضوح أن القرزى كان يتقل من ابن الأثير مباشرة أو عن مرجع آخر مصدره ابن الأثير . على أن عبارة القرزى هنا مقتضية ، وهي بحاجة إلى توضيح أكثر ، رغم ما أخيف بين القوسين (انظر ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٢٢ — ٢٤ ، ٢٦ — ٢٧) .

وسار الخليفة الراشد [من بغداد] إلى الموصل في غريسيوم عماد الدين^(١) زنكي، [فلمسمع
السلطان مسعود بمقارفة^(٢) الخليفة وزنكي بغداد سار إليها]، ودخلها^(٣) في نصف ذي القعدة، وخلع
الراشد وأقام المفتي لأمر الله أبا عبد الله محمد بن المستظهر في الخلافة، وزوجه أخته فاطمة
على مائة ألف دينار صدقا. فسار الراشد بالله من الموصل إلى سِراغة، فأثاه الملك داود
في جماعة ليرده إلى الخلافة، فسار السلطان مسعود من بغداد في شعبان سنة اثنتين^(٤) وثلاثين،
وحاربهم وهزمهم، فخل عليه بعض من أعاز منهم إلى تل، [فلم يثبت لهم وانهمز^(٥)]، وما زال
حتى صار إلى آخر بيجان، وقصد داود هذان ومعه الراشد، وسار سلجوق شاه بن محمد
إلى بغداد ليملكها ففتح منها، وسار مسعود لفتح داود من أخذ الراشد ومسيره به إلى
المراق، فترك داود الراشد، وعاد إلى فارس، قُتِلَ الراشد بيد الباطنية أيضا. وضاعت
الأمر على السلطان مسعود، وكثرت الخوارج عليه: وسار عماد الدين زنكي إلى
دمشق، وحصرها سرتين وثلث بعلبك؛ وحارب السلطان سنجر بن ملكشاه خوارزم شاه
أنسر^(٦) بن [قلب الدين] محمد بن أنوشكين، قُتِلَ ابن خوارزم شاه، فبعث
خوارزم شاه إلى الخطاوم بما وراء النهر، فأطعمهم في البلاد وتزوج منهم، فاروا
في ثلاثمائة ألف فارس، فحاربهم سنجر، فقتلوا منه نحو مائة ألف، وهزموه في صفر
سنة ست وثلاثين، فأخذ خوارزم شاه مدينة مرو. فسار السلطان مسعود إلى الري،
وقد استقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر، وأخذ خوارزم شاه نيسابور
أيضا، وقطع خطبة السلطان سنجر أول ذي القعدة، وخطب باسمه، وعاث أصحابه
في خراسان وعملا أعمالا نبیحة. ثم آل أمر أنسر^(٧) خوارزم شاه إلى مصالحة السلطان سنجر،

(١) كان الخليفة وزنكي من حلفاء داود ضد مسعود. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٢ — ٢٣).

(٢) روى إضافة ما بين القوسين من ابن الأثير لتوضيح (غس الرج، ج ١١، ص ٢٦).

(٣) في س "ودخلها السلطان مسعود". (٤) في س "شي".

(٥) في س "وهزمهم". وهذا يخالف ما جاء في ابن الأثير (غس الرج، ج ١١، ص ٤٠).
أضيف منه ما بين القوسين بصرف ثقيف.

(٦) في س المسر. (٧) في س المسر. يلاحظ أن اللؤلؤ عكس ترتيب الاسم هنا.

في سنة ثمان وثلاثين ، وأقام بخوارزم على ما كان عليه ، وأقام سنجر بمر . ومات أتابك عماد الدين زنكي بن آقشغر صاحب الموصل والشام ، قتله بعض عماليكه (١٧٠) في خامس ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، فسار أبته نور الدين محمود بن زنكي إلى حلب فلما ، ومَلَكَ سيف الدين غازي بن زنكي الموصل . ومات السلطان مسعود بن محمد ابن ملكشاه بهمدان ، أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، ومات^(١) معه سعادة بني سلجوق ، فلم يبق بعده لم راية يتدبها . فقام بعده ملكشاه بن السلطان محمود ، وحُطِبَ له ، فلما بلغ الخليفة المقتدى لأمر الله موت^(٢) [السلطان مسعود] أحاط بداره ودُور أصحابه ، وأخذ كل ما لهم ، وجمع الرجال والعساكر ، وأكثر من الأجناد ، وجهز^(٣) إلى الحلة والكوفة وواسط العساكر فأخذوها . ثم إن الأمير خاص بك^(٤) قبض على ملكشاه وبشه إلى خوزستان ، واستدعى أخاه محمد بن محمود من خوزستان ، وأجلسه على تخت السلطنة ، في أوائل صفر سنة ثمان وأربعين ، قَتَلَ محمد [خاص بك] ثاني يوم قدومه . ومَلَكَ نور الدين محمود بن زنكي دمشق في صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، واستولى شمله^(٥) التركاني على خوزستان في سنة خمسين وخمسمائة ، وأزاح عنها ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد . وضعت يد السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، حتى لم يبق له إلا اسم السلطنة ، وأخذ الغزنيسابور بالسيف ، ففر منهم سنجر في رمضان سنة إحدى وخمسين إلى ترمذ^(٦) ، ثم إلى جيحون يريد خراسان ، ثم عاد إلى دار ملكه بمر . وسار السلطان محمد شاه بن محمود من همدان ، وحصر بنداد في ذي الحجة منها^(٧) ، لا متاع الخليفة من الخطيئة له ، إلى أن عاد إلى

(١) في "ومات" . (٢) في "موته" . (٣) في "وجبهو" .

(٤) كان خاص بك — واسمه الأصل أرسلان بن بركرى — أقرب الأمراء إلى السلطان مسعود . وهو الذي أجلس ملكشاه على عرشه بالعراق . (Enc. Isl. Art. Mas'ūd) ، وكذلك ابن الأثير (شس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٠٥ — ١٠٦) . (٥) بدون ضبط في س وابن الأثير ، واسمه أيدغدي التركاني وكان معروفا بشمله (ابن الأثير : شس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٠٦) .

(٦) في س ترمذ . والطلق الثبوت هنا هو "التداول على لسان أهل تلك المدينة" زمن ياقوت ، وغيره كثير (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١١ ، ص ٨٤٣) . (٧) يقصد المؤلف سنة إحدى وخمسين التقسمة المذكور (اضطر ابن الأثير : شس المرجع ، ج ١١ ، ص ١٤٠ — ١٤٢) .

همذان في أخريات ربيع^(١) الأول سنة ثنتين^(٢) وخمسين، ولم ينل طائلا من بغداد. ومات
السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان في ربيع الأول سنة ثنتين^(٣) وخمسين، و[قد]
خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يخاطب بالملك
عشرين سنة. واستخلف^(٤) بعده على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخته.
ومات السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد في ذى الحجة سنة أربع وخمسين بهمدان، عن
اثنين وثلاثين سنة، وترك ولدا صغيرا؛ فاختلف الأمراء بعده: فمنهم من أراد أن يملك
ملكشاه بن محمود، ومنهم من طلب سليمان شاه [بن محمد]، وطلب قوم أرسلان [شاه^(٥)] بن
طغرل [. فصار ملكشاه من خوزستان إلى أصفهان وملكها، تحالف^(٦) عليه أهل همدان
وطلبوا سليمان شاه، فصار (١١٢) من الموصل أول سنة خمس وخمسين يريد همدان، فقبض
عليه بها في شوال سنة ست وخمسين، وخطب لأرسلان شاه بن الملك طغرل بن محمد. ومات
ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصفهان في أثناء السنة، وخطب
بعده بها سليمان شاه، واستقرت ملكه بتلك البلاد. ثم قتل السلطان سليمان شاه بن
محمد بن ملكشاه في ربيع الأول، وخطب بعده لأرسلان شاه بن طغرل^(٧) بن محمد بن
ملكشاه بن ألب أرسلان بن جفري^(٨) بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان وأعمالها.
وطلب [أرسلان شاه] من الخليفة المستنجد بالله أن يخطب له ببغداد، كما كانت العادة
في أيام السلطان مسعود، فأهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة، فكدر الخلاف والقتال
بين عساكر السلجوقية، فمات أرسلان في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وأقيم من بعده

(١) في ب (س ١٥ ب) "شهر ربيع الأول" ومحدث هذا التصرف الطيفي أحيانا، أما الناقب
في نسخة ب فهو حذف كلمة "شهر" حيث توجد، وسينبه إلى هذا النوع الآخر من التصرف في مكانه
مرة واحدة. (٢) و(٣) في س سي. (٤) في س استخلف.

(٥) راجع (Lane-Poole: Muhammadan Dynasties, Table facing p.152)

(٦) في س تحالف. (٧) في س "طغرل". (٨) في س "حريك بن داود".

ابنه طغرل^(١) بن أرسلان آخر السلاطين السلجوقية، وكان تحت أسر قزل أرسلان إيلديكر^(٢)، ثم استبد بسلطته، وطارق قزل أرسلان. فأقام قزل عوضه من الدين سنجر بن سليمان بن محمد ابن ملكشاه، وطرده ثم ظفر به وسجنه، ثم خلص وقتل في محاربة خوارزم شاه قريبا من الري، في رابع عشرين ربيع الأول سنة تسعين وخمسة، ومُهل رأسه إلى بغداد فكان آخر السلجوقية، وملك بعده خوارزم شاه. فكانت مدتهم، من سنة الثنتين وثلاثين وأربعمائة إلى سنة تسعين وخمسة، مائة وعشرون سنة. وكان أسد الدين شيركوه بن شادي قد تقدم عند نور الدين محمود بن زنكي، وبه أمر الحاج من دمشق، ثم سيره مع شاور^(٣) بن نجير السعدي وزير الخليفة العاضد [الفاطمي]، على عسكر من الفز إلى مصر. وكان شيركوه هذا وأخوه نجم الدين من بلد دوين^(٤) أحد بلاد آذربيجان، وأصلهما من الأكراد، فخدموا بجاهد الدين بهر وزيحنة^(٥) ببغداد، فنجل أيوب مستحيظا^(٦) قلعة تكريت، فصار إليها ومعه أخوه شيركوه، وهو أصغر منه

(١) في س "طغرل".

(٢) في س "قزل أرسلان بن ابل دكر"، بدون ضبط. أما هذا السلطان الأخير من سلاجقة العراق فقد تولى الملك كاسرا صغيرا، وكان صاحب أمره أولا الأتابك البهلوان محمد بن إيلدكر، ثم بعد وفاته أخوه قزل أرسلان، واسمه عثمان بن إيلدكر. وقد تمرد هذا السلطان الأديب لما أبيع على قزل، وظل يدفع عن شرف الدولة السلجوقية واستقلالها بالعراق حتى مات في ميدان القتال سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). راجع ابن الأثير: ح ١١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ و ٣٧١ - ٣٧٣؛ وأيضاً ج ١٢، ص ١٥ - ١٦ و ٤٩ - ٥٠ و ٦٩ - ٧٠، وراجع أيضاً (Enc. Isl. Art. Tughril, II.)

(٣) اسم هذا الورير "أبو شجاع جبر الدين بن جبر السعدي". ومن هنا يتبين خطأ كاتب نسخة ب (ص ١١٥) إذ أورد الاسم على أنه "شاور بن جبر الدين السعدي".
(٤) مضبوطة مكانها في ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣٢)، وهي واقعة حسبها جاء في نفس المرجع، في إران في آخر محمود آذربيجان بقرب قزوين.

(٥) وظيفة الشحنة هي الشحنة (انظر ص ٣٥، حاشية رقم ١). أما بهروز بجاهد الدين التتائي فقد كان صاحب الشحنة ببغداد مرات متعددة، بين سنتي ٥٠٢ ر ٥٥٤٠ (١١٠٨ و ١١٤٥ م. وأصله عبد روي من دوين، ثم كانت قلعة تكريت من ضمن أملاكه، فولى عليها صديقه وابن بلدة أيوب سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م). راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠، ص ٣٣٠، ٤٧٥ و ج ١١، ص ٧٠ و ٢٢٥ وأيضاً (Lane-Poole: Saladin, p. 5.) وكذلك (Enc. Isl. Art. Aiyubids).
(٦) أي ما كاعلى تلك القلعة (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) وانظر أيضاً ص ٣٥ حاشية ٥.

سنا، فقدم الشهيد زنكي لما انهزم، فشكره^(١) ذلك. ثم إن شيركوه قتل رجلا يتكرت، فطرده هو وأخوه من القلعة، فسارا إلى زنكي فأحسن إليهما، وأقطعهما إقطاعا حسنا، ثم جعل أيوب مستحفظا لقلعة بعلبك، ثم ترقى وصار من أسراء دمشق. واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي، وخدمه في أيام أبيه، فلما ملك حلب بدأ به، كان لنجم الدين أيوب عمل كبير في أخذه دمشق، فزادت مكاتبتها عنده، ولم ير أحدا يليق به أن يسير مع شاور إلى مصر سوى شيركوه^(٢)، فبعثه إليها ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف، فكان من أمره ما ذكر في أخبار المعاضد^(٣)، فلما مات شيركوه قام من بعده صلاح الدين يوسف، كما ستقف عليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى^(٤).

(١٤) السلطان الملك الناصر صلاح الدين^(٥)

يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي [بن عترة] الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف. ومن هنا اختلف النسابون: فقيل عوف^(٦) بن أسامة بن تيهش بن الحارث [صاحب الحماة] ابن عوف بن ابن أبي حارثة بن مرة بن نُسَيْب بن غَيْظ بن مرة بن عوف بن^(٧) سعد بن ذَيْبَان ابن تَيْفِيز بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس [بن] عيلان بن مضر^(٨) بن نزار بن معد بن عدنان. ويقال إن علي بن أحمد يعرف بالخراساني، مدحه اللنبي بقصيد منها: —

- (١) انظر ص ٣٥ .
(٢) وقعت هذه الحادثة سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) .
(٣) بهامش الصفحة تشير لهذا الاسم أنه: " معنى شيركوه لشد التابة " .
(٤) لا يوجد كثير من أخبار المعاضد هنا، وليس بالنسخة المطبوعة من كتاب اتصال الحفاه بأخبار الحفاه شيء، فإن آخر موضوعاته قتل الخليفة الحاكم بأمر الله (انظر ص ٩ ، حاشية رقم ٢) .
(٥) لكي يجتداه المؤلف الموضوع التالي على ورقة جديدة، ترك بقية هذه الصفحة (١٢) والتي تليها بيضاء .

- (٦) يبدأ المؤلف في س ، والناسخ في ب ، عناوين الموضوعات الجديدة أول سطر دائما بقلم مريض، بخط نسخ، بمدا أمر غالبا . غير أن بعضها طويل، إذ ينتهي عنوان هذا الموضوع عند لقط " شاذي " (سطر ٩) في المتن، وقد اكتفى منه بالقطعة الأولى .
(٧) في س " يهيس بن الحرث " . ويغير ضبط . (٨) في س ذيبان بن تيفيز، ويغير ضبط .
(٩) ليس لهذه النسبة، أو ما يتابعها من الأنساب البرية للأكراد، نصيب من الصحة (انظر ص ٣ ، حاشية رقم ١) . ومع هذا فقد صححت الأعلام الواردة هنا على ماورد في ترجمة صلاح الدين بالجزء المختار من وفيات الأعيان في (Rec. Hist. Or. III, p. 400) .

شرق الجسوة بالنجار إذا سار على بن أحمد التتقم

وقيل إن سروان من أولاد بنى أمية ، زعم ذلك إسماعيل بن طفتكين بن أيوب ، وأنكر ذلك عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسي^(١) أن شاذى كان مملوكا بهروز الخادم . والحق أنه من الأكراد الروادية أحد بطون الهذليانية^(٢) ، من بلد دوين^(٣) في آخر آذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج . وكان له ابنان ، أكبرهما أيوب ثم شيركوه ، قدم بهما العراق فخرما عند بهروز ، فجعل أيوب على قلعة تكريت وكانت في إقطاعه ، وقيل جعله بعد أبيه شاذى ، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكى لما انهزم إليهما ، ثم قتل شيركوه رجلا ، فأخرجه بهروز من تكريت هو وأخاه أيوب ، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة . فلحقا بزنى ، واتصل أيوب بولده غازى بن زنكى ، وخدم شيركوه محمود بن زنكى . فأقام عماد الدين غازى أيوب بن شاذى على قلعة بعلبك ، وما زال يترقى [حتى صار من أسراء دمشق] . ولد [صلاح الدين يوسف] بقلعة تكريت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسة ، وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها ، ثم انتقل بابنه يوسف إلى الموصل ، وصار منها إلى الشام ، فأعطى بعلبك ، فأقام بها مدة . ونشأ يوسف وعليه لوائح السعادة ، وجالس مشايخ أهل العلم ، فجمع [له الشيخ^(٤) الإمام] قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى^(٥) عقيدة نحوى

(١) انظر بعض أخباره في (Blochet : Op. cit. p. 98, N. 1).

(٢) راجع ص ٤ ، وأيضا . (Rec. Hist. Or. III. p. 899).

(٣) مرسلة هكذا في س .
(٤) الراجح أن القرزى استعان بكتاب النوادر السلطانية والمحاسن البوسفية لابن شداد ، في ترجمة صلاح الدين . غير أنه نسب البشارة كثيرا ، جعلها في حاجة إلى كثير من الإضافة بين أفراس مرسية ، ولهذا رأى إيراد ما جاء في ابن شداد ، وهو : " وكان [صلاح الدين] رجة الله عليه حسن العقيدة ، كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ عقيدته عن الدليل ، بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء . وتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه ، بحيث كان إذا جرى الكلام بين يده يقول فيه تولا حسنا ، وإن لم يكن بصارة الفقهاء . تحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدوالسبه ، غير مارق سهم النظر إلى التخليط والتوهم ، حاربه على نخط الاستقامة ، موافقة لتأتون النظر الصحيح ، مرسية عند أكابر العلماء . وكان قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النيسابورى عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب ... " (Rec. Hist. Or. III. p. 7).

(٥) بهامش الصفحة إشارة فارسية ، ونصها : " ولد مسعود هذا في سنة خمس وخمسة ، ومات بمشقق سنة ثمان وسبعين وخمسة ، وكان إماما فاضلا في علوم الديانة " .

جميع ما يحتاج إليه ، فن شدة حرصه عليها كان يملأها صفار أولاده وبأخذها عليهم ، وكان يواظب الصلاة مع الجماعة ، حتى قال يوما : "لئى سنين ماصليت إلا فى جماعة" . وكان إذا مرض استدعى الإمام وحده ، وصلى خلفه . وصار فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى ، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر ، فى سنة ثمان وخسين وخمسمائة ، وقدمها . ثم عاد إلى الشام ، وقدمها ثانيا مع عمه ، وحضر وقعة البابين^(١) ، وحصره الفرنج بالإسكندرية . ثم خرج مع عمه إلى الشام ، وسار معه فى السكرة الثالثة على كركره منه فى السير إلى مصر ، وقدمها فى سنة أربع وستين ، ولما تقاعد شاور عن إجابة شيركوه . وإعطائه ما تقدم به الوعد لنور الدين وللمسكر ، تشاوروا على الإحاطة به والقبض عليه ، فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين : فإنه لما قدم عليهم شاور على عادته فى كل يوم ، وساروا معه لقصد أسد الدين ، سار صلاح الدين إلى جانبه وأخذ بتلاييه ، وأمر المسكر بأخذ أصحابه ، فقروا عن شاور ، ونهب الفزما كان معهم ، وسيق شاور إلى الخيم وقتل^(٢) . فاستقر أسد الدين [شيركوه] بدمه فى وزارة العاضد إلى أن مات ، فى ثمانى عشرى جهادى الآخرة من سنة أربع وستين . فتَوَّضَّ العاضد وزارته إلى صلاح الدين ، ونمته بالملك الناصر ، فشئ الأحوال ، وبذل الأموال ، واستعبد الرجال ، وتاب عن الخمر فترك معاقرة ، وأعرض عن اللهو . ودتر الأمر فى نوبة نزول الفرنج على دمياط أحسن تدبير ، حتى رحلوا عنها خائبين ، فنهبت آلاشهم وأحرقت مجانيقهم ، وقُتل منهم خلق كثير . وتمكن [صلاح الدين] فى مصر ، فقدم عليه أبوه تيم الدين أيوب وإخوته وأهله . ثم إنه دأب فى إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها ، فأعانه الله على ذلك ،

(١) تقع هذه البقعة عند مسافة عشرة أميال جنوبى النيا ، وقد اشتبك عندما ، فى ١٨ إبريل سنة ١١٦٧ م ، شيركوه مع شاور وحليفه عمورى (Amaury) ملك الدولة الصليبية بيت المقدس ، وانصر شيركوه عليها بفضل قائد قلب جيده صلاح الدين . (Lane-Poole : Saladin, pp. 88 - 89) .

(٢) بعد قتل شاور ، طلب الخليفة العاضد أيضا "وفد شاور الملك الكامل ، وتسله فى الدهليز ؛ وقتل أخاه" كذلك (ابن تترى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٠٠ ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤) .

(٣) فى "سناجيتهم" . ويشير المؤلف هنا إلى حصار الصليبيين دمياط فى نوفمبر سنة ١١٦٦ م ، وللى جلائهم عنها فى ديسمبر من السنة ههـ . (Lane-Poole : Saladin, pp. 103-106) .

ومات العاضد وقد قطع [صلاح الدين] خطبته ، وأمر الخطباء بالدعاء (١٤ ب) للمستضى .
[بأمر الله العباسي] ، فاستولى على القصر^(١) وما يحويه ، في عاشر المحرم سنة سبع وستين . وأخذ
يتأهب لغزو الفرنج ، وقد انفراد بسلطنة ديار مصر . وكتب العماد الإصفهاني بشارة تقرأ
في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر ، وبشارة ثانية تقرأ بحضرة الخليفة المستضى .
بنور الله في بغداد ، على يد القاضي شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عَصْرُون . فسار
[القاضي] ، ولم يترك مدينة ولا قرية إلا وقرأ فيها للنشور ، حتى وصل بغداد ، فخرج الناس
إلى لقائه ، ودخل يوم السبت ثاني عشره ، فَعَلَّتْ أسواق بغداد بالزينة ، وخليج عليه .
وفي يوم الجمعة رابع^(٢) عشره أخرج السكامل شجاع بن شاور ، من المكان الذي قُتل فيه
بالقصر ودفن فيه ، فوجدت الجثة مختلطة بِيَجْتِي^(٣) عمه وأخيه ، فجمعوا في تابوت جل^(٤) إلى قبر
شاور ، فبش عنه وأخرج منه ، وكان في مكان غامض ، وجعل في تابوت . وساروا بالتابوتين إلى
تربة طي^(٥) بن شاور فدفنوا بها . وفي تاسع عشره رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة ؛
ونزل البئر البيضاء^(٦) يريد بلاد الشام ، فوصل إلى الشوبك ، فواقع الفرنج ، وعاد على أيلة ،
وهلك منه نحو الخمسة آلاف رأس ، ما بين جل وفرس ، في هذه السقرة .

وفيها فُرِقت الزكوات في ثالث ربيع الأول على الفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل
والغارمين ، وورع إلى بيت المال سهم العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب ، وأُخذت

(١) قصور القاطنين بالقاهرة كثيرة ، ولعل المقصود هو القصر الكبير الذي بدأ بابه القائد جوهر
الصقل سنة ٩٦٩ م . (Lane-Poole : Cairo 126-128) .

(٢) أي المحرم سنة ٥٦٧ هـ وضع هذا التاريخ يوم الجمعة بالصبط .

(٣) لعل المقصود هو مسيح أخو شاور ، الذي جرح حراً بينما مات منه في تلك الأيام (حسن
إبراهيم حسن . القاطنين في مصر ، ص ٣٠٣) .

(٤) أي "وجل" .

(٥) أولاد شلور ثلاثة ، وم : طي وشجاع وسليمان والأول أكبرهم ، وقد قتل سنة
١١٦٣ م ، بعد قليل من سفر أبيه شاور إلى الشام ، لاستنجد نور الدين على شرمق . (Enc. Ist .
Art. Shawar) تارن هذا ما هو وارد في حسن إبراهيم حسن : القاطنين في مصر ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٦) لم يرد هذا الاسم في معجم البلدان لياقوت ، غير أن "البيضاء" فقط "اسم لأرج برى بمصر ،
الأولى من كورة الشرقية" ، والراجع أن هذه القرية هي ما قصد للقرى هنا (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ١ ، ص ٧٩٣) .

الزكاة من البضائع ، وعلى ما اقتدر عليه من الواشى والنخل والخضرراوات ، وقررت السكة باسم المستضى . بأمر الله ، وباسم الملك العادل نور الدين ، فُنقش اسم كل منهما في وجهه ، وذلك في صابح شهر ربيع الآخر . وفيه قُلمت المناطق الفضة التي كانت بمحاريب جوامع القاهرة التي فيها أسماء الخلفاء الفاطميين ، وكان وزنها خمسة آلاف درهم فضة ^(١) . وفيه أنزل النفر بالقصر الترنى ، وأخرج من كان ساكناً فيه . ووُرد الخبز بأن الخمر — بعد تعطيلها ، وغلق حاناتها وقطع ذكرها ، بالإسكندرية — أعيدت يبذل مال لديوان نجم الدين أيوب ، ففتحت مواضعها وظهرت مناكرها ^(٢) . وفي جمادى الآخرة قُرّر دينار الأسطول ^(٣) بنصف وربع دينار ، بعد أن كان بنصف وعين دينار . وفي سابعه ولد عثمان الملك العزيز ^(٤) وفي ثالث عشره كشف حاصل القصر بالخرائن الخاصة ، فوجد فيها مائة صندوق كسوة فاخرة ، ما بين موشع وموشع ، وعقود ثمينة ، وذخائر غنية ، وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من ذخائر عظيمة . وكان الذي تولى كشفها بها . الدين قراقوش ^(٥) . وفيها كثرت عاذية القار في كل ثمار النخل والأقصاب والأشجار ، وأنتهى الحال إلى أن أعصر من مائه فدان مرزوعة قصباً ستون أبلوجاً ^(٦) . ومع هذا فالأسعار ^(٧)

(١) العصة الثقرة عبارة عن سبيكة من الفضة والحاس الأحمر ، بنسبة اثنين من الفضة وثلاث من الحاس الأحمر ، ومنها كانت ضرب الدراهم النقرة : (الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ ، ٤٦٦ — ٤٦٧) . (٢) في "فتحت مواضعها وظهرت مناكرها" .

(٣) عى الفاطميون بالأسطول ، وكان قواده في أيديهم عشرة ورتبائهم من ديوان الجيش ، وهذه تختلف من عشرين ديناراً إلى دينارين وعمرتها واجبة إلى الإطاعات التي تصرف بأبواب الخزاة ، والتي منها روايتهم ، ولهذا كان يصل دينارهم — أى دينار الأسطول — بالناسية إلى الصب . وقد اعتنى صلاح الدين أيضاً بالأسطول ، فأفرد له ديواناً خاصاً بديوان الأسطول ، وعين له وعاى عديدة من الخراج ، كما زاد في إقطاعاته وفي ديواره إلى ما هو مدين ملقب (الفرزى : الواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٢ — ٤٨٣ و ح ٢ ، ص ١٨٩ — ١٩٧) . (الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٠ — ٤٤٣) . (٤) ثانى أولاد صلاح الدين . انظر أخبار سلطنة قيا على .

(٥) في س ، ب (س ١٦ ب) "قراقوش" ، وسيصحح إلى الرسم الوارد هنا في سائر النسخ بلا تزيه . واسمه بهاء الدين بن عبد الله الأسدى الروى المالكي ، وأصله عبد ملوش ، أعطاه أسد الدين شيركوه ، وأصبح في أوائل أيام وزارة صلاح الدين حاجباً ، وقد نيط به بعد ذلك أعمال هامة كبناء قلعة الجبل بالقاهرة ، واستمر موصى ثقة صلاح الدين ، وولده عثمان من بعده كما سيأتى ذكره . (Enc. Isl. Art. Karakush)

(٦) في س أبلوجه ، وبشره (Dozy: Saqq. Dict. Ar.) بأنه (pain de sucre) أى قيسكر .

(٧) في س الأسعار .

رخيصة (١٥٠) والذلة كل ثلاثة أرداد من القمح بدينار ، والشعير كل ثمانية أرداد بدينار ، والقول كل أربعة عشر أردبا بدينار ، والسكر كل قطار بثلاثة دنانير . وفي تاسع رجب وصلت الخلع التي نُفِذَتْ إلى نور الدين من الخليفة بينداد ، وهي قَرْجِيَّة سوداء وطوق من ذهب ، فلبسها نور الدين ، وسيرها إلى الملك الناصر ليلبسها ، وكانت نفذت له خِلْمَةٌ ذُكِرَ أنه استقصرها واستنزهها واستقصرها دون قدرة . فبات الواصل بالخلع برأس الطابية ؛ فلما كان العاشر منه خرج قاضي القضاة صدر الدين بن دُرَيْكَس^(١) والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخلعة ، وهو من الأحاب النجمية ، وزيَّنت البلد . وفيه ضُربت نُوبُ الطيلخانات^(٢) باللبب الناصري ثلاث مرات في كل يوم ، وضربت بدمشق خمس مرات كل يوم باللبب النوري . وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع ، وشق بين القصرين والقاهرة ، فلما بلغ باب زويلة نزعها وأعادها إلى داره ، وبرز للعب الكرة . وفيها عمت بلوى الضائقة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعُدِمَا فلم يوجد ، ولَمَجَّ الناس بما عثم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكَأَنَّمَا كَرَّت حرمة التيور له ، وإن حصل في يده فكَأَنَّمَا جادت بشارة الجنة له . ومقدار ما يُحْدَسُ أنه

(١) مضبوطة على مخطوطها الفرنسي في (Illochet : Op. cit. p 106) .

(٢) الطيلخانات — بالماء — لفظ مركب من كلمة طبل وهي عربية ، وكلمة حانة وهي طربية ، ومعناه مكان الترفة الموسيقية السلطانية ، أو الترفة الموسيقية نفسها . وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صيحة السلطان في الأسفار والحروب . (القافشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨ — ٩ و ١٣) . واظر أيضا : (G. Demombynes : La Syrie, Introd. P. LIV) . وفي هامش الصفحة عبارة تفسرية لأصل نظام نوبات الطيلخانات ، وهنا نصها : "أصل ذلك أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما ضم على المسير إلى العراق ، وخالف على الخليفة الناصر ، ضرب لنفسه نوبة ذي القرنين تماثلا ، وهي [في] وفق الترويق والترويق ، بعد ما كانت ، بعد ما كانت تضرب له حسن نوب في أوقات الصلوات الخمس ، موصفا لأولاده بضريرتها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور سلطنتهم ، فذلك كان نور الدين يضرب بدمشق النوب الخمس . أول يوم ضربها خوارزم شاه اختار لصربها سبعة وعشرين ملكا من أكابر اللوك وأولادهم ، وكانت آلات النوبة من الذهب " .

(٣) في سر ، "زم" ، وفي في ب (ص ١٧) "ثم لب" .

من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس^(١) وأثاث وقاش وسلاح ما لا يقي به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر، ولا تشتل على نيله المالك، ولا يتقدر على حيابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة. وفيها عرض السلطان الربان الجذامين^(٢)، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار؛ وكُلِّف الثغالبية [مثل] ذلك فامتعضوا، ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج. وفي ثاني عشر رجب أقيمت الخطبة في صلاة الجمعة بمصر والقاهرة، وقد نصبت على المنابر الأعلام السود، وليس الخطباء ثياباً سوداً أرسل بها من بغداد. وجُرس في البلد بالأناخير أحد عن الجمعة وحضورها، والفریضة وأدائها؛ ومن عُثِر عليه (١٥ ب) عومل بالحبس والتقييد واللوم والتفتيد، فحضر من لا يريد الحضور. وفي ثالث عشر به خُلع على الوفد الشامي خلع مذهبات من بقايا ما أخذ من القصر، وأقيمت ضيافتهم وأُدرت أنزلاتهم. وفي شعبان وقع برّد في الدقهلية والمركزية^(٣) كأنه الأحجار للدورة، فاستهلك الغلات، وأصاب منها واحد رأس ثور فأت من ساعته، وبلغ وزنها ما بين رطل كل برّدة إلى رطلين. وفيه سارت الرسل من القاهرة إلى نور الدين بلبس الخلع، وبقرار ما أمر به [صلاح الدين] من المال في كل سنة. وفيه أمر السلطان بصرف أهل الذمة والملح من استخدامهم في أمر سلطاني ولا شغل ديواني، فعُرف جماعة، ولم ينصرف واحد منهم من كتابة الفز، وأُرْجف بإخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم. فلما كان الخامس عشر منه صُرفت جماعة من وجوه [أهل] الذمة من الأشغال السلطانية، وبقي بعضهم، وكتاب الفز على حالم،

(١) كذا في س والصحيح "الطبايى" جمع "طبى" وهو الإباء الصغير. أما الطبوس فهي جمع طبس وهو الذهب. (Dozy: Suppl. Diet. Ar.) (٢) في "الجنائينون".

(٣) الدقهلية والمركزية هما الجزء الشمالي من مديرية الدقهلية الحالية، وكانا قسيتين إداريتين على مصر الممالك البحرية، ثم صارتا واحداً. ونسب الدقهلية إلى دقهلة، التي تقع حياً بقاء في ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٨١) على أربعة فراسخ جنوبي دمياط. وكان من حدود هذه السكورة أو القسم الإداري الجديد في الجنوب بلدة السيلالون، وفي الشمال قرب بلدة شربين. وأما الأراغى الواقعة على ضفتي فرع دمياط، فيا على هذه السكورة إلى البحر، فكانت تسمى نهر دمياط. (P. Omar Toussoun: La Geog. de L'Egypte ... Arabe, T. I. P. 221)

وامتنعوا من صرفهم بأنهم قد دَرَبُوا أَرْمَ ، ويَحْشَوْنَ بِإِخْرَاجِهِمْ ضَيَاعَ أُمُورِهِمْ . وفي حادى عشره خرج السلطان إلى الإسكندرية ، وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة أمواله بحيث ضاق به التدبير ، فقيل له إن في بلاد برقة أموالاً^(١) منسعة ، وليس بها إلا عربان غير مأمنة ، فخرج لذلك . وعقد بالإسكندرية مشوراً ، حضره [أبوه] نجم الدين أيوب وشهاب الدين [الحارمى] وتقى الدين^(٢) [عمر] ، بسبب المسير إلى بلاد الغرب ، ومبادرة زرعها قبل حصاده . وكوتب من بمصر والقاهرة من الجند بالحضور ، وتجهيز الأسواق من السَّعْطِيِّين^(٣) والبيطرة وغيرهم ، وكوتب الربان بطلب الفُرُكُوت والإنكار عليهم فى قطع الطريق على الجلائين . واتضح أنه عُدِمَ فى هذه السنة مائة ألف رأس من النعم . واستقرَّ الرأى على أن تبقى الدين عمر بن شاهنشاه بن [نجم الدين] أيوب يتوجه بمسكروه ومعه خمسمائة فارس آخر ، وتقرر ت حوالتهم فى النفقة عليهم على [كورة] البحيرة وفى ذى القعدة كثرت المناسر^(٤) وهجموا [على] الدروب بالسلاح والشموغ ، وحاربوا الناس ، وأخذوا المنازل ، وأحرقوا الدور بمصر . وفى ذى الحجة وصل رسول متملك الحشبة بهدية وكتاب إلى [الخليفة] الماضد ، فقرأ كتابه وأخذت هديته . ووصل عسكر ملك النوبة إلى القرى المتاخمة لثغر أسوان .

وفىها ابتدأت الوحشة والنفرة بين الملك السادل (١٦٦) نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف : وذلك لأن نور الدين بعث إلى صلاح الدين يأمره بجمع المسكر المصرية ، والمسير بها إلى بلاد الفرنج ومحاصرة الكرك ، ليجتمع هو وإياه على ذلك . فبرز [صلاح الدين] وكتب إلى نور الدين بذلك ، فخوفه أصحابه من الاجتماع بنور الدين . وكان نور الدين قد جمع عساكره ، وأقام ينتظر الخبر ، فلما أتاه الخبر بأنه قد برز رجل عن دمشق ، ونازل الكرك وهو ينتظر قدوم صلاح الدين ؛ فأتاه كتابه يعتذر عن الوصول باختلال بلاد مصر والخوف

(١) فى س اموال .

(٢) شهاب الدين خال صلاح الدين ، وتقى الدين هو عمر بن شاهنشاه ، أى ابن أخى صلاح الدين

(انظر ما مثل) .

(٣) التالى أن المؤلف يقصد بهذا الاسم سنار الباعة عموماً ، على أنه يحتل أيضاً أنه أراد باعة القطن والكروشي . انظر (Dozy Supp. Dict. Ar.) ، و (Blochet : Op. cit. p. 108) .

(٤) المنسرى يفتح الليم وكسرها شروفة من السكر . (يحيط المحيط) .

عليها ، ويطلبه أنه عاد إلى القاهرة ؛ فظن ذلك على نور الدين ، وعزم على دخول مصر وقلع صلاح الدين منها . فبلغ ذلك صلاح الدين ، فخاف وجمع أهله وخواصه واستشارهم ، فقال تقي الدين عمر ابن أخيه : — “إذا جاء قاتلنا كلنا ، وصددناه عن البلاد” ، وواقفه جماعة من أهله على ذلك . فسبهم نعيم الدين أيوب ، وأنكر عليهم ، وكان ذا رأي ومكر ، وقال لابنه تقي الدين : “أقصد” ، وسبّه . والتفت إلى ولده السلطان صلاح الدين وقال : “أنا أبوك ، وهذا شهاب الدين الحارثي خالك ! أعظن في هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير أكثر منا ؟” قال : “لا” . فقال [نعيم الدين] : “والله لو رأيت أنا وخالك هذا السلطان نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل له ، وتقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لقمعنا . فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا ؟ وكل من تراه من الأمراء والساكر ، لو رأى السلطان نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات في سرجه ، وما يسهه إلا النزول وتقبل الأرض بين يديه . وهذه البلاد له ، وقد أقامك فيها نائباً عنه ، فإن أراد عزلك فأى حاجة إلى الحى . ؟ يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ، ويولى البلاد من يريد” . وقال للجماعة كلهم : “قوموا عنا ، فمن ممالك السلطان نور الدين وعبيده ، يفعل بنا ما يريد” . ففترقوا على هذا ، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بهذا الخبر . ثم إن نعيم الدين خلا بابنه صلاح الدين وقال له : “أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتظلمهم على ما في نفسك ، فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد ، جعلك أم أموره وأولاه بالقصد ، ولو قصدك لم ترَ معك أحداً من هذا العسكر ، وأسودك إليه . وأما بعد هذا المجلس فإنهم سيكتبون إليه بقولى ، فاكذب أنت إليه أيضاً فى المضى (١٦ -)” . وقال له : “أى حاجة إلى قصدى ؟ نجاب يحى . فإأخذنى بحبل يضمه فى عنق ، فإنه إذا سمع هذا عدل عن قصدك ، واشتغل بما هو أهم عنده ، والأيام تندرج ، والله عز وجل كل يوم هو فى شأن” . ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه ، فأنخدع نور الدين وعدل عن قصده ، واندرجت الأيام كما قال نعيم الدين ، ومات نور الدين .

وفيها اتخذ نور الدين محمود بالشام [الحام الهوادي لنقل البطاطي^(١)] . وفيها ولى أمير
الينبع خطابة الجامع العتيق ، بعد موت الشريف تاج الشرف^(٢) حسن بن أبي الفتوح
ناصر في الحرم .

سنة ثمان وستين وخمسة . فيها خرج صلاح الدين بمساكره يريد بلاد الكرك والشوبك :
فانه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها من الفرنج ،
فأراد التوسيع في الطريق وتسهيلها . وسار إليها وحاصرها ، فلم يزل منها قصداً وعاد . وفيها جهز
[صلاح الدين] الهدية إلى السلطان نور الدين ، وفيها من الأمتعة والآلات الفضية والذهبية
والبثور واليَنِّم^(٣) أشياء يمز وجود مثلها ، ومن الجواهر والآلات^(٤) عظيم القدر ، ومن
العين ستون^(٥) ألف دينار ، وكثير^(٦) من الثرائب المستحسنة ، وفيل وحمار عتابي^(٧) ، وثلاث
قطع بَلَحْش^(٨) فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالاً ، وكان ذلك في شوال . وفيها خرج العبيد من
بلاد النوبة لحصار أسوان ، وبها كنز الدولة^(٩) ، فجهز السلطان الشجاع البعلبكي في عسكر كبير
فسار إلى أسوان ، وقد رحل العبيد عنها ، فقبضهم ومعه كنز الدولة ، وواقعهم وقتل منهم كثيراً ،
وعاد إلى القاهرة . وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة غفر الدين تورانشاه بن أيوب ، أخو^(١٠)
السلطان صلاح الدين ، إلى بلاد النوبة ، وفتح قلعة إرِيم^(١١) وسجى وغنم ، وعاد إلى أسوان ؛

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٤٦) لنصف
قراءته في س ، سبب وروده بهامش بين متلفعي الصدحين ١٦ ب ، ١٧ .

(٢) في س السرف . (٣) حجر عتيق قريب من البرجد : (Blochet Op. cit. P. 116) (٤) في س شيا . (٥) في س ستين . (٦) في س كثيرا .

(٧) المالب أن المؤلف يقصد نوعاً من حبر الوحش ، لأن كلمة "عتابي" تطلق على صنف من قاش
خشن مغطى بحمرة وصفرة ، ونراء حار الوحش مغطى أيضاً . (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) .

(٨) نوع من الياقوت ، والمامة تميزه من غيره بهذا الاسم ، غير أن التسمية الصحيحة هي "الياموت
البدشقي" نسبة إلى جهات بدشتان في أقصى شرق أفغانستان . انظر (Blochet : Op. cit. P. 110) وكذلك (Quatremère: Maml. II. I. P. 71)

(٩) اسمه أيضاً "الكنز" فقط ، وهو مصري من الصعيد ، انتزع إلى أسوان لما شرد صلاح
الدين الجنود السودانية الفاطمية بعد كشف مؤامرة الطوائف مؤتمن الخلافة . وقد جمع الكنز إليه بقايا تلك
الجنود ، وحلوا معهم إعادة الدولة الفاطمية (ابن شداد التواحر السلطانية ، ص ٥٦ في Rec. Hist. Or. Vol. III.)
(١٠) في س "أخي" .

(١١) ضبط هنا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. P. III)

وأقطع إبراهيم رجلاً يعرف بإبراهيم الكردي ، فسار إليها في عذّة من الأكراد ، وانبثوا يشنون الفارات على بلاد النوبة ، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشي بعد قعر وجهد . فوافي كتاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو يقوص مع هدية ، فأكرم رسوله وخلع عليه ، وأعطاه زوجين من نساب ، وقال له : ” قل للملك مالكٌ عندي جواب إلا هذا “ . وجهز معه رسولاً ليكشف له خبر البلاد ، فسار إلى دُمقَة^(١) وعاد إليه ، فقال : ” وجدت بلاداً ضيقة ، ليس بها من الزرع سوى الدرة ونخل صغير منه أدامهم ؛ ويخرج الملك وهو عريان على فرس عُري ، وتذلف في ثوب أطلس ، وليس على رأسه شعر . فلما قدمت عليه وسلمت نخلك وتناشى ، وأمرني فكُويت على يدي هيئة صليب ، وأمر على بنحو خمسين رطلاً من دقيق . وليس في دُمقَة^(٢) (١٧) عمارة سوى دار الملك ، وبقايا أخصاص “ . وفيها عظمهم [السلطان] نوالدين بأسر مصر ، وأخذَه من استيلاء صلاح الدين عليها للقيم المتعمد ، وأكثر من مراسلته بحمل الأموال ، ثم بعث بوزيره صاحب موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير^(٣) القيسرائي إلى مصر ، لعمل حساب البلاد ، وكشف أحوالها ، وتقرير القطيعة على صلاح الدين في كل سنة ، واختبار طاعته ؛ فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله . وفيها مات أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل أبي سعيد الكردي ، والد السلطان صلاح الدين يوسف . وذلك أنه خرج من باب النصر بالقاهرة ، فألقاه الفرسان إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشرين الحجة ، فحمل إلى داره في تاسع عشره وقيل لثلاث بقين منه ، فتمتَّع عند أخيه أسد الدين شيركوه ، ثم قُتل إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين وخمسمائة .

(١) كذا في س دأما ، ومما أيضاً صحيحة بالتون بدل الليم (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ و ٦١١) . (٢) بين المصحفين ١٦ ب و ١٧ حاشي على ورقة منفصلة . وقد لُحق هنالك خطأ ، وموضعه المناسب حيث حوَّاد سنة ٥٧٥ ، فينظر هناك .

(٣) في س ” صغير “ ، وقد صححت على منطوقها في (Blochet : Op. cit. P. 112) .



سنة تسع وستين وخمسمائة . فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد ابن محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني من عند السلطان الملك العادل نور الدين ، مطالباً لصالح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصل من الارتفاع^(١) . فشق ذلك عليه وقال : " إلى هذا الحد وصلنا ؟ " وأوقفه على ما تحصل له ، وعرض عليه الأجناد ، وعرفه بمبالغ إقطاعاتهم وجامعياتهم^(٢) ، ورواتب نفقاتهم . ثم قال : " وما يضبط هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير ، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماؤها ، وأنهم معنادون بالنعمة والسمة وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمعون بأن ينقص من ارتفاعها " ، وأخذ يجمع المال . وفيها سار الأمير شمس الدولة تورا نشاء ، أخو السلطان صلاح الدين ، إلى اليمن : وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل إلى مصر وينزعهم منها ، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها ، وكان اختيارهم قد وقع على الثوبة ، فلما سار إليها لم تعجبه وعاد ، وكان الفقيه عماره اليمني قد انقطع إلى الأمير شمس الدولة ، ومدحه واختص به وحديثه ، عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها ، وهون أمرها عنده ، وأغراه بأن يستبد بذلك اليمن ، وتعرض لذلك في كلمته التي أولها :

العلم^(٣) مذ كان محتاج إلى التسلّم • وشفرة السيف تستغنى عن التسلّم

ومنها : —

فأخاف أن تفك ملكاً لا تضاف به • إلى سواك وأؤثر النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته • كما يقول الوري ، لحما على وض

(١) الارتفاع ما يحصل من الدواوين عامة . راجع القهرس .

(٢) الجامعيات الرواتب عامة (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) وفي القفشدني (صحيح الأعمى ، ج ٣ ، ص ٤٥٧) أن نفقة ممالك السلطان كانت عبارة عن "جامعيات وعليف وكسوة وغير ذلك" .

(٣) كثير من آيات هذه القصيدة وارد في ترجمة عمارة اليمني وقد قول الواردها عليها . انظر (Derenbourg: Oumara du Yemen, T. 1. PP. 352—355, T. 2. PP. 619—620)

(١٧ ب) وكان شمس الدولة مع ذلك جواداً كثير الإنفاق، فلم يقطع بماله من الإقطاع بمصر، وأحب التوسع، فاستأذن صلاح الدين في السير، فأذن له واستمد ذلك، وجمع وحشد، وسار مستهل رجب. فواصل إلى مكة فزّار، ثم خرج منها يريد اليمن، وبها يومئذ أبو الحسن علي بن مهدي، ويقال له عبد النبي. فاستولى على زبيد في سابع شوال، وقبض على عبد النبي، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن، وتلقب بالملك المظلم، وخُطب له بذلك بعد الخليفة المستضيء بأمر الله في جميع ما فتحه، وبعث إلى القاهرة بذلك. فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستضيء. ببشدا^(١). وفي سادس شعبان قبض على أولاد الماضد وأقاربه، وأخرجوا من القصر إلى دار المنظر بحارة برّجوان، في العشر الأخير من رمضان.

وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد الماضد، وأن يفتكروا بصلاح الدين^(٢)، وكانوا الفرنج: منهم القاضي للفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله ابن كامل القاضي، والشريف الجليس، ونجاش الحامى، والفقير عمارة بن علي الباني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة التوريس^(٣) مولى ديوان النظر^(٤)، ثم القضاء، وداعي السعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، والواعظ زين الدين بن نجما، فوثقى [ابن نجما^(٥)] بنزهم إلى السلطان، وسأله أن ينعم عليه بجميع ما لا ينكسر الداعي من الدور

(١) بقالة هذه العبارة كلمة "انظر" بالمعنى.

(٢) لفظة هذه المؤامرة منشورة بنصها في كتاب تاريخ عمارة البني تحت عنوان "نية من كتاب السلوك ...". "Derenbourg: Onmara, T. II. PP. 650—652) وقد قول ما هنا عليها.

(٣) بغير ضبط في س.

(٤) ناقص منصب الوزارة بمصر منذ عصر الأيوبيين، وشارك الوزير في أعماله وتصرّفها النظار، وتوعدت ألقاب هؤلاء بحسب الأعمال التي آلت إليهم: فناظر الجيش هو الذي يحدث في أموال الميراث وينظر في حسابها؛ وناظر الخايس هو الذي ينظر في حاسر أموال السلطان؛ وناظر الدولة وعمله مشاركة الوزير في التصرف عامة، والنظر في اللالة وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة. واسمه أيضاً ناظر الدواوين، وأحياناً ناظر النظار أو صاحب الصريف، ومقره ديوان النظر. ومعاونته في أعماله متولى الديوان، وهو ثاني رتبة الناظر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٥ — ٤٦٦،

(Q. — Demombynes: Op. cit. P. LXVIII)

(٥) أضيف ما بين القوسين يد صاحبة ابن الأمير (السكران في التاريخ، ج ١٦، ص ٦٦٧ — ٦٦٨).

والموجود كله ، فأحبب إلى ذلك ، فأحيط بهم وشتقوا في يوم السبت ثاني شهر رمضان بين القصرين : فشئت عمارة وصلب فيها بين بابي الذهب و باب البحر ؛ وابن كامل في رأس النُفُورِ قَيْنِ التي تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش ، والعوريس على درب السلسلة ، وعبد الصمد وابن سلامة وابن المُظَيَّ^(١) الأمير ومصطفي الدولة والحاج ابن عبد القوى بالقاهرة ، وشتق ابن كامل القاضي بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال ، وشتق أيضاً شُتُومًا^(٢) وأصحابه وجماعة من الأجناد والعبيد والحاشية وبعض أسراء صلاح الدين ، وقبض [صلاح الدين] سائر ما وجد عنهم من مال وعقار ، ولم يَكُنْ ورثتهم من شيء البتة ؛ وتبع من له هوى في الدولة الفاطمية ، فقتل منهم كثيراً وأسر كثيراً ، ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجلُ السودان إلى أقصى بلاد الصيد . وقُبِضَ على رجل يقال له قديد بالإسكندرية ، من دعاة الفاطميين ، يوم الأحد خامس عشر رمضان وقُبِضَ على كثير من السودان ، وكووا بالنار في وجوههم وصدورهم^(٣) .

وفيها جهز السلطان مع الوزير ابن القيسراني ما تحصل عنده من المال ، وأحسبه هدية انورالدين : وهي خمس خَنَاطٍ إحداها في ثلاثين جزءاً ، مشاة بأطلس أزرق ومُصَنَّبَةٌ بصفائح ذهب ، وعليها أقفال من ذهب مكتوبة بخط ذهب ؛ وأخرى في عشرة أجزاء مشاة بدبياج مُسْتَقِيٌّ ؛ وأخرى في جلد مخط ابن البَوَّاب بقتل ذهب وثلاثة أحجار بِلَخْشٍ ، منها حجر زنته اثنتان وعشرون مثقالاً ، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالاً ، وآخر عشرة مثاقيل ونصف ، وست فصيات زمرد إحداها^(٤) وزنها ثلاثة مثاقيل ، وحجر ياقوت أحمر ، وزنه سبعة مثاقيل ، وحجر ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل ، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالاً ، وخمسون قارورة دهن بلسان ، وعشرون قطعة (١٨) لور ، وأربع عشرة قطعة جَزَعٍ ما بين

(١) في س المطبى بنير ضبط . (٢) في س شرما بنين متعولة فقط . وبغير ضبط .

(٣) في س قدح .

(٤) هنا تنتهي الفقرة المنشورة بكتاب تلخيص عمارة النبي (انظر ص ٥٣ ، حاشية ٤) .

(٥) في س احدهما .

زبادى وسكارج^(١)، وإبريق يشم^(٢) وطشت يشم^(٣) وسفرك^(٤) ميناً مذهب، بعروية فيها حبنا
لؤلؤ وفي الوسط فص ياقوت أزرق، وسحون وزبادى وسكارج من صيني عدتها أربعون قطعة،
وعود قطعتين كبارا، وعبر منه قطعة زنتها ثلاثون رطلا، وأخرى عشرون رطلا، ومائة ثوب
أطلس، وأربعة وعشرون بَقِيَاراً^(٥) مذهباً، وأربعة وعشرون ثوباً وشياً حريرية بيضاء^(٦)،
وحلة فلغلى مذهب، وحلة سرايش^(٧) أصفر مذهب، وحلة سرايش أزرق مذهب، وحلة سرايش
بقصب أحر وأبيض، وحلة فسق بقصب مذهب، وقاش كثير^(٨)، قدر قيمتها بمائتي ألف دينار
وخمسة وعشرين ألف دينار. وساروا بذلك، فبلغهم موت نور الدين، فأعيدت وهلك بعضها.
وفيه مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي، في يوم الأربعاء بقاء حادى عشر شوال،
بعلة الخوانيق^(٩)، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خطب له
بالشام ومصر والحرمين واليمن. وقام من بعده أبنة الصالح إسماعيل، وعمره إحدى عشرة سنة
فقطب له السلطان صلاح الدين بمصر، وضرب السكة باسمه. وفيها نزل أسطول الفرنج بصقلية
على ثغر الإسكندرية، لأربع بقين من ذى الحجة^(١٠) بَقْتَةً، وكان الذى جهز هذا الأسطول

(١) سكارج جمع سكرجة وهي الصمعة، وزادى جمع زبدية وهي وعاء الشراب. أما الجزء فهو
الجزء الباقى، فيه سواد ويانس، وإنما المقصود هنا الآلية المصنوعة من الصبي المزجج، أى الذى فيه
سواد ويانس، أو ذى الألوان المختلفة (محيط المحيط و (I) ozy: Supp, Dict, Ar).

(٢) انظر ص ٣ حاشية ٣.

(٣) كذا في س بغير ضبط، وهي مترجمة مع التشكك إلى (Shakrak) في (Blochet: Op. cit. P. 116). على أنه يوجد نوع من التبيد الجبشى اسمه سقرقه (Lane: Lexicon) وربما كان المقصود هنا
الوعاء الخاص بهذا الشراب.

(٤) كلمة فارسية معناها سجاد سواد مصنوع من وبر الجمل (Johnson: Dict.)، ومعناها أيضا
في (Dozy: Op. cit.) نوع من الملمس الكبار، كالتى يليها الوزراء وأصحاب العلم.

(٥) في س "وشى حريرية يمشى". (٦) في س "مراش". (٧) في س "قاشا كثيرا".

(٨) من اللرس السمي بالديج، (Dozy: Supp. Dict. Ar.)، ومن أنواعه الدجعة الصغرى
(Angina Pectoris) انظر (Price: Holbyns Dict. of Med, Terms).

(٩) كانت هذه الحملة البحرية ذبلاً للدائرة التورية التى اتهم بتدبيرها الشاعر عمارة بنى. وقد تقدم
أن التآمرين كانوا الفرنج (انظر ص ٥٣) ومن هؤلاء وليام الثانى (William II) النورماندى ملك
صقلية، وهو ابن وليام الأول، وجده روبر الأول (Roger) مؤسس مملكة النورماندين في صقلية منذ
سنة ١١٠٣ م. بعد التلم على دولة اللاتين بها بقليل (Camb. Med. Hist. Vol. V. PP. 184-207).
أما عن هذه الحملة التى وصلت مراكبها إلى الإسكندرية بعد فشل المؤامرة، فغالب في ذلك أن ملك
صقلية لم يلحها حاق بالتآمرين، فمت مراكبه إلى الإسكندرية حسب الأفاق التى بهمهم. (Lane-Poole: Saladin, P. 127)

غليالم بن غليالم بن رجار^(١) متلك صقلية، ولي ملك صقلية بعد أبيه في سنة ستين وخمسة وهو صغير، فشكلته أمه، وتولى التدبير خادم اسمه باتر^(٢) مدة سنة، ثم فر إلى السيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [صاحب البلاد^(٣) القرية]. ثم استبد غليالم بتدبير ملكه، واحتفل في سنة إحدى وسبعين بهارة [هذا] الأسطول، فاجتمع له ما لم يجتمع لجدته رجار، وحل في الطرائد^(٤) ألف فارس، وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكييم مودقة^(٥)، وقصد الإسكندرية، ومات غليالم في سنة إحدى وثمانين وخمسة. ولما أرسى هذا الأسطول على البر، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسة فارس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، مابين فارس ورجال، وعدة طرائدهم ستا وثلاثين طريده^(٦) تحمّل الخيل، ومائتي شيني^(٧) في كل شيني مائه وخمسون رجلا، وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب والمصار ست سفن، والتي تحمل الأوزاد والرجال أربعين مركبا، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل. ونزلوا على البر ما على المنارة، وحلوا على المسلمين حتى أوصلهم إلى السور، وقتل من المسلمين سبعة. وزحف سراكب الفرنج إلى الميناء، وكان بها سراكب المسلمين ففرقوا منها، وغلبوا على البر وخيموا به، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشتها^(٨)، وثلاثة مجانيق

(١) كذا في س، وبنيبر ضبط. انظر الحاشية السابقة. (٢) كذا في س، وبنيبر ضبط. والاسم الصحيح هو (Stephen of Perch) ولم يكن حادما، بل هو ابن عم الملكة ماجريت (Margaret) أم الملك وليام الثاني. (Camb. Med. Hist. Vol. V, P. 197). (٣) ما بين القوسين من أبي شامة (كتاب الروشتين في 164. P. IV. Vol. Rec. Hist. Or). (٤) جمع طراد أو طرافة، وهي نوع من المراكب الحربية، أكثر شجبا بالبرميل المائل من السفينة، وكانت تستعمل غالبا في حمل الجيول والقرسان: (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) وانظر أيضا المرجع والصفحة المذكورتين في الحاشية السابقة.

(٥) كذا في س، وبنيبر ضبط. وهو مترجم إلى (Akim-Moudhaka) (Blochet: Op. cit., P. 117) مع عدم اعتدائه المترجم إلى شخصية صاحب الإسم. هذا وليس بين أسماء مجلس الملك وليم الثاني من يشابه اسمه الرسم الولد هنا. انظر (Camb. Med. Hist., Vol. V, P. 197).

(٦) كذا في س. (٧) سفينة حربية كبيرة، يتأهلها في بالفرنسية (Onlère)، ومتلها الفينة، والجمع حورن وشوانق (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) (٨) الدبابات جمع دبابه، وكانت عبارة عن شبه برج متحرك، له أحيانا أربعة أذوار، أولاها من الخشب، وثانيها من الرصاص (Plomb)، وثالثها من الحديد، ورابعها من النحاس الأصفر. ويتحرك هذا البرج المائل على عجلات، وتصلد إلى طباقته الجنود لهاجة الحصون وتلقى الأسوار. أما لفظ الكباش، ففرده كبش، ويجمع على كبوش وأكبش، وهو آلة متصلة بالدبابه، لها رأس ضخم وقرنان، تنفضها الجنود نحو الأسوار لتهدمها (Dozy: Suppl. Dict. Ar.).

كبارا تضرب بحجارة سود عظيمة . وكان السلطان على قافوس ، قبلته الخيل ثالث يوم نزول الفرنج ، فشرع في تجهيز النساكر ، والتتال والرمي بالجاننيق^(١) مستمر . فوصلت النساكر ، وفتحت الأبواب ، وهاجم المسلمون الفرنج ، وحرقوا الدبابات ، وأيدم الله بنصره ، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر ، وهو الرابع من نزول الفرنج . ثم حلوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام ، فقتلوا بما فيها ، وقتلوا من الرجال عدداً كثيراً ومن الفرسان . فاقترع المسلمون البحر ، وأخذوا عدة مراكب خسفوها ففرقت ، (١٨ ب) وولت بقية المراكب متهزئة ، وقتل كثير من الفرنج ، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يقدر على مثله إلا ببناء ، وأقلع باقي الفرنج مهتل سنة سبعين .

وفيها ، أغنى سنة تسع وستين [وخمسمائة] ، وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى ، وثلاث ناحية سنديس من القليوبية ، على أربعة وعشرين خادماً غلزمة الضريح الشريف النبوي ، وضمن ذلك كتاباً ثابتاً تاريخه ثمان عشرين شهراً ربيع الآخر منها ، فاستمر ذلك إلى اليوم . وكان قاع النيل ستة^(٢) أذرع وعشرين أصبعا ، وبلغ سبعة عشر^(٣) ذراعاً وعشرين أصبعا .

[سنة سبعين وخمسمائة^(٤)] . وفيها جمع كنز^(٥) الدولة والى أسوان العرب والسودان ، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأنفق في جموعه أموالاً جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هوامم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين . وخرج في قرية طود رجل يعرف ببساس ابن شادي ، وأخذ بلاد قوص ، واتهب أموالها . فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك

(١) في "الجاننيق" . (٢) في س ست . (٣) في س سبع عشرة .

(٤) ليس لثوبان هذه السنة وجود في س ، ولعل السبب أن المقرئى اكتفى بكلمة "فيها" ، على أن تعود ماؤها إلى عبارة "سنة سبعين" الواردة بالسطر الثامن من هذه الصفحة . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٧٣) حيث يرد ذكر هذه الحادثة أول سنة سبعين .

(٥) البارة الآتية واردة بالهامش : "كنز الدولة هذا يرجع نسبته إلى مسروق بن معدى كرب (كفا) بن الحارث بن سلسة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الفضل ، واسمه كنز الدولة" . ويلاحظ أن بسى هذه الأسماء مشبوهة في س .

العدل في جيش كثيف ، ومعه الخطير مذهب بن ممتاني^(١) ، فسار وأوقع بشادى وبدد جموعه وقتله ، ثم سار فلقية كنز الدولة بناحية طود ، وكانت بينهما حروب ففر منها كنز الدولة ، بعد ما قُتل أكثر عسكره ، ثم قُتل [كنز الدولة] في سابع صفر ، وقدم العدل إلى القاهرة في ثامن عشره .

وفيهما ورد الخبير على السلطان بدير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين إلى حلب ، ومصلحته للسلطان سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فأتمه وخرج يريد السير إلى الشام . فنزل ببركة ألجب^(٢) أول صفر ، وسار منها في ثالث عشر ربيع الأول ، على صدر^(٣) وأيلة ، في سبعمائة فارس ؛ واستخلف على ديار مصر أخاه الملك العدل . ونزل بصرى وخرج منها ، فنزل السكوة يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى لقائه ؛ فدخل إلى دمشق يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر ، وملكها من غير مدافع . وأفقى في الناس مالا جزيلا ، وأمر فنودي بإطابة النفوس وإزالة الكوس ، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبايح والمنكرات والضرائب ، وأظهر أنه إنما جاء لتربية الصالح بن نور الدين ، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته ، وكانت الأطراف بذلك . وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع ، فأُنزل بها أخاه ظهير الإسلام طنطكين بن أيوب ، وبث بالبشارة إلى القاهرة ؛ وخرج مستهل جمادى الأولى ، فنال حصص حتى تسلمها في حادى عشره ، وامتنت عليه قلعتها ، فأقام على حصارها طائفة ، وسار إلى حماة فنزل عليها في ثالث عشره ، وسها عز الدين جُرديك^(٤) ، فسلمها إليه .

(١) لعله ابن ممتاني صاحب كتاب قوانين الدولون (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦) . وقد أخطأ كاتب نسخة به (ص ٢٩١) قراءة هذا الاسم فقال : ومعه الخطيب مذهب بماتى فارس .

(٢) مستخره بظاهر القاهرة من بحريها ، وكان صلاح الدين يبرز إليها للصيد ، ويقم فيها الأيام ، وبعد ذلك اللوك قبله وبهده . وقد تغير اسمها زمن المبريزى — أى في القرن الثامن الهجرى — إلى بركة الحاج ، أنزل الحاج بها عد سبعم من القاهرة وإليها موسم الحج (المبريزى : المواقف والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٩) .

(٣) قلعة خراب بين القاهرة وأيلة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧٥) .

(٤) تصح كتابة هذا الاسم " جورديك " ، أيضا ، انظر (Rec. Hist. Or. Vol. III. Index) . وأصل جورديك من عماليك السلطان نور الدين ، وقلبه النورى . وكان ممن رافقوا أسد الدين شيركوه إلى مصر ، وهو الذى اشترك مع صلاح الدين في الفتك بالوزير شاور (ابن الأثير : السكالك في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) . أما عن تفصيل موقفه بلزاه بجى صلاح الدين إلى الشام ، فانظر نفس المرجع والجزء ص ٢٧٦ ، وستأتى بقية أخباره فيما على .

وفي جمادى الأولى ولى ابنُ عَصْرُون القضاء بديار مصر . وسار [صلاح الدين] إلى حلب ، وبث إلى الصالح [إسماعيل] في الصلح مع جريدك ، فأبى أصحابه ذلك ، وقبضوا على جريدك وقيده ، فبلغ ذلك صلاح الدين ، وقد سار عن حماة يريد حلب ، فماد إليها . ثم سار منها إلى حلب ، وزل جبل جَوْشَن^(١) ثالث جمادى الآخرة ، واستمد أهل حلب وخرجوا لقتاله ، وفاتلوه قتالا شديداً إلى أول رجب . فرحل (١١١) صلاح الدين يريد حمص ، وقد بلغه مسير القومص^(٢) ملك الفرنج بطرابلس ، بمكاتبة أهل حلب ، وأنه منازل لحمص . فلما قرب من حمص عاد القومص إلى بلاده ، فنازل صلاح الدين قلعته ، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان ، في حادى عشرى شعبان ؛ وسار إلى بعلبك ، فحصرها حتى تسلم قلعته في رابع رمضان ، وعاد إلى حمص . وكانت بينه وبين أصحاب الصالح وقعة على قُرُون حماة ، في يوم الأحد تاسع عشره ، انتصر فيها صلاح الدين ، وهزمهم وغنم كل ما معهم ، ولم يقتل فيها أكثر من سبع^(٣) أنفس ؛ وسار حتى نزل على حلب ، وقطع الخطبة للصالح ، وأزال اسمه عن السكة في بلاده ، فبث أهل [الصالح] إليه يلتصون منه الصلح ، فأجاب إليه على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ، ولم ما بأيديهم منها ، واستزاد منهم المعة وكفرطاب^(٤) ، وكتبت نسخة يمين وعليها خط صلاح الدين ، بمد ما خلف وعاد إلى حماة .

[وكان صلاح الدين] قد كتب إلى بغداد يمدد فتوحاته وجهاده للفرنج ، وإعادته الخطبة العباسية بمصر ، واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها ، وأنه قدم

(١) في س "جبل جوشن" بغير ضبط . انظر ياقوت ؟ معجم البلدان . ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) كذا في س بغير ضبط ، والقومص تريب حرفى للكتابة اللاتينية (Comes) التي سارت إلى (Comte) في اللغة الفرنسية . أما الشخص المقصود هنا ، فهو الكونت ريمون الثالث صاحب إمارة طرابلس الصليبية ، وبقية الصنجلى في بعض المراجع الإسلامية (Le Comte Raymond descendant... de Saint Agilles Prince de Tripoli) راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ٢٧٧ ، وكذلك نفس المرجع في (Rec. Hist. Or. Vol. I. p. 619) (٣) في س سبعة

(٤) بغير ضبط في س ، وهي بلدة بين للمرة ومدينة حلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ،

إليه في هذه السنة وفد سبعين راجبا ، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا . وطلب [صلاح الدين] من الخليفة تقليد مصر واليمن والفرب والشام ، وكل ما يفتحه بسيفه^(١) . فوافته حماة^(٢) رسل الخليفة المستنصر بأمر الله ، بالتحريف والأعلام السود ، وتوقيع بسلطنته بلاد مصر والشام وغيرها . فدار ونزل على بعين ويقال يارين^(٣) ، وحاصر حصنها حتى تسلمه في العشرين منه ، ورجع إلى حماة . وفيها تقرر العماد الإصفهاني نائباً في الكتابة عن القاضي الفاضل بسعاية نجم الدين محمد بن مصال^(٤) . وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها ، فتنزل مرج^(٥) العسكر ، ووافته به رسل الفرنج بطلب الهدنة ، فأجابهم إليها بشروط أشرطها . وأذن للساكر في السير إلى مصر تجذب^(٦) الشام فساروا ، ورجع هو إلى دمشق في محرم [سنة] إحدى وسبعين ، وفوض أمرها إلى [ابن أخيه] تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .



[سنة إحدى وسبعين وخمسمائة] . وفيها^(٧) سار شرف^(٨) الدين قراقوش — أحد أصحاب تقي الدين عمر — إلى بلاد المغرب في حادى عشر محرم في جيش ، فأخذ من صاحب أوجلة^(٩) عشرين ألف دينار فرقة في أصحابه ، وعشرة آلاف دينار لنفسه ، وسار منها إلى غيرها ؛ ثم بلغه موت صاحب أوجلة ، فماد إليها وحاصر أهلها ، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عتوة ، وقتل من أهلها سبعمائة رجل ، وعم منها غنيمة عظيمة ، وعاد إلى مصر .

(١) كان الخليفة شمس الدين بن أبي الصاء رسول صلاح الدين إلى الخليفة المستنصر بأمر الله ، تلك المرة . (٢) في س " بها " .

(٣) في س " بعين " والطبق الأول الذي في النص هو ما يقول به العامة ، والثاني هو الصحيح . وتقع بارين بين حلب وحماة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٥) .

(٤) صسط هذا الاسم على منطوقه في (Rec. Hist. Or. I. p. 130) .

(٥) أحد للروح الواقعة حول مدسه دمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٨) .

(٦) في س لمذهب . (٧) ليس لاسم هذه السنة وجود في س ، انظر ص ٥٧ حاشية رقم

٤ ، وراجع أيضاً ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٨٢ ، وما بعدها) .

(٨) في س بها الدين ، وقد خالف المغريزي بين بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره وبين شرف الدين هذا . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

(٩) مدينة في جنوبي بركة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٩٧) .

وفيهما تميز الحلبيون لقتال صلاح الدين ، فاستدعى عساكر مصر ، فلما وافته بدمشق في شعبان سار في أول رمضان^(١) ، فلقبهم في عاشر شوال . وكانت بينهما وقعة (١٩ ب) تأخر فيها السلطان [سيف الدين] غازي صاحب الموصل ، فظن الناس أنها هزيمة ، فوَّت عساكرهم . وتبعهم صلاح الدين ، فهلك منهم جماعة كثيرة ، وملك خيمة غازي ، وأسر علنا عظيمًا ، واحتوى على أموال وذخائر وفُرش وأطعمة وتحف تجل عن الوصف . وقدم عليه [أخوه] الملك العظيم شمس الدولة تورانشاه [بن أيوب] من اليمن ، فأعطاه مرادق السلطان غازي بما فيه من الفرش والأكلات ، وفرق الإصطبلات^(٢) والخزائن على من معه ، وخلع^(٣) على الأسرى وأطلقهم . ولحق [سيف الدين] غازي بمن معه ، فالتجأوا [جميعًا] لحلب ، ثم سار إلى الموصل [وهو لا يصدق أنه ينجو ، وظن أن صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده^(٤) بالموصل] . ورحل صلاح الدين ونزل على حلب في رابع عشر شوال ، فأقام عليها إلى تاسع عشره ، ورحل إلى بُرّاعة^(٥) ، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه . وسار إلى مَنيج ، فنزل عليها يوم الخميس رابع عشره ، ولم يزل يحاصرها أيامًا حتى ملكها ، وأخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار ، ومن الفضة والآنية والأسلحة ما يناهز ألفي ألف دينار . ورحل إلى عَرَّاز^(٦) ، وحاصرها من يوم السبت رابع ذي القعدة إلى حادي عشر ذي الحجة ، فسلمها وأقام فيها من يثق به ، وعاد إلى حلب . وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وثب عدّة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين ، فظفر بهم بعد ما جرحوا عدّة من الأمراء والخواص ثم سار^(٧) إلى حلب فنزل عليها في سادس عشره ،

(١) المارة الآتية واردة بهامش الصفحة في س ، ونصها : " وفي يوم الاثنين ثامن عشرين رمضان كسفت الشمس جميعها ، وأظلم النهار ورؤيت النجوم " . وقد أدعيها كاتب ب (س ١٢٢) في المتن بعد لفظ " رمضان " .

(٢) في س الاسطبلات = (٣) في س الخلع .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكمال في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٨٣) لتوضيح المارة .

(٥) في س براعا ، وهي بلدة من أعمال حلب ، واقعة بينها وبين منج . ويطلق أهل حلب هذا الاسم أحيانًا بكسر الباء ، وأحيانًا بالألف المقصورة بذل التاء (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٣) .

(٦) في س عزاز ، وهي بلدة شمال حلب . (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٦٦٧) .

(٧) قصة وثوب الإسماعيلية هذه واردة بهامش الصفحة في س ، وبالمجلس أيضًاقرة طولية عن حلة بكرة أتت من صقلية لحاصرة الإسكندرية ، وهي في عاصيها وعدد مهاكبا =

وأقطع عسكره ضياعها ، وأسر مجباية أموالها ، وضيق على أهل حلب من غير قتال ، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها^(١) .

[سنة اثنتين وسبعين وخمسة^(٢)] . فلما كان رابع المحرم سنة اثنتين وسبعين ركب الصكران وكانت الحرب ، فقتل جماعة من أصحاب صلاح الدين . ثم قرّر الصلح بينه وبين الملك الصالح ، على أن يكون للصلح حلب وأعمالها . ورحل [صلاح الدين] في عاشره ، فنازل مصيابة^(٣) ، وفيها راشد الدين ستان بن سلمان بن محمد ، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية ، وإليه تنسب الطائفة السنانية . ونصب عليها المجانيق والمرتدات^(٤) من ثالث عشره إلى أيام ، ثم رحل ولم يقدر عليهم ، وقد امتلأت أيدي أصحابه بما أخذوه من القرى . وفوتض [صلاح الدين] قضاء دمشق لشرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون ، عوضا عن

== وحودها وأزوادها تبيح الحلة التي تقدم ورودها في ص ٥٥ ، تحت سنة ٥٨٩ ، وليس في المراجع التساولة في حواشي هذا الكتاب ما يشير إلى وصول حلة ثانية من متقلة إلى الإسكندرية ، فأكبر الظن أن المؤايد سي ما أوردته أولا عن تلك الحلة ، فكتبها مرة ثانية في مكان غير مناسب تاريخيا . وهذا نص الفقرة بتمامه : — " وفيها وصل من سقطة إلى الإسكندرية مائتان وستون مركبا تحمل الرجال ، وستة وثلاثون طريدة تحمل الخيل ، وستة مراكب تحمل آلة الحروب ، وأربعون مركبا تحمل الزاد ، فكانت [عدة] من فيها من الرجال مائة ألفا ، ومن الحياتة ألفا (في ص الب) وجسمائه فارس ، طفالهم أهل الثغر أشد قتال ، وأنتمهم الدساكر من القاهرة . ثم قدم السلطان صلاح الدين بهرم الله الفرنج ، وعم المدفون منهم غنائم كثيرة ، وأحرقوا عدة من مراكبهم ، وأسرُوا طائفة ، وذلك في المحرم [سنة سبع وخمسة] " .

(١) العبارة الآتية واردة بهامش الصفحة ، وليس لها علاقة بالقدرة ، ولذا وضمت هنا ، ونصها : — " وفي سنة إحدى [٥٨٩] وسبعين مات الشيخ أبو حمص عمر بن يحيى بن محمد بن واثق بن (كنا) بن علي بن أحمد بن والال (كنا) أحد العشرة أصحاب مهدي الموحدين أبي عبد الله محمد بن تومرت ببلا . وإلى أبي حمص هذا ينسب ملوك تونس من إفريقية فيقال لهم المفضون " . انظر الزركلي (تاريخ الدولتين الموحدة والمفضية ، ص ١٤٩) .

(٢) ليس لمتوان هذه السنة وجود في ص ، وإلعل السبب هو اتصال أخبار السنة السابقة بمواد هذه السنة ، وعدم وجوده حقه حقيقة لقفل .

(٣) في ص مصيات وهو خطأ ، وإسما . صياغ أيضا عند العامة ، وهي بإسأل الشام قرب طرابلس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٦) .

(٤) جمع مرادة ، وهي من آلات الحرب ، أصغر من النجنيق ، ترمى بالمجاردة المرى الجبد (محيط المحيط) .

كالدين الشهرزورى بعد وفاته . وفيه أغار^(١) الفرنج على البقاع^(٢) ، فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن التقدم من بعلبك ، فأوقع بهم وقتل منهم وأسر . وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقىهم بين الجزة ، وأوقع بهم ، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين ، فوآه في الثاني من صفر . ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره ، فأقام بها إلى رابع شهر (١٢٠) ربيع الأول ، وخرج منها إلى القاهرة ، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ، فوصل إليها لأربع بقين منه .

وفيها أمر السلطان ببناء السور على القاهرة والقلمة ومصر ، ودَوَّرَهُ تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل . فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسمى ، وشرع في بناء القلمة ، وحفر حول السور خندقاً عميقاً ، وحفر واديه وضيق طريقه . وكان في مكان القلمة عدة مساجد منها مسجد سعد^(٣) الدولة ، فدخلت في جلة القلمة ، وحفر فيها بئراً ينزل إليها بدرج منحوتة في الحجر إلى الماء . وفيها أمر السلطان ببناء المدرسة بجوار قبر الشافعي بالقرافة ، وأن تعمل خزانة الأشربة التي كانت للقصر مارتعناً للرعى ، فعمل ذلك . وسار السلطان إلى الإسكندرية في ثاني عشرى شعبان ، ومعه ابنه الأفضل عليّ والعزير عثمان ، فقام بها شهر رمضان ، وسمع الحديث على الحافظ أبي الطاهر أحمد السكّتي^(٤) . وأمر بتعمير الأسطول بها ، ووقف صادر الفرنج^(٥) على الفقهاء بالإسكندرية . ثم عاد إلى القاهرة ، فقام بها بقية رمضان . وفيها عاد [شرف الدين] قراقوش غلام تقي الدين إلى بلاد المغرب ، وعاد فأخذ جماعة من

(١) في س غار . (٢) أرس واسعة بين دمشق وبعلبك وحسن ، فيها قرى كثيرة ، وأكثر شرب أمائها من عين تخرج من جبل ، ويقال لها عين الجمر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩٩ ، ح ٣ ، ص ٧٦٠) . (٣) لم يذكر الفرزى في الواضع والاعتبار اسم صاحب هذا المسجد كاملاً (قس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٠٢) ، وله سعد الدولة الطوائى مملوك الأفضل أمير الجيوش ، وزير الخليفة المستنصر العاطى (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٢٤٩) .

(٤) انظر ص ٧١ ، حاشية ٢ . (٥) لعل المقصود بذلك الضريبة التي كانت تفرض على تجار الفرنج الواسلين بالتاجر من بلادهم إلى تنز الإسكندرية ، وكان مقدارها زمن الفقهندى ، أى في القرن الثامن الهجرى ، خمس قبة البضائع التي يحملونها (الفقهندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٣) .

الجند ، وخرج إلى المغرب ، فأمر العادلُ الأميرَ خُطْبَا^(١) بن موسى وإلى القاهرة بالقبض عليه ، فصار إلى القيروم وأُخذَ محمولا إلى القاهرة . وفيها أبطل السلطانُ المكسُ الأخوذين المحتاج في البحر إلى مكة على طريق عَيْذَاب^(٢) ، وهو سبعة دنانير معصية ونصف على كل إنسان ، وكاوا يؤذون ذلك بعذاب أو بجذّة ، ومن لم يؤذ ذلك منع من الحج ، وعذب بتعليقه بأنتيه ؛ وعرضَ أمير مكة عن هذا المكس بألف دينار ، وألف أردب قمح ، سوى إقطاعات بصعيد مصر واليمن ؛ وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية^(٣) آلاف أردب قمح تحمل إليه إلى جذّة .

• • •

[سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة] . وخرج السلطان من القاهرة ، ثلاث مضي من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، لجهاد الفرنج . وسار إلى عَسَقْلَان ، فسبي وغنم وقتل وأسر . ومضى إلى الرملة ، فاعترضه نهرنل^(٤) الصافية في يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ، فازدحم الناس بأقناعم عليه . وأشرف الفرنج عليهم ، ومقدمهم البرنس أرناط^(٥) صاحب الكرك ، في جموع كثيرة . فانهزم المسلمون وثبت السلطان في طاقة ، فقاتل قتالا شديداً ، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أثمان المسلمين ، فحر بهم في مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف ، ومات منهم ومن دوابهم كثير ، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري . ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة ، خلف لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج ،

(١) كما في س ، ويدون ضبط ، وفي ب (س ٢٣) خطباى بدون ضبط أيضاً ، ومترجمة إلى (Khoultlobai) (Blochet : Op, cit, p' 129) (٢) نهر تجارى عظم في القرون الوسطى ، وهو واقع على الناضى المصرى لبحر الأحمر (بحر القلزم) قبالة جذّة على الشاطئ الآخر ، (ياقوت معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٥١) ، وهو في س عيذاب ، وأكثر وروده بهذا الرسم ، ويصحح دائماً ، بـ تنبيه (٣) في ب (س ٢٣ - ١) ثلاثمائة [و] ثمانية آلاف .

(٤) حصن بنولى الرملة قريب بيت جبرين (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٧) .

(٥) في س أرناط ، وهو (Le prince Arnaud seigneur de Carac) واسمه الأصل قبل أن يأتي الشام (Renaud de Chailion) . اظهر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، Vol. I. Rec. Hist. Or.) . pp. 627, 676

وقطع أخباز^(٧) جماعة من الأكراد ، من أجل أنهم كانوا السبب في هذه الكسرة ، وفيها نزل الفرنج على حاة ، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها ، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة أشهر ، ثم رحلوا إلى بلادهم . وفيها أطلق شرف الدين قراقوش التقوى ، وسار (٢٠٧) إلى أوجلة وغيرها من بلاد المغرب ، وخرج السلطان في سادس عشرى شعبان سنة ثلاث وسبعين من القاهرة يريد الشام ، واستخلف بديار مصر أخاه العادل ، فلم يزل مقيما على بركة الحب إلى أن صلى صلاة عيد الفطر . قبله نزول الفرنج على حاة ، فأسرع في المسير حتى دخل دمشق في رابع عشرى شوال ، فرحل الفرنج عن حاة . ووافته بدمشق رسل الخليفة بالشرقيات . وفيها سار الفرنج إلى قامة صندر ، وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصدا ، فساروا يريدون النارة على ناحية قاقوس ، ثم عادوا بنية الحشد والموءد . وفيها عصى شمس الدين بن القدم بمدينة بعلبك على السلطان . وفيها وُعد الملك الزاهر مجير الدين داود ، شقيق الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين ، لسبع بقين من ذى القعدة ، وفيها غلت الأسعار ببلاد الشام لكثرة الجلب ، واشتد الأمر بحلب . وفيها سار الأمير ناصر الدين إبراهيم ، سلاح^(٨) دار تقى الدين [عمر] ، في عسكر إلى بلاد المغرب فوصل إلى قراقوش التقوى ، وسارا إلى مدينة الروحان^(٩) ، فنزلوها أربعين يوما ، حتى فتحت وقتل حاكمها ، وقررا عليها أربعة عشر ألف دينار^(١٠) ، وملكا مدينة غُدَاس^(١١) بنير قتال ، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف

(٧) في س أخبار . والأخباز جمع خبز يضم الماء وسكون الباء ، ومنها إصطاع من الأرض ، ويقال به (appanage) في نظم الصور الوسطى في غرب أوروبا (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . وما يوجب الالتفات أن هذه الكلمة مشتقة في اللغات الأوروبية من اللاتينية (pans) ، ومنها خبز .

(٢) في س جها الدين . (٣) السلاح دار هو النوط يحمل سلاح السلطان أو الأمير الذى هو في خدمته ، ومن وطنه أيضاً الإشراف على السلاح خانة ، وما هو من توابع ذلك . وانظر السلاح دار مركب من كلمتين ، أولاهما عربية ، ومنها آلة القتال والثانية غربية ومنها محسك ، ويكون المعنى محسك السلاح (التفتنسى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ ، ٤٦٢) .

(٤) في س دوح فقط ، وهى من نواى برقة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٢٩) .
(٥) في س دينار . (٦) يصح أيضاً خلق اسم هذه المدينة بفتح التين ، وهى أقصى حدود برقة ، فيما على تونس الحالية (ياقوت : ندى الريح ، ج ٣ ، ص ٧٧٦) .

دنيا^(١)، وسار إبراهيم إلى [جبال^(٢)] نفوسة، فلك عدة قلاع، وصار إليه مال كثير ورجال، وسار البحث من عند قراقوش إلى بلاد السودان، فقتلوا غنيمة عظيمة. وفيها ظهر العمل في سور القاهرة، وطلع البناء، وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقس^(٣). وفيها مات الأمير شهاب الدين محمود تكش الحارثي^(٤)، خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، في سابع عشر جمادى الآخرة بجماعة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعاً عاقلاً سيواً مدحاً.

[سنة أربع وسبعين وخمسمائة]. وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين، هجم العدون الفرنج على مدينة حماة، فنهض إليهم المسلمون وأسرهم في جماعة، وبثواهم إلى السلطان بدمشق، فضرب أعناقهم، وفيها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم بعلبك، في جيش كثيف، فحاصروها مدة. ثم سار إليه السلطان، وأقام على المحاصر حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان، وسلمها لأخيه تورانشاه في شوال. فبنى الفرنج في مدة اشتغال السلطان بعلبك حصناً على طغاية بيت الأحزان، وهو بيت يعقوب عليه السلام، وبينه وبين دمشق نحو يوم، ومنه إلى طبرية وصفد نصف يوم. فقاد السلطان إلى (١٢١) دمشق، وقدم عليه من الديوان العزيز^(٥) خادم [أسمه فاضل]. فأجابه معه للفرز، حتى وقف على الحصن؛ وتخطف من حوله من الفرنج،

(١) في س اثني ... ديناراً

(٢) تقع هذه الجبال في أقصى الشمال الشرق من غدلس، وهي قرية من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وبينها وبين مدينة طرابلس ثلاثة أيام، وتبعد عن القيوان مسافة ستة أيام (ياقوت: نفس المرجع، ج ٤، ص ٨٠٠).

(٣) فرصة القاهرة منذ عصر المماليك، ومكانها قرب الأزبكية الحالية ثم تحول عمرى النيل وانحسر ماؤه في أواخر القرن السادس الهجري عن بولاق الحالية، فأصبحت هذه فرصة القاهرة منذ الدولة الأيوبية. (الفرزى: المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٢١، ١٤٠).

(٤) في س الحارثي. وقد توفى وله قله بثلاثة أيام. أبو شامة (كتاب الروشتين، ص ١٩٣ في (Rec. Hist. Or. Vol. IV). (٥) اصطلاح المؤرخون للمسلمين على إطلاق هذه التسمية على ديوان الخليفة السياسي ببغداد. وقد ذكر اسم الرسول للتوضيح (نفس المرجع، ص ١٩٥ في (Rec. Hist. Or. Vol. IV).

ثم عاد إلى دمشق . فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لتزو بلاد المسلمين ، فأخرج [السلطان ابن أنجيه] الأمير عز الدين فرخشاه^(١) أمامه ، فواجهه الفرنج وقعة قُتل فيها جماعة من مقدمي الفرنج وغيرهم ، منهم المنقري^(٢) وصاحب الناصرة ، فانهزموا وأسر منهم جماعة . فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة لنجدة عز الدين ، فواجهه الأسرى والرموس ، فُسِر بذلك وعاد إلى دمشق . وفيها أغار ابن رنس ملك الفرنج^(٣) بأنطاكية على شَيْزَر ، وغدر القومص^(٤) ملك طرابلس بالتركان . وفيها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لجذب الشام في سادس عشرى ذى القعدة . وأغار السلطان على حصن بيت الأحران وعاد بالفنائم والأسرى ، ووالى النارة والبعث إلى بلاد الفرنج . وفيها قوى قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب ، وأخذوا عدة حصون .

ودخلت سنة خمس وسبعين [وخمسمائة] . والسلطان مواصل الإغارة على بلاد الفرنج ، وكان نازلاً على بانياس . وسَرَحَ الساكِرَ ومقدمها عز الدين فرخشاه بن أيوب ، فأكثر من قتلهم وأسرهم . وفتح بيت الأحران في رابع عشرى ربيع الآخر ، بعد قتال وحصار ، فغنم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة ، وشيئاً كثيراً من الأقوات وغيرها ، وأسر عدة نحو السبعمائة ، وغرَّبَ الحصن حتى سوى به الأرض ، وسدَّ البئر التي كانت به ، وعاد بعدما أقام عليه أربعة عشر يوماً ، فأغار على طبرية وصور وبيروت ، ثم

(١) غير ضبط في س . انظر نفس المرجع والصفحة بالمحاكية السابقة . (٢) في س "المنقري" ، وهو (Monfroi) صاحب حصن بانياس جنوبي غربي دمشق . نفس المرجع والصفحة وما يليها . وانظر أيضاً (Lane-Poole Saladin, p. 157) حيث الاسم (Humphrey of Toron) (٣) اسمه (Joémond) (ou Bohémond II.) وسماه أبو شامة (نفس المرجع ص ٨٩ في Rec. Hist. Or. V) "البرنس الأنطاكي ميند" . انظر أيضاً (Hilli r Usamah, pp. 99, 155) حيث يسمى "ابن ميمون" .

(٤) انظر ص ٥٩ ، حاشية ٢ .

رجع إلى دمشق ، وقد مرض كثير من العسكرومات عدّة من الأسماء . وفي يوم ^(١) الأحدنا من الحرم ركب السلطان ومعه مصمّام الدين ^(٢) ألك والى بانياس في عسكره ، فلقبه الفرنج في ألف رمح وعشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فاقتتلوا قتالا كثيرا انتهزم فيه الفرنج ، وركب المسلمون أفضيتهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل . وعاد السلطان إلى مخيمه ، وقد مضى أكثر الليل ، وعرض الأسرى ^(٣) : قدم أولهم بادين بن بارزان ، ثم أودمقدم الدّاوية ^(٤) ، وابن القومصية ، وأخو صاحب جُبَيْل في آخرين ، فقيّدوا بأجمعهم وهم نحو المائتين وسبعين ، وحملوا إلى دمشق فاعتقلوا بها . وعاد السلطان إلى دمشق ، فقُدّي ابن بارزان بعد سنة بمائة وخمسين ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وفدى ابن القومصية بخمسة وخمسين ألف دينار صُوريّة ^(٥) ، ومات أود فأخذت جيفته بأسير أفرج عنه . وقدم الخبير بأن الملك المظفر تقي الدين أوقع

(١) ليس للطور التالية وجود بهذه الصفحة من س ، ولكنها واردة في ب (س ٢٤ ب) على ترتيب ورودها هنا . وهي عبارة عن الهامش المكتوب على ورقة منفصلة بين الصفحين (١٦ ب) ، (١٧ أ) طر س ١ حاشية ٢ وفي هذا ما يحمل على الاعتقاد بأن كاتب ب تدارك هذه الغلطة بنفسه ، أو أنه نسخ من س قبل حدوث هذا الخطأ أثناء عملية التجديد ، وهذا يلما بفرض أن الفرزى أحل هذا الهامش بجملة تناسب من الأصل . (٢) مضبوطة مكنا في س .

(٣) بسى أسرى هذه الواسعة من كبار الفرنج ، كما جاء في أبي شامة (كتاب الروضتين ، س ١٩٨ — ١٩٩ في Rec. Hist. Or. IV. م Odol le grand maître des Templiers, le seigneur de Tiberiade, le frère du seigneur de Djobell, le fils de la Comtesse (de Tripollie, le fils de Barizan (Balian II d'Ibîl) seigneur de Ramla... de Raml... طرن هذا بما جاء في Lane-Poole : Saladin. p. 157) . (٤) أطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جماعة فرسان المبد (Templiers) ، كما أطلقوا لفظ الإسطبارية على جماعة فرسان الهيكلين (Hospitaliers) . وقد أسس الجماعة الأولى (Hugh de Payns) سنة ١١١٩ م . لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس . أما الجماعة الثانية فيرجع تأسيسها إلى سنة ١١٩٩ م على يد (Blessed Gerard) بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ، وكانت دارها (Hospice) به قبل ذلك زمن طويل ماوى الحجاج والمرضى من السيحيين . ثم تحول كل من الجمعتين إلى هيئة حرية دينية ، فكان لرؤسائهما وفرساتهما شأن كبير في تاريخ الإمارات الصليبية بالعام (King : Knight2 Hospitallers. pp. 1-33) . (٥) الدناير الصورية أو الشخصية أو الإفرنجية هي الإفرنجية ، ويميزها عن الدناير الصورية الإسلامية في الصور الوسطى أن صور ملوكها منقوشة على وجوهها . (الفقهنى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤١) .

بمسكر قلنج أرسلان صاحب الروم [السلجوقية]، فزعمهم وأسر منهم جماعة. فكتب السلطان البشار بظفر تيمج على سراج^(١) عيون، ووظف أخيه بمسكر الروم، وسيرها إلى الأقطار فأنتهت إلى الشراء من الأمصار. ثم أهتم السلطان بأمر بيت الأحزان، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرّموا عليه، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة ألف دينار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركان وأجناد البلاد يستدعيهم، وحمل إليهم الأموال والخيول والتشريف، فقدم إليه خلق كثير. وسار الملك للظفر من حماة، فقدم دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلقاه السلطان. ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس خامسة، في عسكر عظيم، ونزل على حصن بيت الأحزان يوم الثلاثاء حادى عشره. وكانت قلعة صمد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صمد، وحاصر الحصن ونقبه من جهات، وحشاه بالحطب وأحرقه، حتى سقط في رابع عشر به، وأخذ قتل من فيه وأسرهم، ووجد فيه مائة أسير من المسلمين، فقتل عدة من أسرى الفرنج، وبعث باقيهم في الحديد إلى دمشق. وأخرب الحصن حتى سوى به الأرض، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوما. وعاد إلى دمشق، فهدم عدة من الأمصار والشعراء وهنأوه بالفتح^(٢).

وفي صفر ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذى كان في جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته، ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند نقصان الماء في قاع المقياس، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس، وأكث الناس ما علموا ما هو. وفيها نافق جلّده^(٣) الشهابي بالواحات، فأخذ العادل بالأمان وسيره إلى دمشق. فيها أثار عز الدين فرخشاه على صمد، فأكثر من القتل والسبي وأحرق الرّيبض^(٤) في رابع عشر ذى القعدة، وعاد إلى دمشق.

(١) بقعة بساحل الشام، فيها نيت كثير تخرج فيها القواب. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨).

(٢) هنا يقصص الهامش المشار إليه في ص ٦٨ حاشية ١. (٣) في س "الهماني"، وقد ضبط الأسم

على منطوقه في (Blochet : Op. cit. P. 137)، وله الأمير شجاع الدين جلّده القزويني، المذكور في أبي الفداء

(المختصر في أخبار البصرى 98، I. P. Rec. Hist. Or.). (٤) بنير ضبط في س. وهو سور المدينة،

وما حولها من مساكن وبيوت، وماوى النمل والأبقر (محيط المحيط).

وفيها مات الخليفة المستنصر^(١) بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتي عشرة مضت من شوال، وكانت خلافته عشرين غير أربعة أشهر. واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد؛ فخرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان [صلاح الدين]، وسار (٢١ ب) معه إلى مصر [شهاب الدين بشير الخالص] كما يأتي ذكره^(٢). وفيها ختن السلطان ابنه الملك العزيز عثمان، وسلّمه إلى [صدر] الدين بن الجاور معطاه. وفيها فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر، وتثيرت رائحة الهواء، ومات بالقاهرة ومصر في أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.



ودخلت سنة ست وسبعين [وخمسائة]. فيها سار السلطان إلى حرب عز الدين قليج^(٣) أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان [السلجوقي] صاحب قونية، وعاد بفير قبال، فدخل دمشق أول شهر^(٤) رجب، وفيها مات السلطان سيف الدين غازي بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آقنقر صاحب الموصل، في ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه. فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يفوض إليه، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم، وشهاب الدين بشير الخالص، بالتفويض والتقليد والتشريف في رجب. فلقاهم السلطان وترجل لهم، ونزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقَبِل الأرض، ودخل دمشق بالطلع، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبته ضياء الدين الشهرزوري. وسار [السلطان] إلى بلاد الأمن قمع ملكهم^(٥)،

(١) في "المعنى بفتح" (٢) انظر ما يلي. (٣) مكان مده يابس في س، ولكنها في ب (مر ١٢٥). (٤) في س قليج، بدون ضبط، وأحيانا بفير الياء، وسيحافظ على الرسم الوارد متباين دائما. (Enc. Isl. Art. Kildj Arslan). (٥) في ب (مر ١٢٥) أول رجب. انظر ص ٣٩، حاشية ١. (٦) اسم Leon, roi d'Arménie ونسبه المؤرخون للمسلمون ليغون ولانون وأبي لالوت. (Rec. Hist. Or. Vol. V. Index).

فأوغل فيها وأطاعه ملكهم ، ثم عاد بعد ما وصل إلى بَهْسَنَّا^(١) وأحرق حصنا وغربه ، وخرج من دمشق يريد مصر في ثامن عشر رجب ، ومعه شيخ الشيوخ [صدر الدين] ، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان ، وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة في البحر ، وعاد منها إلى بغداد . وفيها مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سَلَفَةِ السَّلَفي^(٢) في يوم الجمعة خامس ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة ، ومات الملك العظيم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شاذي في خامس صفر بالإسكندرية ، وُحِّل إلى دمشق فدفن بها ، وفيها ولدت امرأة غرابا . و[فيها] كان قاع^(٣) [النيل] ثلاثة أذرع وعشرين أصبعا ، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلاثي ذراع .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة . في محرم خرج الأمر بالحوطة على مُسْتَقْلَات^(٤) العربان بالشرقية ، وأُسروا بالتمدية إلى البحيرة ، ووقعت الحوطة على إيقاع جذام وثلبة ، لكثرة حلمهم الغلال إلى بلاد الفرنج . وكثر القار بالمقاني والغلال بعد حصادها ، فأتلف شيئا كثيرا . واحترق النيل حتى صار يخاض ، وتشمّر الماء عن ساحل القس ومصر ، وربي جزائر^(٥) رَمَلَة خيف منها على المقياس أن يقلص الماء عنه ، ويحتاج إلى عمل غيره . وبُعد الماء عن السور بالقس ، وصارت قوته من بر الغرب . وخيم السلطان في بركة الجب قصيد

(١) بشر ضبط في س ، وهي قلعة حصينة ، في شمال الشام ، يقرب مرعش وسيمساط ، وهي من أعمال حلب (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧٠) (٢) مضبوطان عن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨) . وقد اعتمد ياقوت على أبي الطاهر في كثير من معلوماته (انظر فهرس الأعلام في معجم البلدان) . (٣) في س القاع . (٤) جمع للمستقل يفتح اللين ، وهو كل ما أوغل من أرس أو عتار أو حانوت أو سوق أو طاحون . والمستقل بكسر اللين ما يأتي من المال أو غيره من هذه الأشياء (Dozy, Suppl. Dict. Ar.) . (٥) في س حراير وميله . (٦) يحتدل أن يكون هذا بده تغيير جري النيل الذي نشأت عنه بولاق فيما بعد ، إذ يقول القرزبي في اللواعظ والاعتبار ، (ج ٢ ، ص ١٣٠ — ١٣١) في هذا الصدد : " إن لواء انحسر بعد سنة سبعين وخمسمائة عن جزيرة نعرف بجزيرة النيل ، وتقلص الماء عن سور القاهرة الذي ينتهي إلى القس . ووصلت هناك دمال وجزائر ما من سنة إلا وهي تكثر ... " . انظر ص ٦٦ ، ملحقة ٣ .

ولعب الكرة ، وعاد بعد ستة أيام . وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط^(١) ملك الفرنج بالسكرك جمع وعزم على السير إلى تيتماء ودخول المدينة النبوية ؛ فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بساكره إلى السكرك ، ونهب وحرق ، وعاد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به ، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج .

وفي صفر قديم رسول ملك (١٢٢) القسطنطينية إلى القاهرة ، فوقع الصلح مع صاحبها ، وأطلق في جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيراً من المسلمين . وسار حارم الدين خطيباً إلى القيوم ، وقد أضيفت إليه ولايتها ، وأفردت برسمه الخاص ، ونقل عنها مقطوعها . ثم صرف عن ولاية القيوم بآين شمس الخلافة ، وأحضر خطيباً يسيّر إلى اليمن ، وكُتب إلى دمياط بترتيب المقاومة على البرجين^(٢) ، وسدّ مهاكب السلسلة وتسييرها ليقاثل عليها ، ويدافع عن الدخول من بين البرجين بها

وفي ربيع الأول طرق الفرنج ساحل تنيس^(٣) وأخذوا^(٤) مركباً للتجار ؛ ووصلت مراكب من دمياط كانت استدعت من خمسين مركباً لتكون في ساحل مصر ، وكل بناء برج بالسويس^(٥) يسع عشرين فارساً ورتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد ، التي يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج^(٦) ، وأمر بحارة قلعة تنيس . ووردت تجار الكارم^(٧) من عدن ، فطلبت منهم زكاة^(٨) أربع

(١) في س " أرباط " . (٢) في س عا وهي بلدة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٠٧) في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق .
(٣) برجه إنشاء هدير الرجين والسلسلة التي بينها ، على سبيل الترجيج ، إلى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٤٢ م) في عهد الخليفة التوكل الميمني (المقرئ : الواضع والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢٢٧) .
(٤) في س " تنيس " . وبصر صبط ، وهي بلدة يجزره منيرة اسمها تنيس أيضاً ، واسعة بالناحية الشمالية المصرية من بحيرة المرة قرب بور سعيد الحالية . انظر ياقوت معجم البلدان (ج ١ ، ص ٢٨٨) .
(٥) في س " واحد " . (٦) في هامش س قبالة هذه المطور العبارة الآتية : " انظر بناء البرج بالسويس لحفظ طريق الصعيد " . (٧) كان معدن الشب ، زمن القلقندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ ، ٤٥٩) من معسكرات الدولة المصرية ، يستخرج من أسوار الواحات وبلاد أخرى بالصعيد ، ويحمل منها إلى سواحل قوس وأخير وأسبوط والبهني لينقل إلى الإسكندرية ، فيباع أكرهه لتجارت بلاد الفرنج ، حيث يستعمل في أشياء كثيرة أهمها صبح الأجر . انظر أيضاً (Blochet : p. 148, N.1) . (٨) المنبر الأصغر ، وكان لتجاره قنصل خاص بهم بالصمصاط (القلقندي : نفس

نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦٩) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 143, N. 3) .

(٩) كان التجار وغيرهم يدفعون الزكاة على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وفضة ، وعلى ما يأتون به من متجر ، وحال عليه الحال . ثم زادت كمية ما يؤخذ على التجار زمن القلقندي (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٨ - ٤٧٠) فأصبح " الرتب السلطاني " عبرة البضائع ، " مع لواحق أخرى تكاد أن تكون نحو الرتب السلطاني أيضاً " .

سنتين . وكثرت بيوت المزر^(١) بالاسكندرية ، فهدم منها مائة وعشرون بيتاً . ووصل للقرى^(٢) في حادى عشرى ربيع الأول بالوفاء في سابع عشره ، فأوفى [التيل] بمصر في سادس عشر به [الموافق] يوم السادس عشر من مسرى ، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن مقدم . فركب السلطان لتخليق المقياس في غده ، وخلع على ابن أبى الرَّدَاد في سلخه . وفتح الخليج في رابع ربيع الآخر ، والماء على خمسة عشر إصبعا من سبعة عشر ذراعاً ، بمحضر والى القاهرة^(٣) . وفيه أنفق السلطان في الأجناد البطالين وجردم إلى الثغور ، وأنفق في رجال الشوانى وجردم للنزو . وورد الخبز بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم ، وأن ذلك خرج عن الحد في الزيادة على المعهود ، وأن الغزال في البرية كله أنام ، وكذلك^(٤) النسوان أنامن أكثر من الأفراد ، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة ظهرت .

وفيه مانت أسراء الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعى ، بمد الدنيا والملك الذى كانت فيه . وركب السلطان في أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا ، وعاد إلى قلعة الجبل ، وركب منها إلى الخيم بالبركة . وسار متسل الأمير صارم الدين خطيباً إلى اليمن . وانتصب السلطان ليلاً ونهاراً في ترتيب أحوال الأجناد ، واقتطع من إقطاعات الرمان الثلاثين ، وعوض به مقطوع الفيوم ، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان . وفيه قرردوان^(٥) الأسطول (٢٢ب) وفيه الفيوم والحبس الجيوشى والخراجى والنطرون ، وضمن الخراج ثمانية آلاف دينار .

(١) المزر نوع من الحمة يصنع من القردة أو الشير أو المنطة . محيط المحيط . (٢) مضبوطة على منطوقها في (Blochet : Op. cit. p. 193) حيث هى مترجة أيضاً إلى (Maximam) أى مائة ارتفاع النيل . (٣) انظر وصف حفلات تخليق المقياس وفتح الخليج في الفقهنى (صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٥١٦ — ٥٢١ ، وفى القريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٧٠ — ٤٧٩ ، ٤٩٣) .

(٤) البطالون من الأجناد والأسماء المملكون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها ، نتيجة غضب السلطان أو كبر السن ، أو اضطراباً إلى الاعتكاف والاختفاء ، أو لجرد حب الأنواء والإبعاد : (Q.— Demombynes Op. cit. introd. p. XLVII. N 3) . (٥) فى كذلكسن .

(٦) انظر ص ٤٥ ، حاشية ٣ .

[وفي هذه السنة^(١) رُبِت المقاتلة على البرجين بدمياط] ، وجُهِزَت خمسمائة دينار لمهارة صورها والنظر في السلسلة التي بين البرجين . وعُمل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تنيس وإعادةه كما كان في القديم ، فجاء ثلاثة آلاف دينار . وكتب إلى قوس بإبطال المسكوس التي تستأدى من الحجاج وتجار اليمن . وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد هَوَارة^(٢) ، ووزَوَوة^(٣) ، وقَوَانة^(٤) ، وجبل نفوسة ، وغدامس^(٥) ، وأعمال طولها وغرضها خثة وعشرون يوما ، وأنه خطب على منابرها للسلطان وضربت السكة باسمه ، وأنه إذا أُنِم عليه بقوة بلغ أغراضا بعيدة ، وسير أموالا عديدة . وأنشئت أربع حراريق^(٦) بصناعة^(٧) مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن ، وجردت أسراء العسكر السائرين إلى اليمن . وكثير^(٨) في بحر تنيس تعذى الرمان على المراكب ، وعمرت عليهم حراريق فيها ، فلم يُظفر بهم لإيوائهم إلى الجيش .

وفي جمادى الآخرة قطع الفرنج أكثر نخل الريش وحلوه إلى بلادهم ؛ وميَّرت مراكب بالزاد والموافات والأسلحة إلى اليمن ؛ وأسند أسرار الجسور إلى والى الغربية و[والى] الشرقية ،

-
- (١) أُضيف ما بين القوسين بعد مراجعة المخطوط (الموطع والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٥) .
 (٢) بغير ضبط في س ، وهي قبيلة من البربر سكنت جبال نفوسة . (انظر ص ٦٦ حاشية ٢ ؛
 وبالقوت : معجم البلدان . ج ٤ ص ٩٩٥ ؛ نو . N 3 . Blochet : Op. 145) .
 (٣) في س زوارة وبغير ضبط ، ووزوارة بغير ضبط بين إفريقية والمغرب . (بالقوت : معجم البلدان ،
 ج ٢ ، ص ٩٥٢) . (٤) في س لمائة حصة على اللام والميم والتون ، وهي قبيلة من البربر أيضاً
 (بالقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٧) . انظر أيضاً (N 3 . Blochet : Op. ed. p. 148) .
 (٥) انظر ص ٦٥ ، حاشية ٦ . (٦) القرد حراقة وتجميع على حراريق أيضاً ، وهي
 نوع من العن الحامية (Dozy : Supp. Dict. Ar) ، والمالب أنها كانت تستعمل في النيل فقط ، لنقل
 الأجناد إلى التتور البحرية . انظر المخطوط (الموطع والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٩٤) .
 (٧) كان بالقاهرة ثلاث دور لبناء السفن ، تعرف كل منها بالصناعة ، وأولها صناعة الجزيرة
 بالروضة الحالية ؛ إذ أنشئت سنة ٥٤٤ هـ ؛ ثم صناعة مصر ؛ بناها محمد بن طنج الإخشيد بإساحل مصر القديم ،
 وكانت تعرف أيضاً بصناعة المهاجر ؛ ثم صناعة القس ، وهي من منشآت المملوكين آله الفاطمي (المخطوط :
 الموطع والاعتبار ج ٢ ، ص ١٩٥ — ١٩٧) . (٨) كذا في س ، بغير ضبط .

ليتوفرا على عمارتها ؛ وكتب إلى الأمير غر الدين^(١) نشو الملك بن فوحون وإلى البحيرة ومشارفها بذلك .

وفي رجب استقرت^(٢) عدة الأجناد ثمانية آلاف وستائة وأربعين ، وأسماء مائة أحد عشر ، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة [و] ستة وسبعين ، وقرانغلامية^(٣) ألف وخمسمائة وثلاثة وخسين . وللسقر لم من المال ثلاثة آلاف ألف وستائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار ، خارج عن المحلولين^(٤) وعن الربربان المقتطعين بالشرقية والبحيرة والسكانيين^(٥) والضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين ، ولا يقصر [مامهم] عن ألف ألف دينار .

ووصل الإبرنس [أرناط] إلى أيلة ، وسار عسكره إلى تبوك . وفي شعبان كثرت للطر بأيلة حتى تهدمت قلعها ، وشرع في بناء سور دمياط ، وذرعه أربعة آلاف وستائة وثلاثون ذراعا ، و[شرع أيضا] في بناء برج [بها] .

وفي شوال مات منكوريدس^(٦) الأسدى أحد الأسماء المماليك ، وأخذ إقطاعه بازكج^(٧) الأسدى . وقُبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل السكاني ، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن ، وأُخذ منه ثمانون ألف دينار وأُفرج عنه . وسار خطبائا إلى مصر واليا على زَبِيد ، ومحبته خمسمائة رجل ، و[مهم] الأمير باخل ، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين^(٨) ألف

(١) كنا بنير ضبط في س . انظر (Blochet: Op. cit. P. 146) حيث ترجم الاسم إلى "Fakhr-ad-Din Nasr (?) al-Moulik-Ibn-Fardjouis" . (٢) في "استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستائة وأربعين وأسماء مائة أحد عشر وطواشية ستة آلاف وسبعين وقرانغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخسين" . (٣) جماعات الضريبة ، وعمامه مراقبة الطرق أثناء سير الجيوش . (٤) (Dozy : Sepp. Diet. Ar.) هذه الكلمة مترجمة إلى (indisponibles) أى من لا عمل لهم ولا منهم قس ، مع التشكك . غير أن المقصود هنا بالمحلولين الذين انحلت عنهم إقطاعاتهم أو روايتهم فأصبحوا بطالين . راجع ابن تقي : التجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ٤٨٥ ، ٦٣٧ ، ج ٧ ، ص ١٠٧ ؛ وكذلك المقرئ : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٧ . (٥) انظر التلغشتى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٧ — ٧٢) لحرفة قبائل الربربان ببلاد مصر منذ الأيوبيين . (٦) ضبط كل من حزين الآمين على منطوقهما في فهارس (٧٦) . (٨) في س عسرووت . (Rec. Hist. Or I-V.)

دينار، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دينار لكل (١٢٤) منهم على اليمن، إن كان من الإقطاعية، وللباطنين والمرتجة في الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا؛ وسيرت الحرايق — وهي خمس — وقد شحت بالرماء، وفي سابع عشرة سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشرى شوال، وشرع في قراءة لكوطاً يوم الخميس — ثاني يوم دخوله — على الفقيه أبي الطاهر ابن عوف؛ وأشأ بها مارستانا ودارا للفقارة، ومدرسة على ضريح المظفر توران^(١)؛ وشرع في عمارة الخليلج^(٢)، ونقل فوخته إلى مكان آخر. وسار منها أول ذى القعدة إلى دمياط، وعاد إلى القاهرة في سابه. وفي تاسع أمر بفتح المارستان الصلاحي، وأفرغ برسمه من أجرة الرباع الديواني مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلات جهتها القيوم، واستخدم له أطباء وغيرهم. وفي حادى عشره خرج السلطان إلى بركة الحب، لتجريد الصاكر والمسير إلى الشام، وخرج للث العادل في ثالث عشره إلى الحشم، ونزل ناحية [بركة الحب؟]. وسومح برسم الولاية بمصر والقاهرة، ورسوم القيوم ورسوم الصعيد الأعلى؛ وأخرجت منجنيقات إلى الخيام برسم الفزاة. وفي حادى عشره سار سيف الإسلام [طفتكين أخو^(٣) السلطان صلاح الدين] إلى أجبم، لجاية الجسوالى^(٤) والنظر في أمر الشب، وظفرو إلى قوص برجلين من أهل إسنا يدعوان إلى مذهب الباطنية. وفي ثالث عشره عقد نكاح بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين، وم: غياث الدين غازى، ومظفر الدين خضر، ونجم الدين مسمود،

(١) ق س تورشاه.

(٢) بقصد المؤلف قنات الإسكندرية التي كانت تخرج من فرع وشيد عند بلدة زاوية البحر، جنوب مدينة كفر الزيات الحالية، 196. pp. Mem. Sur Anc. Branches Du Nil. (P. Omar Toussoe : et seq.) على أنه لا يوجد في هذا الرشح ذكر لما أحدثه صلاح الدين بذلك الخليلج.

(٣) انظر (Lane-Poole : Saladin. Table II. in pocket) (٤) " هي مأخوذة من

أهل الدقة من الجزية المقررة على وفهم في كل سنة. وعلى على فسين : ما في حاضرة الديار المصرية من القسطنطينية والقاهرة، وما هو خارج عن ذلك. فأما ما يجانصة الديار المصرية فإن لهذه الجهة بها ناظرا بولى من جهة السلطان وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلداتها، فإن جزية أهل الدقة في كل بلد تكون لفتح تلك البلد من أمير أو غيره، تجري بمرى مال ذلك الإقطاع، وإن كانت تلك البلد جارية في بعض النوازل السلطانية، كان ما يحصل من الجزية من أهل الدقة بها جارية في ذلك الديوان^(٥). (التفليسنى : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩٢ — ٤٩٣).

شرف الدين يعقوب ؛ والصدق في كل كتاب عشرون ألف دينار . وعقد السلطان المذنة مع رسول القومص ملك القرنج بطرابلس ؛ ونودي بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والغال ، من غير استثناء طيب ولا كاتب . ومات الملك الصالح بحير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب حلب في يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فقام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي . وكان موت الصالح هو الحرك للسلطان [صالح الدين] على السفر ، وكتب لابن أخيه المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وغيره من النواب بالتأهب ، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب .

[سنة ثمان وسبعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثمان وسبعين ، والسلطان مبرز بظاهر القاهرة ؛ فلما خرج الناس لوداعه ، وقد اجتمع عنده من المفاء (٢٣ ب) والفضلاء كثير ، وم يتناشدون ما قيل في الوداع ، فأخرج بعض مؤدبي أولاد السلطان رأسه من الخيمة ، وقال .

تتمتع من شميم عرار نجد فإبعد العشي من عرار

فتعير الحاضرون من ذلك ؛ وسمحت الطيرة ، فإن السلطان رحل من ظاهر القاهرة في خامس المحرم من هذه السنة ، ولم يمد بعد ذلك إلى القاهرة ، فذلك في طريقه على أيلة ، فأغار على بلاد القرنج ، وسار على سمت الكرك ، وبث أخاه تاج الملوك بالسكر على الدرب . وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق ، فأغار على طبرية وعكا ، وأخذ الشَّيْف^(١) [أَرْزُون] ، وعاد بألف أسير وعشرين ألف رأس غنم ، وأزل فيه طائفة من المسلمين . وأتى الريحُ بطلعة للقرنج إلى بردمياط ، فأسر منها ألف وستائة وتسعون نفساً سوى من غرق ، فدخل السلطان

(١) قلعة حصينة قرب بانياس ، من أرض دمشق ، بينها وبين الساحل . وتسمى وكسب المؤرخين الفرنج (Beaufort) ، انظر (Rec. Hist. Or. V. Index) . وأضيف إليها اسم أرنون تمييزاً لها من شقيف دركوش وعقيف دين ، وكلها بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠) .

(٢) نوع من الفس . انظر (Dory : Supp. Dict. Ar.) ، وانظر أيضاً (Makhalras : Chron. of Cyprus, Vol. II. p. 141) ، وكذلك (Rec. Hist. Or. IV. P. 216. N. 3) . وفي محيط المحيط : البطة حركب للحرب أو التجارة بلغة إسبانيا ، ج بلس .

إلى دمشق ، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، فأقام بها يسيراً ؛ ثم أثار على طبرية ، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة^(١) كوزك ، واستشهد جماعة من المسلمين ؛ وعاد إلى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وخيم بالفوار من عمل حوران ، وأقام به حتى رحل إلى حلب . وخرج سيف الإسلام ظهير الدين طنطكين بن أيوب بن شادي ، من القاهرة إلى اليمن ، بعد مسير السلطان ، ووصل إلى زبيد فلما « وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار ، واحتوى على عدى أيضاً .

وخرج السلطان من دمشق يريد حلب ، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى ، ونازلها ثلاثة أيام ؛ ثم رحل إلى الفرات ، فخم على غربي البيرة ، ومدّ الجسر ، وكاتب ملوك الأطراف ؛ ورحل إلى الرها فجلسها ، وسار عنها إلى حران فرتبها ، وانفصل عنها إلى الرقة فلما كان في رجب ، فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى ؛ فسار ونازل الموصل في يوم الخميس حادي عشر رجب ، وألح في القتال فلم يزل غرضاً ؛ ورحل يريد سنجار ، فنازلها وصايقها من يوم الأربعاء سادس عشر شعبان ، ودخل رمضان فكف عن القتال ، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانية ؛ وأعطاهما [ابن أخيه] الملك الظفر تقي الدين [عمر] ، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد وسار عنها إلى حران ؛ ثم رحل ونزل على آمد لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة .

وفيها قصد الفرنج بلاد الحجاز ، وأنشأ البرنس أرماط^(٢) صاحب الكرك سفناً ، وحملها على البر إلى بحر القلزم ، وأركب فيها الرجال ؛ وأوقف منها مراكبين على حُرْزَة^(٣) قلعة القلزم^(٤) ، لمنع

(١) قلعة حصينة بالجبل المطل على مدينة طبرية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٨) .

(٢) الفوار واد بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس ، به يثر يعرف بهذا الاسم .

(٣) الفلندسي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧٤ . (٤) في س أرياط .

(٤) كذا في س بصر صط . ومى في محيط المحيط بكسر الميم .

(٥) الرابع أن المؤلف يقصد بلدة أيلة كما في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٢٣) .

أما القلزم فوضع على البحر قريب من مدينة السويس الحالية ، وكان فرصة مصر والشام ، ومه تحمل للتاجر إلى المحيط واليمن . ثم أنه أصبح غرباً زمن ياقوت ، فتعول التجارة إلى موضع السويس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٥٨ — ١٦١) .

أهلها من استقاء الماء . وسارت البقية نحو عيذاب ، قتلوا وأسروا ، وأحرقوا في بحر القلزم نحو ست عشرة مركبا ؛ وأخذوا ببذاب مركبا يأتي بالحجاج من جدة ؛ وأخذوا في الأسر ثالثة كبيرة من الحجاج فيا بين قوص و عيذاب ، وقتلوا الجميع ؛ وأخذوا مركبين فيها بضائع جاءت من اليمن ؛ وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين ؛ وأحدثوا حوادث لم يسمع في الإسلام بمثلا ، ولا وصل قبلهم رومي إلى ذلك الموضع ؛ فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم ^(١) واحد ، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة (٢٤) (١) النبوية . فجهز الملك العادل ، وهو يغلب السلطان بالقاهرة ، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم ؛ فصر سراكب بمصر والإسكندرية ، وسار إلى أيلة ، وظفر بمراكب للفرنج ، فخرقها وأسروا منها ، وسار إلى عيذاب ؛ وتبع سراكب الفرنج ، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها وأطلق من فيها من التجار الأسوريين ، وردّ عليهم ما أخذ لهم ؛ وصعد البر ، فركب خيل العرب حتى أدرك من قرى من الفرنج وأخذهم ، فساق منهم اثنين إلى منفى ونعمرهما ^(٢) بها كاتنحر البذن ، وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذى الحجة ، فضربت أعتاقهم كلهم ، وعاد الأسطول [من بحر ^(٣) الروم] بعد نكاية أهل الجزائر ، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا ، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلا .

ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور في دمشق في أول جمادى الآخرة . ومات الشيخ الزاهد رُوْزْبَهَار بن أبي بكر بن محمد بن أبي القاسم الفارسي الصوفي ^(٤) ، يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة ، ودفن بقرافة مصر . وفيها انقرضت دولة آل سبكتكين ، وكان ابتداءها سنة ست وستين وثلاثمائة ، فلكسكو مائتي سنة وثلاث عشرة سنة . وأولم محمود بن

(١) توجد بالمعاش لآراء هذه الطور البارة الآتية : " انظر قصد الفرج بلاد الحجاز " ، ومي خط مخالف . (٢) في س ونعمرم . (٣) الراجح أن هذه الحركة البحرية كانت قرب إحدى الجزائر الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط . انظر أبا شامة (كتاب الروضتين ، ص ٢٣٥ ، في . Rec. Aist. Or. IV.) ، وابن الأثير (الكنال في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٦) .

(٤) انظر بسن أخباره في (1) (Blotchet : Op. cit. p. 155. N. 1) .

سبكتكين، وأخرم خسرو شاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين^(١). وقام بدم الفورية، [وأولم عز الدين حسن، صاحب بلاد^(٢) النور].

وفيها ورد الخبر بأن الماء الذي [في] زقاق^(٣) سبته قل، حتى ظهرت القنطرة التي كان يعبر الناس عليها في قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمها؛ فلما قل الماء في هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قائمتين، ورأى الناس آثار بنيانها، وأن صركا انكسر عليها.

* * *

[سنة تسع وسبعين وخمسةائة]. وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، فتسلمها في أوائل المحرم، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان. وخرج الفرنج إلى نواحي الداروم^(٤) يهبون، فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر واية، فأظفروهم الله، وقتلوا وغدما واعدوا سالين. وفيه سار الأسطول من مصر فظفر ببطنة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون عبقا^(٥)، فقدموا بهم في خامس المحرم إلى القاهرة. وتوجه سعد الدين كشيبة^(٦) [الأسدي] وعلم الدين قيصر إلى الداروم، فأوقموا بالفرنج على ماء، وقتلهم جميعا وقدموا بالرموس [إلى]

(١) آخر ملوك هذا البيت هو تاج الدولة خسرو. لك، وقد جاء بعد خسرو شاه المذكور هنا. (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 289) (٢) راجع (Ibid: Op. cit. pp. 291 et seq)

(٣) الرقال مجاز البحر بين طنجة والحريرة الحسراء في بلاد المغرب (محيط المحيط)، وسنة (Ceuta) مدينة حصينة ساحل مراكش قالة جبل طارف. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠، و Enc. Isl. Art. Ceuta). (٤) بئر بسيط في س، وهي بلدة بينها وبين غزة أربعة فراسخ، وهي بئر غرة في الطريق إلى مصر، وبها طمة، والواثق عليها يرى البحر. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٠، ٢٢٧). (٥) البلع الرجل المصنم من كفلار الجيم، ويصن العرب يطلق الملع على الكافر مطلقا، ج علوج وأعلام (محيط المحيط). وفي (Dozy: Supp. Dic. Ar.) وهو الرجل الضموي المستتر، والذي كان مسلما تنصر، أو نصرانيا فأسلم. وقد ترجمها (Blochet: Op. cit, p. 156) إلى (Malelois) أي بحارة. (٦) كذا في س بئر ضبط، وهو مترجم في (Blochet: Op. cit, p. 156) (Kamsaba). انظر أبا خاتمة (كتاب الروستين، ص ٣٤٦، ٣٨١، ٣٨٢، في Rec. Hist. Or, IV. (Kemchebeh) حيث ترجم إلى (Rec. Hist. Or, IV. (Kemchebeh).

(٧) هذا اللفظ غير واضح في س، وكذلك يصح الكلمة السابقة له.

القاهرة في رابع عشره . ورحل السلطان عن آمد ، وعبر الفرات يريد حلب ، فملك عين تاب^(١) وغيرها ، ونزل على حلب — بكرة يوم السبت سادس عشرى الحرم — وقد خرب السلطان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قلعها^(٢) في جمادى من سنة ثمان وسبعين (خمسائة) . ونسها [صلاح الدين] بصلح ، يوم السبت ثامن عشر صفر ، على أن تكون لعماد الدين سنجار . ومات تاج الملوك بُرِّي^(٣) بن أيوب بن شاذي في يوم الخميس ثالث عشره بحلب . وسار عماد الدين إلى سنجار . فولى السلطان قضاء حلب محيي الدين محمد بن الزكي على القرشي قاضي دمشق ، فاستتاب بها زين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسي ؛ وولى يار كنج قلعها ، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي^(٤) ملكا بها ، ورحل عنها ثمان بقين من ربيع الآخر . فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى ، وأقام بها إلى سابع عشرية ؛ ورز وسار إلى بيسان^(٥) ، فعبّر [نهر] الأردن^(٦) في تاسع جمادى الآخرة ، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها . وفعل ذلك (٢٤ ب) بلدة قلاع ، وأوقع بكثير من الفرنج واجتمع بعين جالوت من الفرنج خلق كثير ، ثم رحلوا ، وأسر [السلطان] منهم كثيرا ، وخرب من الحصون حصن بيسان وحصن عَمْرَ بَلَا^(٧) وَزْرَعِينَ^(٨) ، ومن الأبراج والقرى عشرة . وعاد إلى دمشق است بقين من جمادى الآخرة ، ثم خرج في يوم السبت ثالث رجب يريد السكرك ، فثار له مدة ولم ينس منه

(١) في س عتاب ، وهي قلعة حصينة بين حلب وأطاكية ، وكانت تعرف بدلوك . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٠٩) . (٢) ينضح من (Blochet : Op. cit. p. 157 N. 3) ، أن القرزى خلط هنا بين حلب وعزاز .

(٣) انظر بس أخباره في (Blochet : Op. cit. 157. N. 4) .

(٤) في س يار كوج . (٥) في س ايلغازي . انظر (Blochet : Op. cit. p. 162. N. 5) . (٦) في س قسان بنير ضبط ، وهي مدينة بين حوران ولسطيف . (ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨٨ ، و 3 و 158. N.) (Blochet : Op. cit. p.) .

(٧) بنير ضبط في س . (انظر ياقوت : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٠٠ و . (Blochet : Op. cit. p. 168 N. 4) (٨) قرية صغيرة بين بيسان وناپلس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٦٠) . وهاشم الصفعة العبارة الآتية : " وكانت يومئذ بلدة عامرة ، يزرع بها قصب السكر على عينها التي يقال لها عين جالوت " .

(٩) بنير ضبط في س ، وهي بلدة بنور الأردن قرب بيسان وطبرية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٨٨) . (١٠) مضبوطة على منطوقها في (Blochet : Op. cit. p. 160) ولها ادريس أو زرين المذكورة في (O-Demembynes : Op. cit. p. 243 , Le Strange : Palestine Under Moslems . 441.)

غرضاً . فسار إلى دمشق ، وقد وصل إليه أخوه الملك العادل من مصر في رابع شعبان . فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك ، وقد خرج إليه بسكر مصر . وفي يوم الخميس خامس عشره رحل الملك المنقز تقي الدين من الكرك إلى مصر ، عوضاً عن العادل وارتجع عن العادل إقطاعه بمصر ، وهو سبعمائة ألف دينار في كل سنة . فجهز إليها الملك المنقز تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ومعه القاضي الفاضل ، وأنتم على تقي الدين باليوم وأعمالها مع القائلات^(١) وبوش ، وأبقى عليه مدينة حاة وجميع أعمالها .

ووصل السلطان إلى دمشق لثمان بقين من رمضان ، وبعث بالملك العادل إلى حاب في ثاني رمضان . فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج^(٢) ؛ وقدم شيخ الشيخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر ، ليصلحا بين السلطان وبين عمر الدين صاحب الموصل ، ومعهما القاضي محيي الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزوري ، وبهاء الدين بن شذاد ، فأعلموا مدة ورحلوا بغير طائل ، في سابع ذي الحجة .

وفيها ظهر بقرية بؤصير^(٣) بيت هرمس ، فخرج منه أشياء ، منها كيلش وقرود وضفادع يازهر^(٤) ودَهْنَج^(٥) وأصنام من نحاس . وفيها قتل شرف الدين برغش على الكرك في ثاني عشرى

(١) في س المائيات ، انظر ص ٩١ حاشية ٣ ، والمائيات بالثبائية الحالية وصرحها مضافة على حاة الصراء العربية ؛ وبوش في بي سوب وصرحها بي سوب نفسها .

(٢) في س تركوج . (٣) يوجد بمصر أربع ترقى بهذا الاسم (Blochet : Op. cit. p. 160. N. 2) ، والراجح أن المقصود هنا بوسير نورديس باليوم ، التي قتل فيها حيوان بن عمد ، آخر ملوك بؤصير سنة ١٢٢ هـ . (القرنزي : الواضع والاعتبار : ج ١ ، ص ٣٤ ؛ والفقشدي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨١) .

(٤) بئر ضبط في س ، وهو حجر خفيف هش يسبب إليه قوى غريبة في مقاومة السوم ، ويسمى أيضاً باندزهر ، وهو لفظ نرسي مركب من كلمتي ، الأولى ماد ومنتاحا طارد ، والثانية زهر ومنتاحا سم . (عبد المحيط و Dozy : Supp. Dict. Ar. . هذا وبالفتحشدي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١١١) فصل طويل عن البلاد زهر ومنتاحه .

(٥) بئر ضبط في س ، وهو جوهر كالزهر ، ويتكون من معدن النحاس . (محيط المحيط ، و Dozy : Supp. Dict. Ar. . (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٠٧) أن المعدن مسكن للسوم أيضاً . (٦) ضبط هذا الاسم على منطونه في (Blochet : Op. cit. p. 161) ، وله سى مترجم إلى (Barghash) في (Rec. Hist. Or. I. Index)

رجب ، فحمل إلى زُرْع^(١) ودفن في تربته . [و] في سنة تسع وسبعين هذه وقعت^(٢) بالوجه البحرى [قطع] برد كببيض الأوز أخربت ما صادفته من العاصم ، ودمرت الزروع ، وأهلكت كثيرا من لماشية والنابس .

* * *

سنة ثمانين وخمسمائة في خامس الحرم توجهت قافلة بفلات وسلاح وبذل^(٣) مجرد إلى قلعتى أيلة وصدر وخرج من الشرقية جماعة يحرقونها مع قيصر وإلى الشرقية ، فأوصلها إلى أيلة وصدر . وعاد في خامس عشره ، وكان المدوق قد نهض إليها وعاد عنها . وأهلت [هذه السنة] والسلطان بدمشق ، فيمت إلى الأطراف يطلب المساكر ، فقدم عليه ابن أخيه تقي الدين بساكر مصر ومعه القاضي الفاضل . [و] خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول إلى جسر الخشب^(٤) ، وقدم الملك العادل من حلب — ومعه نور الدين بن قرا أرسلان^(٥) — إلى دمشق يوم الخميس رابع عشره ، وخرجوا إلى الكسوة^(٦) . فرحل السلطان في ثاني ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك وخرج تقي الدين في عسكر مصر ، ومعه أولاد الملك العادل وأهله ، يوم الأربعاء مستهل ، فساروا إلى أيلة ، ووصلوا إلى السلطان في تاسع عشره وهو على الكرك . وسارت أولاد العادل في حادى عشره ، فلقوا العادل وهو على القوار في خامس عشره ، ووصل معهم زرافة . فاجتمعوا به وساروا إلى حلب ، ومعهم بكش^(٧) بن عين الدولة الياروق ، وعلى

(١) بنير صبط في س ، وهو اسم يطلق على بلاد فلسطين والأردن (Le Strange : Palestine Under Moslems, p. 566 - also Index) . (٢) في س وقع .

(٣) المقصود بهذا القبط جماعة من الجند أرسلت خصيصا لإبدال ما هالك من الدين مالت إقامتهم ، واستنقوا الرجوع إلى بلادهم . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) موضع بظاهر دمشق ، ويعرف أيضاً بتنازل المساكر . (أبو شامة : كتاب الروتين ، ص ٦٦ ، ٢٥٩ ، في Rec. Hist. Or. IV.) (٥) في س قرارسلان .

(٦) بنير ضبط في س ، وهي أول مرة لقروائل القادمة من دمشق إلى مصر . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٧٥) .

(٧) كذا في س بنير صبط ورجح (Blochet : Op. cit. p. 162. N. 1) أن صحته (Bektash)

ابن سليمان بن جندَر^(١)، ونزل المعسكر الحلبى على ثمان مدينة البلقاء^(٢) فى ثامن جهاى الأولى ، ورحل عنها فى ثانى عشره إلى الكرك . وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك فى سابع عشرة ، وعملت الحنانيق إلى ليلة الخميس حادى عشره ، ثم رُميت تلك الليلة . ورحل المعسكر كله لخبر ورد عن اجتماع الفرنج ، وساروا إلى اللجون^(٣) ، ونزل الفرنج بالواله^(٤) . ثم سار المعسكر إلى ناحية البلقاء ، فنزلوا حَسْبَان^(٥) تجاه الفرنج ، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشره . فرحل الفرنج إلى الكرك ، والمعسكر وراهم إلى نابلس ، فهاجما^(٦) المعسكر يوم الجمعة سلبه . وحرقوها ونهبوها ؛ وساروا فأخذوا أربعة حصون^(٧) ، ونزلوا على جِينين^(٨) ، وتقبوا قلعتها حتى وقت ، وقتل تحتها من الثقات عدّة ، وأخذت عنوة وغنم منها شيء كثير . ورحلوا فى ليلتهم إلى زرعين [عين] جالوت ، وأحرقوها فى الليل ، وعبروا الأردن يوم الأحد ثانى جهاى الآخرة ، ونزلوا القوار رابعة .

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعة ، ومعه عساكره كلها . وقدم أخوه العادل من حلب ، وأتته العساكر الشرقية وعساكر الحصن^(٩) وأمد ؛ وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج . فنالها فى ربيع عشر جهاى الأولى ، ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها . وقدمت الأمداد من الفرنج ، فرحل السلطان إلى نابلس ، ونهب كل ما مرّ به من البلاد ؛ وأحرق نابلس وخرّبها ونهبها ، وقتل وسبى وأسر ، وأستفقد عدّة من المسلمين كانوا أسرى ، وسار إلى جينين ، وعاد إلى دمشق . فقدم عليه رسل الخليفة ، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبى سعد أحد ، و[شهاب الدين]^(١٠) بشير الخادم ، ومعهما خلع

(١) بغير ضبط فى س . انظر (Rec. Hist. Or. I, pp. 663, 678) .

(٢) جهات واسعة بين دمشق ووادي القري . انظر (Blochet : Op. cit. p. 162, N. 2) .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهو بلد بالأردن ، بينه وبين طرية عشرون ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) . (٤) بشير ضبط فى س ، انظر (Rec. Hist. Or. IV, p. 248) .

(٥) بغير ضبط فى س ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 162 N. 4) .

(٦) فى س فحسبها . (٧) فى س اربع .

(٨) فى س جينين ، وبغير ضبط ، وهى بلدة بين نابلس وبيسان . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٨٠) . (٩) يقصد للؤلؤ حصن كيفا ، وهو قلعة عظيمة منوطة على دجلة بن آمد وجزيرة ابن عمر بن ديار بكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٧) .

(١٠) انظر ص ٨٢ ، وكذلك ابن الأثير (الكنز فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٥) .

للسلطان والملك العادل ، فلبسها . وطلب^(١) [الرسولان] تقرير الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل ؛ فلم يقرر بينهما صلح ؛ وخرجا من دمشق ، فأتا قبل وصولهما إلى بغداد . وخلق السلطان على جميع الساكر ، وأذن لهم في السير إلى بلادهم ، بعد ما أعطاهم شيئا كثيرا ، فساروا . وفي نصف شعبان سار المظفر تقي الدين بساكر مصر يريد العود إلى القاهرة ، وقرئت وصية سلطانية ، تصمتت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر ، وولاية (٢٠) للملك الأفضل [أكبر أبناء السلطان^(٢)] على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب ؛ وأن مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر ، ويستقر الكافلان في خبزهما وما بأيديهما ، ومن عدم من الولدين قام الأمثل من إخوته مقامه ، أو من الكافلين قام الباقي منهما مقام الآخر ، واستخلف الحاضرون من الأمراء ؛ وولى قراءة العهد بذلك القاضي المرتضى بن قريش . وسومع بهلاني البهنسا^(٣) ،

(١) قس وطلأ (٢) احطر (Lane-Poole : Saladin, Table II., in pocket) .

(٣) البهنسا مدينة بصعيد مصر الأذن غرب النيل ، وتضاف إليها كورة كبيرة ، وهي عامرة كثيرة الدخل . (باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧١ ؛ ولغزرى : اللواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨) . وهي الآن قرية صغيرة قرب بني زرار (Enc. Isl. Art. Bahansa) . والملاحى المكوس التي تنسب فوق المراح بالديار المصرية ، وفيها يقول المقرئ (اللواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٣ وما بعدها) ما نصه : " أعلم أن مال مصر في زماننا يقسم إلى قسمين : أحدهما يقال له خراسي ، والآخر يقال له هلالى . فمال الخراسي ما يؤخذ من مائة من الأراضي التي تزرع حبوا وتخلأ وتعتبوا وكهة ، وما يؤخذ من الصلاحيات مدية ، مثل السم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف . والمال الهلالى عدة أبواب ، كلها أحدثها (كذا) ولاية السوء عتيقا بعد شيء وأول من أحدث مالا سوى مال المراح بمصر أحد بن محمد بن مديبر ، بعد ستة خنين ومائتين ، فإنه كان من دعاة الناس وشياطين الكتاب . فابتدع في مصر بدعا سارت منتشرة من بعده لا تقص : فأحاط بالنطرون ، وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس ، وقرر على الكلا التي ترعاها الهائم مالا سماه المراسي ، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه الصايد ، إلى غير ذلك . فاقسم حينئذ مال مصر إلى خراسي وهلالى ، وكان الهلالى يعرف في زمانه بالمرافق والمعاون . فلما ولي الأمير أبو العباس أحد بن طولون إمارة مصر ، وأضاف إليه أمير المؤمنين القسطنطين على الله (١٠٤) المراح والثور الشامية ، ورغب وتزهد عن أدناس معاون والمرافق ، وكسب يأسطاطها في جميع أعماله ، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة ثم أعيدت الأموال الهلالية في أثناء الفتنة الفاطمية عند ما مضت ، وسارت تعرف بالمكوس . فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بملك مصر أمر يأسطاط =

وهو ألف ومائتا دينار؛ وسومج بالأنبان، وما تَقْصُرُ عن ألفي دينار؛ ومنع من ضمان المزر والخر واللاهي، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان بديار مصر. وخرج السلطان من دمشق يريد البلاد الشرقية؛ فأقام بحماة بقية السنة، وكان قوله عليها في عشرين ذي القعدة.

وفي هذه السنة أقيمت خطبة في سابع المحرم عند قبر سارية^(١) بليخف^(٢) الجبل، في غير بنيان وبغير سكان، وتم ذلك بصحية جماعة. ثم أحدث جامع عند قبة موسك^(٣) وبقيت ستين. وبلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم. وغرقت البساتين والأصصاب، وفاضت الآبار، واعتظمت الترع^(٤)، وكثر الضرر، كما حصل في سنة أربع وأربعين وخمسة.

[وفي هذه السنة] مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، لسبع خلون من رجب. ومات [يُلتَازِي] [بن نجم الدين] بن أبي^(١) بن تَمَرُشَاش بن يُلْتَازِي بن أرتقي قطب الدين^(٢)، صاحب ماردِين^(٣)، في جمادى الآخرة. وفيها مات

= مكوس مصر والقاهرة، فكتب عنه القاضي العادل مرسوما بذلك، وكان حله ذلك في كل سنة مائة ألف دينار (١٠٥) وذكر ابن أبي طي أن الذي أسقطه السلطان صلاح الدين، والذي سلبه به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسة، سلبه عن نيف (كذا) ألف ألف دينار وألف ألف أردب، سابع بذلك وأعطاه من الدواوين، وأسقطه عن العامين، فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد في شتاقتها انظر أيضاً (نفس المرجع، ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، والقائمشي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧١).

(١) بغير صيد في س. وهذا القوم من مرارات القاهرة وشاهدنا وهو بالقراة، وصاحبه ساريه ابن أبي زعيم البستاني، وهو الذي ناداه الخليفة عمر بن الخطاب على المنبر "ناسارة الجبل!". (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨٨، ج ٣، ص ٦٤٥، ج ٤، ص ٢٤٧، ٤٨٥، ٥٥٥).

(٢) أي قاعدة الجبل. (محيط المحيط).

(٣) خير صيد في س. ولعله خير موسك بن الخيل بن رعيم الأكراد البجعية. (املأ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤١٦). وهذا وقد كان لسلطان صلاح الدين ابن خال اسمه عز الدين موسك، متقن قطرة الوسك بالقاهرة، غير أنه مات بدمشق سنة ٥٨٤ هـ. (القرنبي: الواضع والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٧). (انظر ص ١٣). (٤) في س القراع.

(٥) في س التي. رجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٣٣٥).

(٦) ضبطت هذه الأسماء على منطوقها في (Blochet: Op. cit., p. 166).

(٧) قلعة حصينة تقع جبل الجزيرة، مشرفة على نصيب. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٠).

آفسنقر الساقى ، صهر قراجا الممام ، مجلب فى يوم الجمعة حادى عشر رجب . وفيها رسم السلطان بتقييد أولاد [الخلقية] الباسد [القاطى] ومن بقى من أقر به .

(تسعة ^(١) سنة ثمانين وخمسة) . أول المحرم يوم الاثنين ، فيه ابتدئ بالندريس فى المدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا من القاهرة . وفى خامسة توجهت القافلة بالبذل المجرى ^(٢) إلى قلعى صدر وأيلة مع قيصر والى الشرقية . وفى سابعه أقيمت الخطبة عند قبر سارية بلحف الجبل فى غير بنيان ولا سكان . وفى ثامنه وردت كتب السلطان من دمشق ، باستدعاء الساكر ، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة . وفى حادى عشره كانت فنة بين العرب الجذاميين ، فخرج عسكر إلى الشرقية . وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده ، لدعوة عملها الطواشى قراقوش ^(٣) عندقنا طرّة ^(٤) ، وعاد من الهند . وفى ثامن عشره وردت كتب السلطان من دمشق ، لاستنهاض المساكر لفزاة الكرك ، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه . فبرزت الخيام إلى بركة الجب فى عشرية وخرج من الهند الملك المظفر تقي الدين النائب بمصر . وفى ثانى عشرية ورد الخبر من ناظر قوص بفرق أربع جلاب ^(٥) ، بها ألف وثلثمائة رجل من الحجاج ، هلكوا [كلهم] . وفى خامس عشرية عاد قيصر والى الشرقية من صدر ، بعد أن أوصل القافلة إلى أيله ، وعاد بالقافلة العائدة ، وكان العدو قد نهض إليها ، ثم عاد عنها . وفى سابعه ورد الخبر بأن المؤيد سيف الإسلام ملك بلاد اليمن ، واعتقل خطاب بن متفد يزيد .

[وأهل] صفر ، فى رابعه ورد الخبر بوصول تانوقى نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، إلى المدينة النبوية ، ودفنهما بها . وكان قد حُلّ بهما إلى قوص ، وعدى بهما من بحر عذاب

(١) هنا يده هامش مكتوب على ورقتين متصلتين فى س ، بين صفحتي ٢٤ ب ، ٢٥ ا . وليس لما ورد به وجود فى ب . (٢) انظر ص ٨٣ ، ويلاحظ أن هذه الأخبار وبس ما يبعدها قد تقدم ذكره . (٣) فى س قراقوش ، وبالمشئ البارة الآتية بخط مخالف : " ذكر ابن الأمير هنا قراقوش بالفاين ، وأنه هو الذى عمر لمة الجبل ، والمؤلف يسميه قراقوش ، والله أعلم " . انظر ص ٦٠ ، حاشية ٨ .

(٤) فى س قناطره ، بنير ضبط . انظر (p. Omar Toussoun : Op. cit. T. I.I., p. 190) .

(٥) نوع من سفن التجارة خاس بالبحر الأحمر ، ومفرده جلبة . (Dozy : Supp. Dict. A r.) .

إلى المدينة ، وكان سيرهما في أوّل السنة الماضية . وفي سادسه سار الأسطول ، وهو أحد وثلاثون شينياً^(١) وحراقة . وفي سابعه جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة ، سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة [من مسائل] الكلام في مجلس وعظه . ورافقوا إلى [الملك] المظفر بمخيمه ، فرسم رفع كراسي وعط القريقين ؛ وقد أطلق كل من القريقين لسانه في الآخر . وفي ثامنه وقع مطر عظيم ، ورعد قاصف وريح عاصف ، وبرق خاطف وبرد كثير كبير^(٢) . غل بالمسكر للبرز بلاء شديد ، وعطبت الثمار ، وتفسخت الأشجار ، وانقر النخل ، وعت الجماعة الثمار والزروع ، التي لم تحصد وما حصد ، وتلفت اللقائن . وفي عاشره عقد مجلس لأصحاب الدواوين [للمفاوضة ما بين] ابن شكرو ابن عثمان : فنسلم ابن عثمان الدواوين ، بعد أن أخذ خطه زيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع ؛ ثم صرف بان شكر في ثالث عشره . [وأهل] شهر ربيع الأول . في ثاني عشره سار المظفر تقي الدين من بركة الحب ، يريد السلطان بدمشق . وعاد ابن السلال إلى القاهرة نائباً عن المظفر . وعاد ابن شكر ناظر الدواوين [إلى القاهرة ؟] في خامس عشره ، ومعه ولد المظفر ، فخرج الناس لتلقيه . [وأهل] شهر ربيع الآخر . في عشريه قدم المظفر على السلطان [صلاح الدين] بالقرب من الكرك .

[و] في عاشر جمادى الآخرة أخذت أهل بليس [بلدتهم] في ليلة واحدة ، وقد سمعوا بمسير الفرنج إلى فاقوس . واضطرب الناس بالقاهرة ومصر والجيرة ، فسميت الهبة الكدابة . وقدم الخبير بأن سيف الإسلام قتل خطاب بن متقذ ومثّل^(٣) به ، واستصفي أمواله باليمن ، وقبض على أزمه . وكان المسكر عقيب الهبة خرج إلى بليس ، فنهبا النملان ، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيراً ، وساقوا أغناماً لا تدخل تحت حصر .

وفي رابع عشري شعبان قدم المظفر تقي الدين إلى القاهرة بالمسكر ، بعد شدة لحقتهم في طريقهم . وفي ذى القعدة ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلاثة وربعين

(٢) في س. وبرد كبير كبير .

(١) في س. شين .

(٣) في س. وحله .

حصناً ، وقدم أهل خطاب بن منقذ وأخوه محمد إلى مصر . وخرج تقي الدين [ابن] أخى^(١) صلاح الدين إلى البحيرة ليكشف أحوالها . و [كان] معه كاتبه الرضى بن سلامة ، فاستدفع من الدواوين حساباتهم ، وسار بها على بفل محبة تقي الدين ، فأرسل الله ساعة من السماء أحرقت البفل وما عليه من الحساب ، وعاد تقي الدين^(٢) .

[سنة إحدى وثمانين وخمسمائة] . وأعلنت سنة إحدى وثمانين ، فزار السلطان وبلغ حران في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر ، فقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبى^(٣) ، واستولى عليها . ورحل عنها في ثانى ربيع الأول ، فوافته رسل الملك قلع^(٤) أرسلان بن مسعود [السلجوقى] صاحب الروم ، باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده ، إن لم يعد^(٥) عن الموصل وماردين . فسار يريد الموصل ، وكاتب الخليفة بما غنم عليه من حصر الموصل ، ونزل عليها وحاصر أهلها وقَاتَلَهُمْ . فورد الخبير عوت شاه^(٦) أرمن بن سقان [الثانى] ناصر الدين محمد بن إبراهيم] صاحب خِلاط^(٧) في تاسع ربيع الأول ، فرحل [صلاح الدين] فى آخره يريد خلاط ، ثم عاد ولم يملكها ، [وسار] إلى مِيفَارِيقِينَ^(٨) فقتلها . ثم عاد إلى الموصل ، ونزل على دجلة فى شعبان ، وأقام إلى رمضان ، ففرض مرساً مخوفاً ، فرحل فى آخر رمضان ، وهو لما به وقد أبس منه . فنزل بجران ، ففقر فيها الصلح بينه وبين الموصل فى يوم عرفة ، وخطب

(١) فى س. أخو ، وليس بالمراجع المتداولة فى هذه الموائى ما يشير إلى أخ صلاح الدين بهذا القاب .

(٢) آخر المائش للشار إليه صفحة ٧٨ حاشية ١ .

(٣) بغير ضبط فى س ، انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤١) .

(٤) فى س قلع . (٥) فى س ضم الياء وفتح اللام ، والطاهر أن المألوف عكس موضع المركبتين خطأ . (٦) فى س شاهر من بن سقان . وقد أصيب ما بين الفرسين من

(Blochet : Op. cit. p. 166) . انظر أيضاً ابن الأثير (الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٨) .

(٧) بغير ضبط فى س ، ومى قصة أرمينية الوسطى . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٩) .

و . 2. (Blochet : Op. cit. p. 166N. 2) . (٨) بغير ضبط فى س ، ومى من مدن حيار بكر . (ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٠٣ — ٧٠٨) .

له بجميع بلاد الموصل ، وقطعت خطبة السلجوقية منها ؛ وخطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرمنية ، وضربت السكة باسمه ، وأمر بالصدقات جميع ممالكه .

[و] في ^(١) يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول حدث بمصر زلزلة ، وفي مثل تلك الساعة كانت [زلزلة] في بعلبك أيضا . وفيه كانت بالإسكندرية فتنة بين العوام ، نهوا فيها الراكب الرومي ، فقبض على عدة منهم ومثل بهم ^(٢) .

ومات [في هذه السنة] الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حصص ، ليلة عيد الأضحي . واتهم السلطان بأنه سمه : فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده . ومات غر الدولة إبراهيم بن محمد بن (٢٥ ب) إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسواني ابن أخت الرشيد وللهذب ابن الزبير فيها . وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان ، ثم كتب لأخيه العادل . ومات ^(٣) سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد . ومات الأمير مالك بن باروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب ، فحمل إلى حلب ودفن بها . ومات آمنة خاتون بنت معين الدين [أنار] ، التي تزوجها السلطان [صلاح الدين] بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق ، وكانت وقتها يوم الإثنين ثالث ذى القعدة .

[و] فيها خرج المنظر [تقي الدين عمر] إلى كشف أحوال الاسكندرية . وشرع في عمل سور على مدينة مصر بالحجر ، فلم يسبق فقير ولا ضيف إلا ^(٤) خط فيه ساحة (٩) من درب الصفا إلى الشهد النفيسي ، وأتصلت الهارة في خط الخليلج إلى درب ملوخيا ^(٥) بمصر حتى بين الكومين (٩) وبحوار جامع ابن طولون والكباش ، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع يشقاف

(١) ما بين القرنين وارد بهامش الصفحة في س ، ولم يصر المؤلف كعادته إلى المكان المناسب له من التي ، وليت في ب (٣٠ ب) .

(٢) بقية تلك الوفيات واردة بهامش الصفحة في س ، وليس بالنسبة إشارة إلى مكانها المناسب منه ، هي موجودة في ب (٣٠ ب) . على أنه لا شك في وقوعها سنة ٥٨١ هـ . انظر (Enc. Isl. Art. Khāṭu . (٤) الفقرة الآتية أيضاً إلى آخر السنة ، واردة بهامش الصفحة في س ، قبل بدء كلام عن السنة التالية . وليس منها في ب (٣٠ ب) شيء .

(٥) يشير ضبط في س ، والمباركة كلها إلى علامة الاستفهام بالحق ، غير واضحة تماما .

(٦) في س للرخا . انظر للقرنزي (للاواظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٣٨) .

القَرْ^(١) والخرشف^(٢) و تراب الأرض . وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة . وفي شبان ورمضان وقع وباء بأرض مصر و [نشا] موت القبْجَة ، و [كثُر الوباء] في الدجاج أيضاً .

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . وأهلت سنة اثنتين وثمانين ، وقد أبل السلطان من مرضه ، فرجل من حران ؛ [و] نزل حلب في رابع عشر المحرم ، ومصر من حلب إلى حمص ، فرتب أمورها وأسقط المكوس منها . ودخل إلى دمشق في ثاني ربيع الأول ، وأستدعى ابنه الأفضل علياً من مصر ، لثائرة كانت بينه وبين ابن عمه المنقرقي الدين ، فقدم عليه بأهله وحشمه ، لسميع بقين من جمادى الأولى . وصُرف العادل عن حلب ، وتقرر عروشه بها الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان ، وعوض العادل الشرقية بديار مصر .

وصُرف المنقرقي الدين عمر من ديار مصر ونيايتها ، فغضب لذلك ، وعبر بأصحابه إلى الجزيرة يريد الحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى ، وأخذ بلاد الغرب وجعل ملوكه

(١) في س القند ، وببعضيط . والقند المزب - بعيد المحيط . وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) القند الحجارة الكبيرة .
(٢) في س المرشف ، ببعضيط ، والمرشف هو ما يصير مما يوقد به على مياه الحمامات من الأوزال وغيرها . هذا ومن أخطأ القاهرة خط المرشف ، بين حارة برجوان والكافوري ، ويتوصل إليه من بين النصيرين ، ويدخله فيؤنيرف بقبر المرشف . وإعاسى هذا الخط بالمرشف لأن الحليفة المز القاطنى ببى فيه الاصطيلات من هذه السادة المتحصنة . (المقرزى : الواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٧ . (٣) العبارة الآتية واردة في هامش على ورقة منفصلة بين الصحتين ٢٥ ب ، ٢٦ أ : " كان إقطاع المنقرقي الدين عمر البحيرة جميعاً وهي بأربعمائة ألف دينار ، والعيوم بثلثائة ألف دينار ، وفيها ويايات وبوش وهي يسير ألف دينار ؟ ثم عوض عن بوش بسمند والرواحات ، وهي بسير ألف دينار ، وقوة والزراطين وهي بأربعين ألف دينار ، وحرف رمسيس وهو بثلثين ألف دينار ، والمزب في كل شهر على الإسكندرية ألف وخمسمائة دينار " . ويلاحظ أن مدلول هذه الأقسام الإدارية أيام الأيوبيين ليس كمدلولها الحال ، فقد تغير حكم بعضها منذ عصر المماليك البحرية ، وإضافته إلى غيره من الأعمال مع بقاء أسمائه ، ودرس اسم بعضها الآخر ولى : فسمند مثلاً كانت كورة بقاتها ، ثم أضيفت إلى عمل القرية ؛ وكورة الزراطين كانت تشمل ما لجور قاعة الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط ، فضلاً عن بعض الأراضى بالبر الشرق من فرع النيل ، وكانت حاضرتها قوة . وكان بلى كورة الزراطين بالجهات الغربية البحرية ، ثم حوف رمسيس . راجع أفلقشنى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ - ٤١٠ ؛ و ٢ و ١ ، T. I. Op. cit. P. Omar Toussoun) .
(٤) في س بها الدين .

بورى^(١) في مقدمته . فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه . فتبعه الأكابر عليه مشاقته^(٢) السلطان وحذروه ، فأجاب وتوجه إلى دمشق ، فوصلها ثالث عشرى شعبان . واستمر على ما بيده من حاة والمرة ومنتجع وأضيف إليه ميلاقرقين ؛ وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه من مصر ، ما خلا زين الدين بورى^(٣) ملوكه ، فإنه سار إلى المغرب ، وذلك هناك مواضع [كثيرة] . ثم قصده صاحب المغرب وأسرده ، ثم أطلقه وقدمه . ووصل الأفضل على بن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى ، وهو أول قدومه إليها . وسار الملك العزيز عثمان إلى تلك مصر ومعه عمه العادل أتابكا . وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشرى صفر ، فدخل إلى القاهرة في خامس رمضان .

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس ، فالتجأ القومص^(٤) إلى السلطان ، وصار يناصحه ؛ واستولى الإبرنس^(٥) ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة ، فأسر من فيها ، وامتنع من إجابة السلطان إلى إطلاعهم ، فتجهز [السلطان] لمحاربه ، وكانت الأطراف بالمسير لقتاله . وفيها مات بمصر عبد الله بن أبي الوحش برى بن عبد الجبار بن النحوى ، ليلة السبت ثلاث بقين من شوال ، ومولده [بدمشق] في خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

[سنة ثلاث وثمانين وخمسائة] وأهلت سنة ثلاث وثمانين ، وقد برز السلطان من دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول المحرم ، وأقربانه الأفضل على رأس^(٦) الماء ، ونزل بصرى^(٧) ،

(١) في س يوزنه بغير ضبط ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 169, N. 6.) . هذا واملاح الدين أبح اسمه تاج الملوك بورى . (Jane-Poole: Saladin, Table II, in pocket) .
(٢) في س " فتبع الأكابر عليه مشاقته " . (٣) في س يوزبه .

(٤) هو الكونت وليمون صاحب طرابلس الذى تقدم ذكره . (انظر س ٥٩ حاشية ٢) .

(٥) هو الأمير أرتو صاحب الكرك الذى تقدم ذكره . (انظر س ٦٤ حاشية ٥) .

(٦) بغير ضبط في س ، واسمه كما جاء في (Enc. Isl. Art. Ibn Barri) أبو محمد عبد الله برى بن عبد الجبار ابن برى المقدسى المصرى .

(٧) بغير ضبط في س ، واسمها أيضاً الديلى . (O. Demombynes : Op. cit. p. 244. N. 1) .

(٨) بغير ضبط في س ، وموقعها بالنام من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٩ ، ص ٦٥٤) .

فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا في آخر صفر . فسار إلى الكرك ، في اثني عشر ألف فارس ، ونازلها وقطع أشجارها ؛ ثم قصد الشَّوْبَك^(١) ، فقبل بها [مثل] ذلك ، وخرج الحاجب (١٢٦) لؤلؤ على الأسطول من مصر ، وهو خمسة عشر شينياً ، ليسير إلى الإسكندرية ، وخرج العادل من القاهرة في سابع المحرم إلى بركة الجب ، وسار إلى الكرك ، فتر على أيلة ، والتقى مع السلطان على القَرَبَتَيْنِ^(٢) ، وعاد إلى الكرك ، فنازلاها في ربيع الأول . وضابق [السلطان] أهلها ، ثم رحل عنها ، ونازل طبرية ؛ فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفاً بأرض عكا ، ورفضوا صليب الصليوت^(٣) . فافتتح السلطان طبرية عنوة في ثالث عشر ربيع الآخر ، وغاظ ذلك الفرنج وتجمعوا ، فسار إليهم السلطان ، وكانت وقعة حطين^(٤) ، التي نصر الله فيها دينه ، في يوم السبت رابع عشره . وانهمز الفرنج بعد عدة وقائع ، وأخذ المسلمون صليب الصليوت ، وأسروا الإبرنى أرناط صاحب الكرك والشوبك ، وعدة ملوك [آخرين] ، وقتل وأسر [من سائر^(٥) الفرنج] ما لا يعد كثرة ، ثم قُدِّم الأبرنى [أرناط^(٦)] ، وضرب السلطان عنقه بيده ، وقتل جميع من عنده من الفرنج الدَّلاوية والإسبتارية^(٧) . ورحل [السلطان] إلى عكا ، فنازلها سلع ربيع الآخر ، ومعه عالم عظيم .

(١) بير صبط في س ، وهي قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمال وأيلة والقرم قرب الكرك .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ؛ أطل أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 472. N. 1) .
(٢) بير صبط في س ، وهي بلدة كبيرة من أعمال حمص ، وتدعى حوارين ، وبينها وبين حمص مرسطان .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٨) .

(٣) جاء في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٥٤) أن صليب الصليوت هو الصليب الأعظم عند المسيحيين ، وأنهم يسمونه بهذا الاسم لأن " فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام في رحمهم " . ولهذا الصليب أخبار كثيرة منها ، فصلا عما سيرد فيها على ، أنه نقل إلى جزيرة قبرص ، بعد خروج الصليبيين من الشام ، ثم استولى عليه المسلمون عند فتحهم تلك الجزيرة سنة ١٢٦٦ م على أنه بق قبرص ، وركاه هناك أحد الرحالة الأوربيين سنة ١٤٨٨ م . راجع (Zinda : Maml. Conquest of Cyprus, p. 102. N. 89) (٤) بير صبط في س ، وهي قرية بالشام بين أرسوف وقيصرية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١) .

(٥) في س منهم . (٦) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 173. N. 1) وصف مسهب لقتل هذا الأمير . وقد ذكر الكاتب الإنجليزي (Sir Walter Scott) في روايته (Talisman) تفاصيل تلك الحادثة . (٧) استثنى صلاح الدين من القتل واحداً فقط من رجال هاتين الحيتين الدينيين ، وهو (Gerard de Ridfort) رئيس الناقوية . (King : Knights Hospitallers. pp. 128 129) .

قال العلامة عبد العلي بن يوسف البغدادي : « كان السوق النسي في عسكر السلطان على عكا عظيما ، ذامساحة فسيحة ، فيه مائة وأربعون دكانا بيطار . واعدت عند طبايح واحد ثمانيا وعشرين قدرا ، كل قدر تسع^(١) رأس غنم . وكنت أحفظ عدد الدكاكين ، لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق ، وأظنها سبعة آلاف دكان ، وليست مثل دكاكين المدينة ، بل دكان واحد مثل مائة دكان ، لأن الحوائج في الأعدال والمجاولقات ، ويقال إن السكر أننت منزلتهم لطول المقام ، فلما ارتحلوا غير بعيد ، وزن ستمائة أجرة نقل متاعه سبعين دينارا ، وأما سوق البزّ العتيق والجديد ، فشئ بهر العقل . وكان في السكر أكثر من ألف حمام ، وكان أكثر ما يتولاها الفاربة ، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة ويحفرن ذراعين فيطلع الماء ، ويأخذون الطين فيملون منه حوضا وحائطا ، ويسرونه بحطب وحصير ، ويقطعون حطباً من البساتين التي حولهم ، ويحتمون الماء في قنور ، وصار حماما ينسل الرجل رأسه بدهم وأكثر . »

فلم يزل [صلاح الدين] على محاصرة^(٢) عكا إلى [أن] تسلمها بالأمان ، في ثاني جمادى الأولى ، واستولى على ما فيها من الأموال والبضائع ، وأطلق ما كان بها من المسلمين مأسورا ، وكأوا أربعة آلاف نفس . ورتب في كنيستها العظمى منبرا ، وأقيم فيها الجمعة ، وأقطع عكا لابيه الأفضل علي ، وأعطى جميع ما للدواية من إقطاع وضياع للفقير ضياء الدين عيسى الهكاري . وسار إليه بمسار مصر إلى مجدليا^(٣) ، فحصره وفتحته وغنم ما فيه . وافتتحت عدة حصون حول عكا . وهي الناشرة ونيارية وحيفا وصفورية ومطليا^(٤) والشقيف والتوت^(٥)

(١) هذه السكاة مترحة في (Blochet : Op. cit. p 174) إلى (newl) أي الرقم العددي تسعة

(٢) بغير ضبط في س ، ويطلق على الثياب والأمتعة والأسلحة . (محيط المحيط) .

(٣) في س " فلم يزل على محاصرتها " . (٤) في س " مجدليا " بغير ضبط ، انظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٨) ، وبوقتها قرب الرملة . انظر أيضا (Bolchet : Op. cit. p 176. N. 2) . (٥) في س " مطليا " بغير ضبط ، وهي من نواحي الأردن بالقام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٧٨) . (٦) في س " التوت " بغير ضبط ، وهي قرية بالشام (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) .

والطُّور^(١)، ونهب ما فيها، وسييت النساء والأطفال، قدّموا بما سدّ الفضاء، وأخذت سَبْطِيَّة^(٢) ونابلس، وكتب [السلطان] للخليفة بخرق فتح هذه البلاد^(٣). ونزل العادل على يافا، حتى ملكها عنوة ونهبها، وسبى الحرّيم وأسر الرجال. ونازل للمفرّق تقي الدين عر تَبِين^(٤)، وأدركه السلطان فوصل إليها في حادى عشر جمادى [الأولى]، وما زال محاصراً لما حتى تسلمها في ثامن عشر بأمان؛ وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم [السلطان] العدد والدواب والغنائم. وسار فأخذ صَرْخَد^(٥) بنير قتال، ثم رحل إلى صَيْدَاء^(٦)، ففر أهلها وتركوها، فسلمها السلطان في حادى عشر به (٢٦ ب). ونازل بيروت وضابقتها ثمانية أيام، إلى أن طلب أهلها الأمان، فأجابهم واستولى عليها في تاسع عشر به. وأخذ حَبِيل^(٧) فكان من استنقذ الله من المسلمين للأسودين عند الفرنج، في هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وأسر للبحون من الفرنج مائة ألف أسير.

وهلك [في هذه السنة] القومص صاحب طرابلس. وقدم للرئيس^(٨) — أكبر طواغيت الفرنج — إلى صور، وقد اجتمع بها أم من الفرنج؛ فملك عليهم، وحصن البلد. فسار السلطان بعد فتح بيروت، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم؛ واجتمع بأخيه العادل، ونازلاً عَمْتَلان^(٩) في سادس عشر جمادى الآخرة، ونصبا للجنايئق عليها. ووقع الجدى في القتال،

(١) مير صبط في س، وهو جبل على بعد أربعة فراسخ من طبرية. راجع (Blochet : Op. cit. p. 176. N. 9) (٢) بنير صبط في س، وهي من أعمال نابلس. راجع (Blochet : Op. cit. p. 176. N. 11) (٣) انظر في فُس المرجع والمصفحة (2. N)، ترجمة لكتاب أرسله صلاح الدين إلى حاكم تَبِين بعد وفاة حلبين. (٤) في س تبين بنير صبط، وهي بلدة صغيرة بين دمشق

وصور، وتقع في جبال بي عاصر اللطلة على بلد بابياس. (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٤)، وراجع أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 177. N. 1). (٥) بنير صبط في س في الوضحي، وصرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وصدا مدينة على ساحل الشام من أعمال دمشق أيضاً. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠، ٤٣٩). (٧) بنير صبط في س، وهي من أعمال دمشق، على بعد أربعة فراسخ من بيروت. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣).

(٨) يقصد المؤلفات (Conrad, Marquis de Montferrat) الذي وصل الشام من أوروبا قبل سقوط عكا بثلاثة أيام. (Stevenson : Crusaders In The East. p. 251) (٩) توجد في (Blochet : Op. cit. p. 179. N. 1) تفاصيل مهمة عن أخذ السلطان ذلك الحصن منها أن ملك بيت المقدس ورئيس الدلاوية نصحا لأهل البلد من الفرنج بالتسليم سرّياً، فلم يفتحوا حتى وقع الجدى في القتال.

إلى أن تسلّم [السلطان] البلد في سلخه، وخرج منه القرنج إلى بيت القدس بعد أن ملكوه خمسا وثلاثين سنة. وتسلم [السلطان] حصون الداوية: وهي غزة والنطرون^(١) وبيت جبريل^(٢). وقدم عليه بظاهر عقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، و[وافته^(٣)] الأساطيل [و] عليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كُست، قبل أخذ عقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب، في يوم الجمعة ثامن عشرية.

وسار السلطان — وقد اجتمعت إليه الساكر — يريد فزع بيت القدس، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود القرنج وجميعهم^(٤). فنصب المجانيق، واقتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين. وأيد الله بنصره للمسلمين، حتى تمكنوا من السور وقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد. فسأل القرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من القرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنيا أو فقيرا، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار. وتسلم المسلمون القدس، يوم الجمعة سابع عشر رجب، وأخرج من فيه من القرنج، وكأوا نحو الستين ألفا، بعد ما أسر [منهم] نحو ستة عشر^(٥) ألفا، ما بين رجل وامرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه وقبض [السلطان] من مال المفاداة^(٦) ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة.

(١) بير صيط في س، وهو حصن كان لداوية قرب الرملة بجنوب فلسطين، واسمه أيضا الأطرون. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٠؛ واطل أيضا (Rec. Hist. Or. I, pp. 57, 697).
(٢) بير صيط في س، وهو بلد بين بيت القدس وغزة، ونسب أيضا بيت جبرين. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٦).

(٣) أنصف ما بين القوسين لتوضيح، وبعد مهاجمة أبي شامة (كتاب الروستين، ص ٣١٦، في (Rec. Hist. Or. IV) (٤) في س "حايهم".

(٥) في س ألف. (٦) توجد في (2) Blochet: O. p. cit. p. 179. Na. 1, 2) نبذة طويلة عن أخذ صلاح الدين لبيت المقدس، وهي من كتاب سير الأباء البطارقة، وبها تفصيلات أخرى نادرة. (٧) قبالة هذه السطور في ب (ص ١٢٢) العبارة الآتية: Les Mahometans prennent Jerusalem sur les: "france" و يوجد في نسخة ب كثير من أشتال هذه الحاشية بالفرنسية، ولا سيما قبالة أسماء كبار الصليبيين، وربما كتبها للمستشرق (Quatremère) أو (Blochet) بعده، حين ترجم كل منهما جزءا من السلوك إلى الفرنسية.

والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور ، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس ، فاتوه رجالا وركبانا من كل جهة لزيارته ، حتى (١٢٧) كان من الجمع ما لا ينحصر . فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان ، وخطب القاضي محيى الدين بن الزكي بالسواد خطبة بليغة ، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين ؛ وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجما ، فوعظ الناس . وأمر السلطان بترقيم الحراب المرمى القديم ؛ وتُحَل منبر^(١) مليح من حلب ، ونصب بالمسجد الأقصى ، وأزيل^(٢) ما هناك من آثار النصرانية ؛ وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد ، وبخرت وفرشت ؛ ورتب في المسجد من يقوم بوطاقه ، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية . وغُلقت كنيسة قامة^(٣) ، ثم فُتحت ، وقُرّر على من يرد إليها من الفرنج قطعة يؤذيها . وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح ، وإلى سائر الأطراف . ورحل السلطان عن القدس ثلثين من شعبان يريد عكا ؛ وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به . وسار المادل مع السلطان ، فنزلا على عكا أول شهر رمضان ؛ ثم رحل [السلطان] منها ؛ ونزل على صور في ناسه ، وكانت حصينة ، وقد استمدت الفرنج فيها ، فتلاحقت العساكر بالسلطان ، ونصب على صور عدة من المجانيق وحامرها . واستدعى [السلطان] الأسطول من مصر ، فقدم عليه عشر شوانى ، وصار القتال في البر والبحر ، فأخذ الفرنج خمس شوانى . ووردت مكتابة الخليفة على السلطان ، وفيها غلظة وإنكار أمور ، فأجاب بالاعتذار ، ورحل عن صور في آخر شوال . وعادت العساكر إلى بلادها ، وأقام السلطان بعكا ، وسار المادل

(١) لما أمر صلاح الدين بمل من المسجد الأقصى ، قيل له : " إن نور الدين عموداً كان قد عمار بجلب منيراً ، أمر الصاع بالبالنة في تحسينه وإتقانه ، وقال هذا قد عملناه ليصب بالبيت المقدس ، فد النصارى في عدة سنين ، لم يسل في الإسلام مثله ، فأمر [صلاح الدين] بإحضاره ، فجل من . ونصب بالقدس " . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ ج ١١ ، ص ٣٦٥) .

(٢) في س " وأزال " .

(٣) أطلق المسلمون هذا الاسم على كنيسة القيامة بيت المقدس منذ عصر صدر الإسلام : Hrange :

إلى مصر ، فطرق الفريخ قطة كوكب ، وقلعوا بها جماعة من المسلمين ، ونهبوا ما كان بها .
وأنته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم ^(١) والعراق وخراسان بفتح بيت القدس .
وفي هذه السنة ، أعقبت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ^(٢) ، اجتمع الشمس والقمر والرياح
والزهرة وعطارد والمشتري وزحل و [أظفار ^(٣)] الذئب ، في برج الميزان ، أربع عشرة ساعة ،
فاجتمع المنجمون كلهم ، وحكوا يكون طوفان الرياح ، وأنه كأن وواقع ولا بد ، فتقلب
الأرض من أولها إلى آخرها ، وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات ، ولا شجرة ولا جدار
إلا سقط . وكان ^(٤) معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم ^(٥) . وأرجفوا بأنها هي القيامة ، فأنشد قوم
السكوف والمناظر في الجبال ، وبالتوا في الاحتداد لمول ذلك اليوم . وقال القوم : « كعب
القدماء كلها أحوالت على هذا الاجتماع ، وإن فيه دمار الدنيا » . وكان ذلك في مسرى ،
وفي جمادى الآخرة للسابع والمشرين منه ، [وهو] يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم
الأربعاء فلم تهب ريح ، ولا تحرك نيل مصر ، وهو في زيادته في مسرى ؛ ومن العادة أن
تهب الرياح من مصر إلى الشام في وجه الماء ، ليقف ياذن الله ، فتكون فيه الأمواج .
فلم يحدث تلك الليلة ، ولا ثاني يوم ولا قبلها بيوم ، شيء من ذلك . وطلع الناس بالسرّج
الموقدة على السلوحات لاختبار الهواء ، فلم تتحرك نار البتة . وكان أشد الناس إرجافاً بهذا
السكواك الروم ، فأكذبهم الله ، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

(١) بعد فتح بيت القدس ، أرسل صلاح الدين إلى إمبراطور الدولة البيزنطية إسحاق الثاني بشار
ليخبره بما تم على يديه من الفتح ، وليلزم إليه مائة وتسعين رجلاً من رعايا الدولة البيزنطية ، كانوا قد وقعوا
في يده أثناء حروبه ضد الصليبيين . وتنع عن هذا البحث أن عقد الإمبراطور والسلطان حلفاً سنة ٥٨٠ هـ
(١١٨٩) ، كان من آثاره عداء عوامل غرب أوروبا للدولة البيزنطية . Blochet : Op. cit. p. 183.
(١) N. وراجع أيضاً (603 , 488 pp. Camb. Med. Hist. iv.)

(٢) متماثل جديد من أمثلة الخلاف بين النسختين س ، ب إذ اكتفى كاتب النسخة الثانية (٣٢ ب)
بقوله " وفيها " بدل هذه العبارة كلها (٣) في س الذئب ، وأظفار الذئب كواكب صناد
قدام الذئبين ، وما كوكبان أيضاً ، بين الموائد والفرقدين . (محيط المحيط) .

(٤) هـ ، هذه العبارة مترجمة في (184 p. Blochet : Op. cit.) إلى : 'ce fut surtout de Roum'
(ar-Roum) qui fut maltraité par ce phénomène surnaturel . . . "

فأخذ كبارهم وكسرم ، وملأ الأرض من الأسرى شرقاً وغرباً ، وأخذ القدس . وأصاب جماعة ممن كان يُرُخف بهذه الرياح آفات ، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم . وفيها خرج في سادس عشر جادى الآخرة قتل شامى إلى مصر ، وهو أول قتل ملك بلاد الساحل ، بلا حق يدفعه ولا مكس يؤديه . وفيها سار قراقوش التتوى ، واستولى على القيروان ، وحارب به ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه ، وأقيمت الخطبة في ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين . فجمع ابن عبد المؤمن ، وواقع قراقوش وهزمه ، ففر قراقوش في البرية .

وفيها أمر [السلطان] بأن تبطل النقود التي وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها ، وأن يكون ما يضرب من الديناري ذهباً مصرياً ، ومن الدرهم الفضة^(١) الخالصة ، وبطل الدرهم السود لا يستفاد الناس بالميزان^(٢) ، ففسر الناس ذلك .

(٢٧ ب) سنة أربع وثمانين [وخمسمائة] . فيها نازل السلطان حصن كوكب أياماً ، ولم ينل منها شيئاً ، فأقام الأمير صارم الدين قايمز النجوى في خمسمائة فارس عليها ، ووكّل بصغد الأمير طغرل انغاز نذار في خمسمائة فارس ، وبعث إلى السكرت والشوبك الأمير سعد الدين كشيبة^(٣) الأسدى . واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى من مصر ، فاستخلف على عمارة سور القاهرة ، وقدم والسلطان على كوكب ؛ فندبه لمارة عكا ، فشرع في تجديد سورها وتعلية أبراجها ، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والدواب .

وسار السلطان يريد دمشق ، فدخلها سادس ربيع الأول ، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام ، كسر فيها الفرنج ، وفتح بيت المقدس . فلزم الجلوس في دار

(١) الدرهم الفضة هي النقرة (انظر ص ٤٥ ، حاشية ١) . أما الدرهم السوداء فأساء على غير مسيات ، كدينار الأسطول والدينار الجبىنى (انظر ص ٤٥ حاشية ٣) . وكل درهم منها معتبر في الرقة بتلك يوم نقرة (التفتنى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٤٣) .
(٢) في س بالميزان بكسر الباء .
(٣) في س كشيبة . انظر ص ٨٠ ، حاشية ١ .

العدل بحضرة القضاة ، وكتب إلى الجهات باستدعاء الأجناد للجهاد . وخرج بعد خمسة أيام على بعلبك ، فوافاه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار على أعمال حصص ، فنزلا على بحيرة قُدُس^(١) . وبعث [السلطان] ابنه الظاهر وابن أخيه المظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية ، وسار أول ربيع الآخر وشن الغارات على صافيتا وتلك الحصون [المجاورة] . وسار في ربيع جادى الأولى على تمنية^(٢) لقاء العدو ، فأخذ أنطرسوس^(٣) ، واستولى على ما بها من الخاتم ، وخرب سورها وبيعتها ، وكانت من أعظم البيع ، ووضع النار في البلد فأحرق جميعه . وسار بريد جبلة^(٤) ، فنازلها لاثنتي عشرة بقية منه ، وتسلمها بغير حرب . ثم أخذ اللاذقية بعد قتال ، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة . وسار إلى صهيون^(٥) ، فقاتل أهلها إلى أن ملكها ، في ثاني جادى الآخرة . واستولى على [قلعة] الشفر وبكاس^(٦) وعدة حصون ، وأمر من فيها ، وغنم شيئا كثيرا . فلما فتح بفراس^(٧) ، بعث الإبرس ملك^(٨) أنطاكية يسأل الصلح ، فأجيب إلى ذلك ، على شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين ، وم ألف إنسان . وعاد صاحب سنجار إلى بلده ؛ وسار السلطان إلى حلب ، فأقام بها ثم سار

(١) ورد هذا الاسم (Blechet - Op. cit. p. 187. N. 1) بهذا المصطلح ، ولكن ياقوت في

(معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٠) صبطه بفتح القاف والهمزة ، ومن هذه البحيرة يخرج نهر الناصي .

(٢) لم يرد ذكر هذا البلد في معجم البلدان ياقوت ، وهو قرب بلدة عرقة (بكسر الهمزة) آخر

عمل دمشق . شرق طرابلس . انظر (G. Demombynes: Op. cit. p. 117. N. 2)

(٣) كذا في س بصر صبط ، وهي صحبة لمة ، على أن تمنية أكثر شيوعا . (محيط المحيط) .

(٤) بغير ضبط في س ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الشامية الساحلية . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨) . (٥) بغير ضبط في س ، وهي قلعة بأسفل الشام ، من أعمال

حلب قرب اللاذقية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٦) بغير ضبط في س ، وهي حصن من أعمال حمص ، قرب ساحل البحر . (ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٣ ، ص ٤٣٨) .

(٧) بغير ضبط في س ، وهما قلعان حمصيتان قرب أنطاكية ، على رأس جبلين بينهما واد كالحمدى .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٠٤ ح ٣ ، ص ٣-٣) .

(٨) بغير ضبط في س ، وهي مدينة في لواء جبل السكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩٣ - ٦٩٤) .

(٩) كان أمير أنطاكية في ذلك الوقت (Boémond III) (Rec. Hist. Or. III, Index) .

عنها ، ودخل إلى دمشق في آخر شعبان . وما زال كشيبة^(١) محاصرا للكرك حتى تسلم قلعتها ،
ومعها الشوبك والسلم^(٢) ، وعدة حصون هناك ، في رمضان . فلما وردت البشري بذلك
على السلطان سار من دمشق ، ونازل صفد حتى ملك قلعتها [بالأمان^(٣)] ، في رابع [عشر
شوال ، ولحق من كان فيها من الفرنج [بصور . ثم سار^(٤) إلى كوكب] وضابقتها حتى
تسلمها ، في نصف ذي القعدة (١٢٨) بأمان ، وأرسل أهلها إلى صور . فكثرت بها جموع
الفرنج ، وكاتبوا إفرنج صقلية والأندلس ، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بغير هذه
الفتوح ، ورحل فنزل في حمراء بيسان .

وفيها نار بالقاهرة اثنا عشر رجلا من الشيعة في الليل ، ونادوا : « يال على ! يال على ! »
وسلكوا الدروب وهم يتنادون كذلك ، فلما منهم أن رعية البلد يلبثون دعوتهم ، ويقومون
في إعادة الدولة الفاطمية ، فيخرجون من في الحبوس ، ويملكون البلد . فلما لم يحجم أحد
تفرقوا .

وسار السلطان إلى القدس ، فخل به في ثامن ذي الحجة ، وسار بعد التحر إلى عسقلان ؛
وجيز أخاه العادل إلى مصر لمأخذة الملك العزيز ، وعوضه بالكرك عن عسقلان ، وكان قد
وهبها له . ثم نزل بمسكا .

[سنة خمس وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة خمس وثمانين ، فسار السلطان
عن عكا ، ودخل دمشق أول صفر ، فورد عليه في ثاني عشره ضياء الدين عبد الوهاب
ابن سكيته ، رسول الخليفة الناصر ، بالخطبة لأبنته ولي العهد ، عدة الدنيا والدين أبي نصر
محمد ، فأقيمت له . وسُجّر الرسول ، ومعه ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهزوري ؛ وبث
معه بهدايا وتحف وأسارى من الفرنج للخليفة ، ومعه تاج ملك الفرنج والصليب الذي كان

(١) في س كشبا . (٢) بئر خبط في س ، وهو حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت
القدس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٧) . (٣) ما بين الأقواس موجود في ب
(٣٢ ب) ، ولكنه في س محبوب بوردقة ملصوقة فوقه .

فوق صخرة بيت القدس ، وأشياء كثيرة . فدفن الصليب تحت حبة باب الثَّوْبِي [وهو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ^(١)] ، وديس عليه ، وكان من نحاس مطلي بالذهب .

وخرج السلطان من دمشق في ثالث ربيع الأول ، ونازل شقيف أرنون وهو منزعج ، لانهضاء المدينة مع صاحب أنطاكية ، ولا جتماع الفرنج بصور ، واتصال الأمداد بهم . فكانت للمسلمين من الفرنج في بلادهم الساحلية عدّة وقائع ، قتل فيها من الفريقين عدّة ؛ وكثر القتل في المسلمين ، واشتدّت نكابة الفرنج فيهم . فرحل السلطان إلى عكا ، وقد سبقه الفرنج ونزلوا عليها . ونزل السلطان بمرج عكا ، وصار محاصراً للفرنج ، والفرنج محاصرين للبلد . وتلاحقت به الساكر الإسلامية ، والأمداد تصل إلى الفرنج من البحر . فلم يقدر السلطان على الوصول إلى البلد ، ولا استطاع أهل عكا أن يصلوا إلى السلطان . وشرع [السلطان] في قتال الفرنج من أول شعبان ، إلى أن تمكن من عكا ، ودخلها في ثانيه ، فما زالت الحرب قائمة إلى رابع رمضان . فتحول إلى أنغروبة ^(٢) ، وأغلق من في عكا من المسلمين أبوابها ؛ وحفر الفرنج حندقاً على معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم سوراً مستوراً بالسناجر ^(٣) ، ورتبوا عليه الرجال ؛ (٢٨ ب) فامتنع وصول المسلمين إلى عكا . وقدم العادل بسكر مصر في نصف شوال ؛ وقدم الأسطول من مصر إلى عكا في حسين قطعة ، وعليه الحاجب لؤلؤ في منتصف ذي العقدة ، فبدد شمل سراكب الفرنج ، وغلغرى بيطستين للفرنج . فاستظهر المسلمون الذين بمكا ، وقوى جأشهم بالأسطول ، وكانوا نحو المشرة آلاف . وبث السلطان إلى الأطراف يحث الناس على الجهاد ، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طنتكين ^(٤) باليمن ، يطلب منه الإعانة

(١) انظر (Blochel : Op. cit. P. 192. N. 2) . حيث يذكر أن الملوك والقصاد كانوا يقيمون الأوس قرب ذلك الموضع ، قبل دخول دار الخلافة الساسية . انظر كذلك ابن شاعر السكى دوات الوفيات ، ج ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي حصص بإساحل الشام معروف على عكا . (يا قوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٢٨) . (٣) جمع ستارة ، وهي حائل خارجي مبني من الخشب أو غيره يحشى وراءه الممانعون عن حصن أو سور . ويستخدم المهاجرون السناجر أيضاً للوفاة من فئات المدعو (Dozy : Surpp. Dict. Ar.) . ويقابل هنا اللفظ في الإنجليزية (Cortain) ، وفي الفرنسية (Courtine) . (٤) في س طنتكين .

بالمال ، وإلى مظفر الدين قر^(١) أرسلان صاحب السج ، وكتب إلى الخليفة . ووجبت الأمداد إلى الفرنج ، وورد الخبر من حلب بخروج تلك الألمان^(٢) من القسطنطينية ، في عدة عظيمة تتجاوز الألف ألف ، يريدون البلاد الإسلامية ، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين .

وتوفى في هذه السنة حسام الدين سنقر الخلالى^(٣) ليلة الاثنين سابع عشرى رجب ، والأمير حسام الدين طمان^(٤) يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان ، والأمير عز الدين موسك ابن جكوك^(٥) في شعبان ، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين . ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عمرو بدمشق ، يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان ، ومولده أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . ومات ضياء الدين عيسى الحكارى ، يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة بمنزلة الخروبة .



[سنة ست وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة ست وثمانين ، والسلطان بالخروبة على^(٦) حصار الفرنج ؛ وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد ، فرحل من الخروبة لا تبقى عشرة بقيت من ربيع الأول إلى^(٧) تل كيسان ، وتتابع محيى العساكر . وكلت أبراج الفرنج الثلاثة ، التى بنوها نجاء عكا في مدة سبعة أشهر ، حتى علت على البلد ، وامتألت بالمدد والعدة ، وطأوا كثيراً من الخندق ، وضائقوا البلد . واشتد خوف المسلمين ، واشتدت الحرب بين

(١) يذكر (Blochet : Op. cit. 196. No. 1.) أن ملك السج هذا هو قزلباش أرسلان عثمان صاحب أديريجان (انظر ص ٤٠ حاشية ٢) . (٢) يقصد المؤلف (Frédéric Barberousse) لبراطور الدولة الفرنجة ولجنه أخبار طويلة كليباً في هنا ، آخرها أن فردريك سقط عن فرسه وهو بير نهر طرسوس (طشاي الخال) يأ الصغرى ، ففرق ولم يصل من جيشه إلى عكاسوى شرملة ليلة قيادة ابنه (Frédéric , duc de Souabe) . (٣) Jensen , Crusaders in The East. pp. 264-265 ; Rec. Hist. Or. IV. p. 452. N. 1.) (٤) في سن الخلالى ، وبشير ضبط . انظر (Blochet : Op. cit. 197*) . (٥) في سن شبط (نفس المرجع والصفحة) . (٦) كذلك في سن (انظر نفس المرجع والصفحة) . هذا والأمير عز الدين هو الذى أنشأ قنطرة الموصلى على الخليج الكبير بالقاهرة . الفرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٧ ، ص ٧ (٦) يوجد في نفس المرجع والصفحة (N. 4) تفصيلات عن حصار عكا من كتاب سير الأباء (٧) موضح في مريح عكا من سواحل الشام . (بالقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩)

الفرقيين ، حتى احترقت الأبراج الثلاثة . وخرج أهل عكا منها ، فنفقوا الخندق ، وسدوا النفر ، وغنصوا ما كان في الأبراج من الحديد ، فقتلوا به . وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك ، قتل فيها كثير من الفرنج . ودخل ملك الألمان [بجيوشه] إلى حدود بلاد الإسلام ، وقد فنى منهم كثير ، فواقهم الملك عز الدين قلعج بن أرسلان السلجوقي ، فانكسر منهم ، فلقب به الفرنج إلى قونية وهاجوها^(١) ، وأحرقوا أسواقها ، وماروا إلى طرسوس يريدون بيت المقدس ، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون ، فانتبها ملكهم . وقام من بعده ابنه^(٢) ، فسار إلى أنطاكية . ونذب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب عكا إلى جهة أنطاكية ، ووقع فيمن بقي معه مرض كثير ؛ [وأمر بتخريب سور^(٣)] طبرية ويافا وأرسوف^(٤) وقيسارية وصيدا [وجبيل غروب^(٥) ذلك] ، و [نقل من كان فيها إلى بيروت . وطمع (١٢٩)] الفرنج في السلطان لقلعة من بقي معه ، فركبوا الحربه ، ونهبوا وطاق^(٦) الملك العادل . وكانت المسلمين معهم حرب ، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم ، وقتل منهم آلاف ، فوكت فوام . غير أن الدد أنام ، ونصبو المجايق على عكا فتحول السلطان إلى الغروبة ، فواق كتاب ملك الروم بقسطنطينية ، يخبر بوصول المنبر من عند السلطان ، و [كذلك] الخطيب والمؤذنين والقرءاء ، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة^(٧) الناصر [لدين الله] .

وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس في جيوشه ، وركب منها البحر إلى عكا ، فوصل إليها سادس رمضان ، فأقام عليها إلى أن هلك ثاني عشر ذي الحجة ، بعد ما حارب المسلمين

(١) في س مجبوا . (٢) انظر س ١٠٣ حاشية ٢ . (٣) ما بر النوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، لكنه موجود في ب (٣٤ م) .

(٤) بئر ضط في س ، وهي مدينة على ساحل الشام بين قيسارية ويافا . (باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٧) .

(٥) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، لكنه موجود في ب (٣٤ ب) .

(٦) لفظ تركي معناه الحجة ، حمة وطاقات . (محيط المحيط) .

(٧) الغالب أن هنا الكتاب نتيجة الحلف بين السلطان والإمبراطور . انظر س ٩٨ ، حاشية ١ .

فلم يزل منهم كثير غرض . ودخل الشتاء وقد طال مدة التبيكار^(١) ، وضجرت المساكر من كثرة القتال ، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل .
وفيهما تولى سيف الدولة أبو الليمون مبارك بن كامل بن متقذ شد^(٢) الدواوين بديار مصر ، وباشر الأسعد بن عاتق معه الديوان في محرم .

[سنة سبع وثمانين وخمسمائة] ودخلت سنة سبع وثمانين ، فسار الظاهر صاحب حلب [إليها] ، وسار المغفر إلى حاة . وبقي السلطان في جمع قليل ، والحرب بين أهل عكا وأميرم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج . ودخل فصل الربيع ، فوافت المساكر السلطان ؛ ووصل إلى الفرنج مدمم ، فضايقوا عكا وجدوا في حصارها ، ونصبوا عليها المجانيق . وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج ، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفاً . وخرجوا يريدون الحرب ، فواقهم السلطان وكسرم ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم . فلما كان في سابع عشر رجب ، برز الفرنج بخيامهم ، واحضروا أسارى المسلمين ، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا [فيها] بأجمعهم في سبيل الله صبراً ، واليزك^(٣) الإسلامي ينظر إليهم . فحمل المسلمون عليهم ، وجرت بينهما حرب شديدة ، قُتل فيها عدة من الفريقين .

ولما أهل شعبان سار الفرنج إلى عسقلان ، ورحل السلطان في أئرم ، وواقهم في رابع عشره بأرسوف . فانهزم للمسلمون ، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون ، وعاد إلى

(١) لفظ فارسي معناه الحرب عامة (Dozy: Supp. Dict. Ar. & Blochet: Op. cit. p. 201. 4-N) وفي (4-N) (Quatremère: Maml. I. 2. p. 18. N. 19) أشلة عديدة لأوجه استعمال هذا اللفظ منها "وصل الأسماء من التجاريد والياكيد .

(٢) أقرب مرادف لهذا اللفظ كلمة تفتيش ، ويسمى متولى هذه الوظيفة الشاذ ، مضاف إليها جوه الاختصاص ، مثل شاذ الجوالى وشاذ دار البليغ والحاكمة وشاذ مرهاكر الريد وشاذ الزكاة . اننا (Q. Demombynes: Op. cit. Index III) . وكان عمل شاذ الدواوين بمصر — أيام الأيو والمماليك — معاونة الوزير في مراقبة الحسابات ومراجعتها .

(٣) لفظ فارسي معناه الطلائع (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ، وفي (1. 1. Maml. I. 1. Quatremère: Maml. I. 1. 225. N. 101) أشلة كثيرة لوجه استعمال هذا اللفظ ، منها "كان يزك وللايه لا تتلع عن الفر

القتال ، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف . ورحل السلطان في تاسع عشره ، ونزل على عسقلان [يريد تخريبها،^(١) لمجزه] عن حفظها ، ففرق أبراجها على الأمراء ، ووقع [الضبيح والبيكاه في الناس^(٢)] أسفا (٢٧٩) وغما لخربائها ، وكانت من أحسن البلاد بناء ، وأحكمها أسواراً ، وأطيبها سكناً ، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلب شعبان .

قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في المعجم^(٣) المترجم : « سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله — يعني أبا المنصور البانياسي الناصري — يقول : لما هدمنا عسقلان^(٤) أعطيت أنا برج الدواية ؛ وهدم خطلج^(٥) برجا وجدنا عليه مكتوباً « عُمر على يدى خطلج » ، وهذا من عجيب الاتفاق . وشبه بذلك ما أخبرني [به] القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى الكاتب قال : رأيت بعسقلان برج الدم ، وخطلج المرمى يهدمه — يعني في شعبان . ورأيت عليه مكتوباً : مما أسر بهارته السيد لأجل أمير الجيوش — يعنى بدر [الجلالى] — على يد عبده ووليه خطلج في شعبان . فصعبت من هذا الاتفاق . كيف عمر في شعبان على يد خطلج ، وهدم في شعبان على يد خطلج ؟ » .

ثم رحل السلطان عن [عسقلان] ، وفد خربت في ثاني رمضان ، ونزل على الرملة فحرب حصنها ، و[هدم] كنيسة^(٦) لُد^(٧) ، وركب إلى القدس جريدة^(٨) ، ثم عاد وهدم حصن النعلرون .

(١ و ٢) ما بين الأقواس محجوب تحت ورقة ملصقة ، قوة في س ، وهو موجود كله في ب (١٣٥) .
(٣) راجع ملحوظات (Blochet : OP. cit. P. 204. N. 1) عن هذا الكتاب ، حيث يقول إنه معجم لتراجم الرجال ، وليس معجماً لتواريخهم كما ظن حلى خليفة في كتابه كشف الطنون . ولد المنذرى سنة ٥٨١ هـ بمصر ، ودرس الحديث والفقه والأدب ، وعمرح فيها حتى أصبح شيخ المدرسة السكلمية التي أسسها الملك الكامل بن العادل بالقاهرة ، وكان من تلاميذه ابن حلكان صاحب وفيات الأعيان ، وتوفى سنة ٦٥٦ هـ . (٤) في س بيروت . (انظر هـس المرجع والملصقة (N. 8) .
(٥) ضبط هذا الاسم على منطوق سمي له في (Rec. Hist. Or III. IV, Indices.) .

(٦) في س عنها . (٧) بغير ضبط في س . وهي قرية صغيرة قرب بيت المقدس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥٤) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. P. 205. N. 2) .

(٨) الجريدة الفرقة من السكر الحياطة لارجلة فيها (محيط المحيط) ، على أن المقصود من هذه العبارة هي — وهي متداولة في كتب المؤرخين — سير السلطان على وجه السرعة ، فكون أن يأخذ معه أتالاً أو حشداً . وفي (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) أمثلة عديدة توضح هذا المعنى ، منها " هرد الفرنجي عسكره من أهتلم وسار جريدة " .

وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع في البر والبحر ، فباد السلطان إلى القدس في آخر ذى القعدة . وقدم أبو الميناء السمين بسكر مصر ، ووقع الاهتمام في عمارة سور بيت القدس وسحر الخندق .

وفيها مات علم الدين سليمان بن جندر في آخر ذى الحجة . ومات الملك المنصور تقي الدين عمر ابن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شاذي صاحب حماة ، وهو الذي أوقف منازل المعز بمصر مدرسة ، في ليلة الجمعة تاسع رمضان ، ودفن بحماة . ومات نجم الدين محمد بن الوقف ابن سعيد ابن علي بن حسن بن عبد الله الخبوشاني^(١) الفقيه الشافعي الصوفي ، يوم الأربعاء ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بالقرافة .

وفيها سلم أسر الأسطول بمصر لذلك العادل ، فاستخدم فيه من قبله ، وأفرد برسمه الزكاة بمصر والمحبس^(٢) الجبوشي بالبرين والتطرون واخراج وما معه من ثمن القرض وساحل السط والمراكب الديوانية وإشنتين^(٣) وطنبذة . فاستناب العادل في مباشرة ذلك ، واستخدم في ديوان

(١) نسبة إلى خبوشان ، قصة كورة استنوا قرب نيسابور . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٠) .
(٢) البارة الآتية منقولة عن المقرئ (الواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤) لتوضيح المقصود بالبرين ، واضبط معرفة ماتين لديوان الأسطول تلك الأيام ، ومي : " وعين [صلاح الدين] لهذا الديوان اليوم بأعمالها ، والمحبس الجبوشي في البرين الشرق والغرب ، وهو من البر الشرق يهتني والأميرية والمنية ، ومن البر الغرب ناحية سبط ونها ووسم والبابين خارج القاهرة . وعين له أيضاً المراج ، وهو أشجار من سبط لا يحصى كثرة في البهناوية وسبط ريشين والأنشوتين والأسبوتة والأخبية والقومية ، لم تزل بهذه التواهي لا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه ، وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد مائة دينار ... وعين له أيضاً التطرون ، وكان قد بلغ خماته ثمانية آلاف دينار . ثم أفرد لديوان الأسطول مع ما ذكر الزكاة التي كانت تجبي بمصر ، وبلغت في سنة زيادة على عشرين ألف دينار ، وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدي . وسلم هذا الديوان لأخيه الملك العادل أبي بكر عمه بن أيوب ، فأقام في مباشرة عمله حتى مات في سنة ٦٠٠ هـ . انظر الحاشية التالية ، و : Omar Tonsous (2) Op. cit. I. 1. 1 تحقيق مواضع البلاد المذكورة . أما المراكب الديوانية فهي التي تحمل الفلات السلطانية . (المقرئ : الواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٢) .

(٣) في س اشناى وطنبدي . بنير ضبط . واشناى هو ما تنطق به العامة ، ومي " قرية بالصعيد إلى جنب طنبدي على غربي النيل ، وتسمى هذه وطنبدي المرويين لحسنها ونخبها ، وما من كورة البهنا " (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ج ٣ ، ص ٥٥٠) .

الأسطول صفى الدين عبد الله بن [على بن] شكر . وأحيل الزينة الجيوشية على غير الحبس الذى لهم .

وعظمت زيادة النيل وغرق النواحي ؛ وكثر رخاء الأسماك بمصر ، فأبيع القمع كل مائة أردب بثلاثين دينارا ، وانخفض البائت ستة أرتال بربع درهم ، والرطب الأمهات ستة أرتال بدرم ، واللوز ستة أرتال بدرم ، والمان الجيد مائة حبة بدرم ، وحل الخيار بدرمين ، والتين ثمانية أرتال بدرم ، والعناب ستة أرتال بدرم — فى شهر بابه بعد انقضاء موسم المهود بشهرين ، والياسمين خمسة أرتال بدرم ، ونمر الحناء عشرة أرتال بدرم ، والبشر الجيد عشرة أرتال بدرم ، وما دونه خمسة عشر درهما بدرم . وكثر بمصر والقاهرة التجار بمحاصى الله . ونظر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف جُبَّة^(١) ، كل حبة قدر الرحى لا يقلها الراحل^(٢) . وحصلت بمصر زلزلة ، وهبت سموم حارة (٢٠١) فيها إعطار ثلاثة أيام ، أتلقت الحضرات التى فضلت من الفرق . وانشعب زُرْبَةُ جامع المقدس لقوة الزيادة ، وخيف على الجامع أن يسقط ، فأمر بعمارها .

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وأهلت سنة ثمان وثمانين ، والسطا بالقدس مجتهد فى عمارته . وفى ثالث المحرم نزل الفرنج على ظاهر عقلا ، قصد عمارتها فأمكنوا ، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج^(٣) وغيره ، وتوالت الوقائع بينهم وفى صفر سار المالك الأفضل نور الدين على بن السلطان إلى البلاد الشرقية ، على ما كان بيد الملك المظفر قى الدين عمر [من البلاد^(٤) التى هى] قاطع الفرات ؛ وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع

(١) فى س " ... حبة كل حة قدر الرحى " .

(٢) بضى حروف هنا اللفظ متاكل ق س ، ولكنه واضح فى ب (١٣٦) .

(٣) فى س يازكج . (٤) أضيف ما بين القوسين من ابن شداد (النواحد السلطانية من ١١٨ —

٢٦٩ ، فى Rec. Hist. Or. III.) ، حيث العبارة مترجمة (les pays au delà de l'Enphrate) ، ومنها حران والرها وسيماط .

التشريعات^(١). ثم نزل الملك المادل أبو بكر عن كل ماله في الشام، ماخلًا السكر والشوبك والصِّلْت^(٢) والبلقاء ونصف خاصّة بديار مصر، وعُوض البلاد الشرقية. وسار [السلطان] من القدس في أوائل جمادى الأولى، وكتب يعود للملك الأفضل، فساد منكسر القلب إلى السلطان. ولحق المادل بجران والرها وقرر أمرها، ثم عاد السلطان في آخر جمادى الآخرة. وفي [جمادى الآخرة] ملك الفرنج قلعة الحاروم، وخرج العسكر المصري يريدون السلطان فكسبهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم، وتبدد الناس في البرية. وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف جل، وعادوا إلى خيمهم وقد طعموا؛ فقصدوا المسير إلى القدس، ثم اختلفوا ونزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم في طلب الصلح. فبرز السلطان من القدس

(١) في س و نزل. ويلاحظ أن تلك التبدلات حدثت على أثر وفاة تقي الدين. عمر، واستيلاء ولده الملك المنصور بن تقي الدين على البلاد الجزرية، وبشر إذن السلطان صلاح الدين، وفي هذا يقول ابن الأثير (الكمال في التاريخ، ج ١٢، ص ٥٤) ما ضه: "قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده [الملك المنصور] تاسر الدين محمد على بلاد الجزيرة. فلما استولى عليها أرسل إلى صلاح الدين يطلب تحريرها عليه، مصاف إلى ما كان لأبيه بالشام. فلم ير صلاح الدين أن مثل تلك البلاد تسلم إلى صي، فإجابته إلى ذلك (كذا)، غدت [الملك المنصور] قه بالانتعاش على صلاح الدين، لاستغاثه بالفرنج. فطلب الأفضل على بن صلاح الدين من أبيه أن يقطعه ما كان لتقي الدين، وينزل عن دمشق. فأجابته إلى ذلك، وأمره بالمسير إليها، فسار إلى حلب في جماعة من العسكر. وكتب صلاح الدين إلى أصحاب البلاد الشرقية: مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها، يأمرهم بإغاثه الصاكر إلى ولده الأفضل. فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم أنه لا قوة له بهم، فراسل الملك المادل عم أبيه يسأله لإصلاح حاله مع صلاح الدين. فأنهى ذلك إلى صلاح الدين، وأصلح حاله، وقرر قاعدته، بأن يقرر له ما كان لأبيه بالشام، ويتخذ منه البلاد الجزرية. واستقرت القاعدة على ذلك، وأصلح صلاح الدين البلاد الجزرية: وهي حران والرها وسيمساط ومباشرين وساني [لأخيه] المادل. وسيره إلى ابن تقي الدين، ليتسلم منه البلاد، وسيره إلى صلاح الدين، وعيد الملك الأفضل أين أحره. سار المادل فحقق الأفضل بحلب، فأعادته إلى أبيه. وعبر المادل القرات، وتسلم البلاد من ابن تقي الدين معه وعاد إلى صلاح الدين بالصاكر، وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة". انظر أيضاً ابن شداد (التوابع السلطانية، ص ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، في Rec. Hist. Or. III).

(٢) بلد من أعمال الأردن، على مسيرة يوم من مجلوس (Blochet: Op. cit. p. 209. N. 1).

(٣) في س وفيه. انظر هس للرجع والمنفعة (N. 2).

في عاشر رجب ، وسار إلى يافا فحاصرها ، ولم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة ، وغنم الناس منها شيئا عظيما . وتسلم [السلطان] القلعة ، وأخرج من كان فيها من الفرنج . فقدم من الفرنج نجدة كبيرة في خمسين مركبا ، فشد أهل يافا بجماعة من المسلمين ، وعاد القتال والمراكب في البحر لم تصل إلى البر . فسارع أهل المراكب إلى البر ، وحلوا على السلطان ، فرحل إلى يازُور^(١) وأمر بتخريبها ، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس . وعزم على لقاء الفرنج ، فاختلف عليه أصحابه ، وأسمه بعضهم كلاما جافيا ، فأنشئ عن ذلك . وقدم عسكر مصر فخرج إلى الرملة ، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثان [يقين من^(٢) شعبان] . وعقدت هدنة عامة في البر والبحر مدة [ثلاث سنين وثلاثة^(٣) أشهر] ، أولها حادي (٣٠ ب) عشر شعبان — وهو أول شهر أيلول ، على أن يكون للفرنج من يافا إلى صور وطرابلس وأنطاكية ونودي في الوطاقات وأسواق السكر : « ألا إن الصلح قد اتفق ، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفعل » . وكان يوم الصلح يوما مشهودا ، عم فيه الطائفتين الفرج والبرور ، لما نالهم من طول الحرب . فاختلط عسكر الفرنج بعسكر المسلمين ، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة ، ودخل حلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيادة ، فأكرمهم السلطان ومد لهم الأطعمة واسطعمهم . ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا ، ورحل السلطان إلى القدس ، وسار منها إلى دمشق ، فلقاه الأمير بهاء الدين قراقوش — وقد تخلص من الأسر — على طبرية . ودخل [السلطان] إلى دمشق ، فجلس بقين من شوال ، فكانت غيبته عنها أربع سنين . وأذن للصاكر في التفرق إلى بلادهم فساروا إليها ، وبقي عند السلطان ابنه الأفضل على والقاضي الفاضل .

وفيهما انتقل سعر الفول بدينار مصر من خمسة عشر دينارا إلى ثلاثين دينارا المائة أردب ، بحكم أن المشتري لمؤنة الوسيطة^(٤) العادلة خمسون ألف أردب . وفيها عثر على رجل اسمه عبد الأحد ،

(١) بلدة بساحل الشام قرب الرملة . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٠٢) .

(٢ و ٣) ما بين القوسين محبوب في س تحت ورقة ملصقة عليه ، ولكنه موجود في ب (٣٦ ب) .

(٤) لفظ مشتق من الكلمة التركية الوس ، ومعناها الحار وكل ما يتبع صاحبها من حاشية وحشم

وحوان ومحتاج . (Blochet : Op. cit. p. 212. N. 1) . وغير (Dozy : Supp. Dict. Ar.) بالرمي للخاص .

من أولاد حسن ابن الخليفة [الفاطمي] الحافظ لدين الله ، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة ،
ف قيل له : « أنت تدعى أنك الخليفة ؟ » قال « نعم ! » فقيل له : « أين كنت في هذه المدة ؟ »
فذكر أن أمه أخرجه من القصر فتاه ، ووصل إلى طنبجة^(١) فاختفى بها ، ثم خرج إلى مصر ،
فأواه رجل وشرع يتحدث له في الخلافة ، وأنه وقع بعهدة بلاد وأقطع أناساً من بابه ، فسجن .
وعُثر على بعض أقارب الوزير شاور ، وقد ناز بالقاهرة ، فسجن هو وجماعته .

وفيها انتقد ارتفاع الديوان الخاص^(٢) السلطاني على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف
دينار وأربعة مائة وأربعة وأربعين ديناراً . ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطاحي^(٣)
جامع السيرة المؤمنة — وهو بقية بيته — في سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة . وفيها
وقع الشروع في حفر الخندق من باب الفتوح إلى القس . وكتب بنقل جماعة من أتباع
الدولة الفاطمية المحبوسين في الإيوان ودار المنظر ليلاً ، بحيث لا يشعر بهم أحد ، حتى يوصلهم
[المكلف بذلك] إلى صرخد . وفيها كتب بإجلاء مدينة تنيس ، ونقل أهلها إلى دمياط ،
وقطع أشجار (١٣١) يساتين دمياط وإخراج النساء منها . غلبت تنيس ، إلا من القنطرة ،
وحفر خندق دمياط ، وعمل جسر عند سلسلة البرج بها . وفيها كثرت الأراجيف بالقاهرة
ومصر ، وعظمت الشناعات ، وارتفعت الأسعار .

(١) في س طنبجة . (٢) وظيفة الديوان الخاص من النظر في حاس أموال السلطان والتحدث
في جهاته ومضافاته . وأعظم بلاده وأغناها مدينة الإسكندرية ، ولعلها تروجه وفوه ونسروه ، ومال جميعها
يحمل إلى خزنة الحاس . (الفقهدي : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٤٥٦) ، ويلاحظ أن الفقهدي يقول
(من الرجع والجزء والصنعة) إن ديوان الحاس من منافع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
(٦٩٣ — ٧٤١ هـ) ، على أن ذلك لا يفي بوجود إدلة من شأنها النظر في حاس أموال السلطان أيام
الدولة الأيوبية . انظر ص ٥٣ حاشية ٤ : وراجع أيضاً ابن شاهين (زبدة كشف المالك ، ص ١٠٧ ،
١٠٩) ، حيث يصرح جميع ما سبق لإرادات ومصرفات ديوان الحاس (٢) ليس في الرائج للتداول
في حواشي هذا الجزء من السلوك شيء يذكر عن موسى منها . على أن المعروف أن أباه المأمون ، واسمه
أبو عبد الله محمد بن مختار بن تانك البطاحي ، كان وزيراً للخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ) ،
والله يرجع الفضل في تشييد الجلس الأقر ، وتحويل بناء جامع القبة ، التي كان يمل على بركة الحاشي
بالقاهرة ، والله أيضاً نسب دار المأمونية بمجوار دهب السلسلة . (Ibn Khalikan, Biog. Dict.)
والقرنزي : الواظ والاعتبار ، ج ١ ص ٤٦٤ — ٤٦٤ ج ٢ ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(١) يرى (Blochet : Op. cit. p. ١١٢ N. 1.) أن هذه الأتجار هي من منابع النيل ، غير أنه ترجم عدبة إلى edbat مستعرباً أنها إحدى مجربات أواسط إفريقيا . (٢) كتبنا ما يرسم هذا الاسم في س الحاء الهلالية . (٣) بغير ضبط في س ، واطلق عليها الآن آفي سراي ، وهي قرب قونية (Enc. Ist. Art. AK Blochet. Op. cit. p. 214. N. 2, Savrā) كذا في س بغير ضبط ، ولعلها لوفات ، وهي قلعة حصينة تقع في قونية وسواس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) . (٥) في س قيصرنة بغير ضبط ، وكانت عاصمة ملوك بني سلجوق بأسيا الصغرى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٤) . (٦) في س ٤ . (٧) في س يوم . (٨) في س عند كلمة " المذكور " إشارة كائني يضمها المؤلف للتنبيه على مكان المواصلات الإضافية ، وليس أمامها شيء من ذلك .

وكان رحمه الله كثير التواضع ، قريباً من الناس ، كثير الاحتفال ، شديد المداواة ، محباً للفقهاء وأهل الدين وأخيراً محسناً إليهم ، مائلاً إلى الفضائل ، يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلده . ومدحه كثير من الشعراء ، وانتجوه من البلدان . وكان شديد التمسك بالشرعية ، يسمح الحديث من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبي سعد ، وأبي محمد بن برقي النحوي ، وأبي الفتح محمود بن أحمد الصابوني ، وأبي الطاهر السلفي ، وابن عوف ، وجماعة [غيرهم] . وكان كريماً : أطلق من الخليل برج عكاملن معه اثني عشر ألف رأس ، سوى أثمان الخليل التي أصيبت في الجهاد . ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موهود به ، وصاحبه ملازم في طلبه . وتأخر عنه الأمير أيوب بن كنان في بعض سفراته لذين لزمته ، فتقبل لزمته باثني عشر ألف دينار مصرية . وكان ورعاً : رأى يوماً العباد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها ، وقال هذا حرام ، فلم يعد يكتب منها عنده . وكان لا يصلي إلا في جماعة ، وله إمام راتب ملازم ؛ وكان يصلي قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ . وكان يسوي في المحاكاة بين أكبر الناس وبين خصمه . وكانت شجاعاً في الحروب ، يبرز في الصفوف وليس معه سوى صبي . وقرأ عليه جزء من الحديث بين الصغين ، وهو على ظهر (٣١) فرسه . وكان ذا كرامات في القواعد العرب ومحائب الدنيا ، ومجلسه طاهر من العايب ، رحمه الله وغفر له .

ولما مات جلس الأفضل للعزاء ، وكثر بكاء الناس عليه . وغسله الفقيه خطيب دمشق ، وأخرج بعد صلاة الظهر ، وصلى الناس عليه أرسالاً ، ودفن بداره التي مرض فيها بالقاء ثم نقل في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية وكتب [بوفاته] إلى العزيز بمصر ، وإلى العادل بالكرك . وكان عمره يوم مات نحواً (١) سبع وخمسين سنة . منها مدة ملكه بعد موت الماضد اثنتان وعشرون سنة وأيام (٢) من الأولاد سبعة عشر ذكراً وبناتاً واحدة صغيرة ؛ ولم يخلف في خزائنه سوى سبعة و

(١) في س نحو .

(٢) في س اثنتين وعشرين سنة وإليها .

دعماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً . وكان القاضي القاضى عبد الرحيم بن على البيهقي صاحب سره ، وبمنزلة الوزير منه .

وفيها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل^(١) بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان ، ابن جبرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق فى ربيع الأول ، وهو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية ؛ وابتداء دولتهم فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وأولهم طغرل بك بن ميكائيل^(٢) بن سلجوق ، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانياً^(٣) وخمسين سنة .

السلطان الملك العزيز عماد الدين

أبو^(٤) الفتح عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة ، وعنده جل المسافر والأسماء من الأسيدي والصالحية والأكراد . فلما بلغه موت أبيه جلس للعزاء ، وأخذ بالحزم ، وقرّر أمور دولته ، وخلع على الأسماء وأرباب الدولة بعد انتضاء العزاء . فقام أخوه الأفضل نور الدين على بدمشق ، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه وفاة أبيه ، من إنشاء العماد الكاتب . وبث بذلك مع القاضي ضياء الدين أبى الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى^(٥) ، ومعه عُدو الله وملابسه وخيله ، وهدية نفيسة . وسار العادل من السركك إلى بلاد المشرق ، فأقام بقلمة جبّار^(٦) ، وبث نوابه إلى حرّان

(١) فى س طبريل وبشير ضبط فى الموضحين . (اطرس ٤٠ ، حشبة ٢) .

(٢) صححت معنى الأسماء الواردة هنا بشير تنبيه وذلك لسبق ورودها والإشارة إلى رسم المؤلف لها .

(٣) فى س عثمان . (٤) فى س أبى .

(٥) فى س الشهرزورى .

(٦) بشير ضبط فى س ، وهى قلعة على الفرات بين بليس والركة قرب صفين ، واسمها قديماً دوسر .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٤) ، وراجع أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 217. N. 1) .

والرها . واستوزر الأفضل الوزير ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير^(١) ، وفوض إليه أموره كلها ، فحسن له إيجاد أسراء أبيه وأكابر أصحابه ، وأن يستجد أسراء غيرهم . فقارقه جماعة منهم الأمير فخر الدين جهار كس^(٢) ، وفارس الدين ميمون القصرى ، وشمس الدين سنقر الكبير ، وكانوا عظام الدولة . فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم ، وولى فخر الدين أستاذاره^(٣) ، وفوض إليه أسره ، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيدا وأعمالها ، وكان ذلك لما وزادها نابلس وبلادها . وسار القاضي الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة ، فخرج العزيز إلى لقائه (١٣٢) وأجل قدومه وأكرمه . فشرع القوم في تقرير قواعد ملك العزيز ، والأفضل في شغل عنهم . وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل ، فكتب إلى أخيه العزيز رعب عنها له . وكان [ذلك] من تديروزيه ابن الأثير ، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموان ورجال لمداومة الفرنج . فسر العزيز بذلك ، وجوز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جريدك النورى متولى القدس ، لينفقا في عسكر القدس ، فخطب له به وخشى [العزيز] من نقص المدينة بينه وبين الفرنج ، فبث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج . ثم بدا للأفضل أن يعود فيها رغب عنه لأخيه من القدس ، ورجع عن ذلك ، فتنير العزيز من هذا ، وأخذ الأسراء في الإغراء بينها ، وحسبوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه ، فبلغ ذلك الأفضل .

(١) أخو مؤلف كتاب الكامل في التاريخ . وقد ترجم له الفرزى بهامش الصفحة بباردة نصها : « نصر الله بن محمد بن أبي البركات محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزرى ، المعروف بابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين ، رئيس الكتاب في زمانه . ولد بالجزيرة المصرية يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ [هـ] ، ومات ببغداد سلخ ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ [هـ] ، وله مصنفات منها التل السائر [في آداب الكتاب والشاعر] . ولهذين التابعتين أخ ثالث اسمه مجد الدين أبو السادات ، اشتغل بعلوم القرآن والحديث والتجو ، ومن مؤلفاته كتاب النهاية في غريب الحديث ، وهو أكبرهم سنا ، وليه صاحب الكامل في التاريخ (Enc. Isl. Art. Ibn al-Athir) .

(٢) مضبوط على مطبوعته في (Blochet : Op. cit. p. 218) ، انظر أيضا (Rec. Hist. Or. p. 86) . (٣) الأستاذ حار هو الذى يتولى شؤون سكن السلطان أو الأمير ومصرته ، وتنفذ فيه أوامره . وبين التلقيندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، ج ٥ ، ص ٥٧) وبين عامة المستشرقين خلاف في أصل هذا اللفظ الفلوسى المركب ، انظر (O. Demombynes : Op. cit. introd. p. LX. & N. 4) .



[سنة تسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة تسعين ، وقد تنافرت القلوب ، وقويت
الروشة بين الأخوين . واجتمعت الأسراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزيز ،
فاضطربت أحوال الأفضل . وخرج العزيز من القاهرة بساكر مصر ، من الصلاحية
والأسدية والأكراد وغيرهم ، يريد الشام وانتزاعها من أخيه الأفضل ، من أجل أمور منها أن
جبل — وهو ^(١) من جملة الفتوح الصلاحية ^(٢) — كان مع رجل كردى [قبه أقامه صلاح
الدين مستحفظا ^(٣) بها] ، فأرغبه الفرنج بمال حتى سلمه لهم . وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه
من الفرنج ، فتصد عليه ، وظهر المعجز عن استخلاصه فامتعض الأسراء لذلك ، وخوفوا العزيز
من عاقبة أمر الفرنج ، فسار في [صفر ^(٤)] ، واستخلف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود ،
وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدى وصيرم ^(٥) وسيف الدين يار كنج وخطاط في تسعة
فارس . واتفق أن الأمير صادم الدين فابماز النجسى — أحد أكابر الأسراء الصلاحية —
استوحش من الأفضل لإعراضه عنه ، فخرج من دمشق يريد إقطاعه ، ولحق بالعزيز فأكرمه
ورفع محله .

وهم الأفضل بمراسة أخيه العزيز واستعطافه ، فتمنه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من
أصحابه ، وحسنوا له محاربه ، قال إليهم . وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق ، وإلى أخيه
الظاهر بحلب ، وإلى المنصور بحماة ، وإلى الأجد صاحب بعلبك ، وإلى المجاهد شيركوه صاحب
حمص ، يستنجدم على أخيه العزيز . فوردت رسلهم في جمادى الآخرة ، يمدون بالقدوم
عليه . ثم إنه برز من دمشق ، ونزل برأس الماء . فلما وصل العزيز إلى التصير ^(٦) من النور ضاق
الأفضل ، ورجع من النوار إلى رأس الماء . فأدركت مقدمة العزيز ساقته ، وكادوا يكبسونه

(١) في س وي . (٢) في س الصلاحى . (٣) أصيف ماين القوسى بعد

مراجعة أبي شامة (كتاب الروصين ، ص ١١١ ، ١٥٢ ، في Rac' Hist' Or' V°) .

(٤) اضطر في المرجع والمنفعة بالمناحية السابقة . (٥) كذا في س ، ويصير ضبط ،

وهو مترجم في (219 p. Blochet : Op. cit. Sarim al-Din) ، على أن التصود ليس صادم الدين

فابماز النجسى الوارد اسمه فيها على ، سطر ١٠ . (٦) بشر ضبط في س ، واسمه قصير معين

الدين ، بالنور من أعمال الأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢٦) .

فانهزم إلى دمشق، ودخلها الخمس مضيئ منه. ونزل الميز في غده على دمشق في قوة قوية؛
ونازل البلد. وكان الأفضل قد استمد لقتاله، تقدم العادل والظاهر (٢٣ ٢٨) والنصور
والجهاذ والأحمد إلى دمشق. وبث العادل إلى ابن أخيه الملك الميز يشفع في الأفضل،
ويستأذنه في الاجتماع به، فأذن له. وخرج العادل فاجتمع بالميز - وكل منهما راكب -
وتحدث معه في الصلح، وأن ينقش الخلاف عن البلد؛ وكان قد اشتد الحصار، وقطعت
الأنهار، ونهبت الثمار، والوقت زمن الشمس. فوافق الميز عمه، وتأخر إلى داراً^(١)،
ونزل على الأعوج^(٢)؛ وسير الأمير غر الدين جهاكس الأستاذار - وهو يومئذ أجل
الصلاحية - إلى العادل، قرر الصلح على شروط، وعاد إلى الميز. فرحل ونزل مرج
الصفر^(٣)، فحدث له مرض شديد، وأرجف بموته، ثم أبل منه. وأسر بعمل نسخة الميزين،
وهي جامعة لمقترحات جميع الملوك؛ وحسم مواد الخلاف، وأن الملك الأعبد بهرام شاه بن
عز الدين فرخشاه، ولللك الجهاذ شيركوه، يكونان مؤازرين لللك الأفضل وتابعين له،
وأن الملك النصور صاحب حماة يكون في حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزراً له.
وبث كل من الملوك أميراً من أسرته ليحضر الحلف، فاجتمعوا يوم السبت ثاني عشر
شهر رجب، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دخن. وتزوج الميز بامنة عمه العادل،
وقبل العقد عنه القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليل عبد الميز السعدى. ووكّل العادل
القاضي محيى الدين محمد بن شرف الدين بن حصرون في تزويج أخته من ابن عمها الملك
الميز، وعقد بينهما قاضي القضاة محيى الدين. وكتب العماد الكاتب الكتاب في ثوب
أطلس، وقرئ بين يدي الملك الظاهر، وعقد العقد عنده.

فلما كان يوم الجمعة أول شعبان، خرج الملك الظاهر غازي صاحب حلب لوداع أخيه
الميز، فركب الميز إلى لقائه وأنزله معه، وأكلا ثم تفرقا، بعد ما أهدى كل منهما لأخ

(١) بغير ضبط في س، وهي قرية كبيرة من قرى دمشق بالنوطة. (ياقوت: معجم البلدان ج

ص ٥٢٦). (٢) بغير ضبط في س، انظر أباشة (كتاب الروتين، ص ١١٧

(٣) بغير ضبط في س، وهو من نواحي دمشق. (ياقوت:

البلدان، ج ٢٤ ص ٤٤٨)، انظر أيضاً (8) (Blochet: Op. cit. p. 323, N. 8).

هدية سنية . ثم خرج العادل لوداع العزيز في خواصه ؛ ثم خرج الأفضل فودّعه أيضاً ، وهو آخر من ودّعه . ورحل العزيز من مروج الصفر في ثالث شعبان يريد مصر ، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لسمّه وبقية الملوك ووادعهم . ثم رحلوا من القند إلى بلادهم إلا العادل ، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان ، ثم رحل إلى بلاده بالشرق .

وقدم العزيز إلى القاهرة في (١٣٣) يوم ... (١) . . . وأما الأفضل فإنه لم يمكث في القاهرة بما يؤكد أسباب الصلح ، فأماله عن ذلك خواصه ، وأغروه بأخيه ، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكاتبون العزيز ، فاستوحش منهم ، وفطنوا بذلك ففرقوا عنه . وسار الأمير عز الدين أسامة^(٢) صاحب [كوكب] ومجلوب عن الأفضل ، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام ، وأخذ يعرضه على الأفضل ، ويحثه على السير إلى دمشق وانتزاعها منه ، ويقول له : « إن الأفضل قد غلب على اختياره ، وحكم عليه وزيره الضياء [ابن الأثير] الجزري ، وقد أفسد أحوال دولته برأيه الفاسد ويميل أخاك على مقاطعتك ، ويحسن له نفس اليمين . فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية ، ولم يوجد ذلك ، فحنثهم في اليمين قد تحقق ، ورثت أنت من المهلة فأقصد البلاد فإياها في تلك ، قبل أن يحصل في الدولة من الفساد ما لا يمكن تلانيه » . وبينما هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدرس بن السلا^(٣) ، ووصل إلى العزيز ، فساعد أسامة^(٤) على قصده . ثم وصل أيضاً إلى العزيز القاضي يحيى الدين^(٥) أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله ابن هبة الله بن أبي عمرو ، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية ، وضم إليه نظر الأوقاف

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره ، ونظامه بلذاته ، وفوق الأمور إلى وزيره ؛ ثم ترك اللعب من غير سبب ، وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمر ، وأقبل على العبادة ،

(١) يباس في الأصل . (٢) في نسخة وغير ضبط . راجع أيا العدا . (المختصر في أخبار البشر ، ص ٧٠ ، ٨٦ ، في ١. Rec. Hist. Or.) .

(٣) ترجم (Blochet : Op. cit pp. 223) هنا الاسم إلى (Ibn as-Salat) ؛ وفي نهارس (Rec. Hist. Or. ١-٧) شخصان بهذا الاسم (Ibn es-Sellar) .

(٤) في نسخة . (٥) في أبي .

ولبس الخشن من الثياب ؛ وشرع في نسخ مصحف بخطه ، واتخذ لنفسه مسجداً يحلوه فيه بمبادة ربة ؛ وواطب على الصيام ، وجالس الفقراء ، وبالغ في التقشف ، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل . وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردى من مصر ، فأفسد جماعة على السلطان ، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية ، فصار إليه العسكر فلم يظفروا به . وقطع [العزيز] أيضاً خبز الجناح وعسكران^(١) ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه ، فساروا من القاهرة إلى دمشق ، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات .

وفي شهر رمضان كُسر بحر أي^(٢) اللُتْجَا بعد عيد الصليب بسبعة أيام ، وتجاهر الناس فيه بالمتكرات من غير نكر عليهم . وفيه وقت الآفة في البقر والجمال والحجر ، فهلك منها كثير . وفيه كثر حل القلة من البحيرة إلى بلاد المغرب ، لشدة الفلأ بها . وكثرت^(٣) بين الأسراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم ، فقصرُوا في عمارة البلاد وارتفع السر بالإسكندرية ، ونقص ماء النيل بعد ما بلغ اثنين وعشرين أصباً من سبعة عشر ذراعاً ؛ فرفعت الأسوار ، وشرقت البلاد . وبلغ التمع كل أردب بدينار ، وأخذ في الزيادة ؛ وتندر وجود الخبز ، وضج الناس . وكثرت اللنكرات ، وغلاسر العنب لكثرة من يصره . وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية ، وحُيت بيوت الازر ، وجعل عليها ضرائب ، فنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر ديناراً ، ومنع من عمل المزر البيوت . وتجاهر الكافة بكل قبيح ، فترقب أهل المعرفة حلول البلاد .

(١) بغير ضبط في س ، انظر ابن شداد (الواهر السلطانية ، ص ٣٦٥ ، في Rec. Hist Or. III.)

(٢) أسأب القرزى ذكر بحر أي المتجا (ص ٧٣) ، وقد أروى الكلام عليه إلى هذا الوضع ، لماسبة إسهاب القرزى في وصف ما حدث تلك السنة عند الاحتفال بفتح . وكانت هذه القناتة تخرج من النيل قرب بلدة شعرا الحالية ، ثم تمر ببليس ، وتلق في شمالها بحر الفرما ، الذي يسمى بحرًا برزخ السويس إذ ذاك حتى مدينة الفرما على البحر الأبيض المتوسط ، غربي بور سعيد الحالية . وقد بدأ خبر بحر أن المتجاسة ٥٠٦ هـ في عهد الخليفة الأمر المأمون (٤٩٥ — ٥٠٤ هـ) ، ونيط بجمعه أبو المتجا بن شعيا اليهودي وكان يوم فتح هذه القناتة من أيام القاهرة وأعيادها ، يشترك فيه السلطان والأسراء والناس جميعاً . على أن السلطان العزيز لم يباشر فتح القناتة بنفسه تلك السنة ، واشتد إقراط الناس ذلك اليوم ، إذ غلبت « المجاهرة باللنكرات والإعلان بالقراش ... » (القرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ص ٧١ لا وقد شهد ما لم يشهد رمضان قبله في الإسلام ... » (القرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ص ٧١ ٤٨٧) ، وأيضاً (P. Omar Toussoun : Anc. Branches du Nil, pl. III) .

(٣) في س وكثر .

وفيهما قدم رسول متملك القسطنطينية^(١) (١٤٠) يطلب صليب الصليبيون ، فأحضر من القدس ، وكان مرصما بالجواهر ، وسلم إليه على أن يمد [ثمر] جبيل من الترنج . وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة [بذلك] .

تتمه سنة تسعين وخمسمائة . [في] يوم الخميس رابع محرم عُقد مجلس بمحضرة السلطان ، حضره أصحاب الدواوين . وفي عاشره قدم الأمير حسام الدين بيشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية ، فتلقاه السلطان والأمراء ، ورحل إليه سباط السلطنة ، فطلب الموافقة بين الأهل . وفي سادس عشره ركب السلطان للصيد بالجيزة ، وصر باب زويلة ، فأفسكر روز مصاطب الخوانيت في الأسواق ، ورسم بهدمها ، فهدمت بمباشرة مُعَدَّيْب^(٢) القاهرة . وصر بصناعة العمار^(٣) ، فرسم بسد طاقات الدور المجاورة للنيل فسدت .

(١) ليمباطور الدولة البيزنطية إذ ذاك هو (Isaac II Angelus, 1185-1195) ، وقد تقدم ذكر ما كان بينه وبين صلاح الدين من الملات الحسة قبل تلك السنة . انظر ص ٩٨ حاشية ١ .
(٢) أبا القزويني (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤) في شرح وظيفة المحتب ولا يحب فإنه قد تولى هذه الوظيفة سنة ٨٠١ هـ (Quatremère : Maml. I. Pref. p. 1) . وهذا نص ما كتبه عنها ، وأما الحبة فإن من اتند إليه لا يكون إلا من وجوه السفلي وأعيان المديان ، لأنها خدمة دينية . وله استخدام الثواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة ، ككتاب الحسكر . وله الخلوس بعماد القاهرة ومصر يوما بعد يوم . ويطلب نوابه على أرباب الحرف والمعايش ، ويأمر نوابه بالتم على فبور المراسين ونظر لهم ومعرفة من حراجه ، وكذلك الطبايح ويتبعون الطرافات ، ويعتنون من المضايقة فيها . ويلزمون رؤساء المراك أن لا يحملوا أكثر من وسى السلامة ، وكذلك مع الخالين على الهائم . ويأمرهم القاتين بطعية الروايا الأكرسية ، ولم غير وهو أربعة وعفرون دلو ، كل دلو أربعون رطلا ، وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضيقة لموراتهم وهي زرق . ويتدرون على المسكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا في قتل ، وكذلك على اليوم يتحذرون من التبرير بأولاد الناس ، ويقعون على من يكون سيء المعاملة ، فيهنونه بالزور والأدب . وينظرون المسكاتب والوزن . وللمحسب النظر في دار الجار . ويطلع عليه ، ويقرأ سطره بمصر والقاهرة على المنبر ، ولا يحال به وبين مصلحة إذا رآما ، والولاية تشد مه إذا احتاج إلى ذلك ، وجاريه ثلاثون دينارا في كل شهر . هذا ويذكر القفشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ص ٢٧) أن قد كان بالقاهرة محسب له العصرف بها وبالوجه البحري عامة ، خلا الإسكندرية . فإن لها عقبا يخصها . وبالعصا محسب ثالث مرتبة أقل أهمية من الأول ، ودائرة اختصاصه القسطل والوجه القبلي بكاله . انظر أيضا القفشندي : صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٨٧ ، ج ٤ ، ص ٤٥١ ؛ و (Q-Demom- bynes : Op. cit., introd p. LXXVII, etc) . انظر كذلك عبد الرحمن الصدي البنداري البنداري : كتاب نهاية الرتبة في طلب الحبة ، لعمر السيد الباز العربي (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦) .

(٣) اسم أطلق فيها بعد على صناعة مصر . انظر ص ٧٤ ، حاشية ٧ ، والمراجع التي بها .

وفي صفر غُيِّرت ولاية الأعمال . وفي عاشره حلف العزيز لسمه المادل . وفي ثالث عشره عاد العزيز من الصيد بالجيزة . وفي هذا الشهر غلت الأسعار ، فبلغ كل مائة أردب ثمانين دينارا . وفي خامس عشره قدم فارس الدين ميمون [القصرى^(١)] مقطع صيداء ، وسيف الدين سنقر للمشغوب ، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الثقيف ، مفارقين للالك الأفضل . فدفع [العزيز] لميمون خمسمائة دينار ، ولسنقر أربعمائة دينار ، وللمشغوب ثلاثمائة دينار .

وفي ربيع الأول اشتد الأسر في الزحام على الخبز لقلته في الأسواق ؛ ووقع الحريق في عدة مواضع بالقاهرة . وفي عاشره أخرجت خيمة السلطان للسفر . وفي ثالث عشره أغل السمر قليلا ، وورُجِد الخبز في الأسواق . وفي نصفه ورد كتاب [علم^(٢) الدين] قيصر بأنه تسلم القدس من جرديك في تاسمه ، وتسلم صليب الصليوت ؛ وقرّر [أيضا] إعادة جبيل من الفرنج . وفي سادس عشره قدم بدر الدين لؤلؤ بكتاب الأفضل بخبر جبيل ، وسبب قنوم ميمون ورفيقه . وفيه نزع^(٣) السمر ، وبلغ كل مائة أردب إلى مائة وخمسة وسبعين دينارا ، وعظم ضجيج الناس من الجوع . وفي سابع عشره وصل صليب الصليوت من القدس ، وهو خشبة مسرصة بمجوهر في ذهب . وفي ثامن عشره ولي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي قضاء القضاة بديار مصر ، عوضا عن صدر الدين بن درباس ، بناية جماعة من الماليك به ، وغُلِّع عليه . وفي سلخه قدم رسول للالك المادل .

وفي تاسع ربيع الآخر هدم المحتسب حوانيت وإصطبلًا كان صدر الدين بن درباس أنشأها^(٤) في زيادة الجامع الأزهر بمحوار داره ، ودفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره . وقوى عزيم السلطان على السفر ، وبعث بهرام بقرض له مالا من تجار الإسكندرية ؛ وطلب من قاضي القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام ، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار ، فحملت

(١) انظر أيا القناء (المختصر في أخبار البصر ، ص ٨٧ ، في (Rec. Hist. Or. I.) .

(٢) انظر ابن شداد (التوابع السلطانية ، ص ٣٢٩ ، في (Rec. Hist. Or. III.) .

(٣) في س نزع بغير ضبط . (٤) في س انشاء .

إلى الخزانة . وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه ، وأحال به على بيت المال ، وقرر استخراج [منه] ، وأمر بحمله إلى القاضى . هذا وقد تأخر القرض الذى كان السلطان صلاح الدين أقرضه فى نوبة عكا ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فلم يوف منه إلا سيرا . وفى سادس عشره توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبل . وفى يوم الخميس تاسع عشره خرج السلطان إلى غنيمه ببركة الجب ، واستتاب فى غيخته بهاء الدين قراقوش^(١) ، ومعه ثلاثة عشر أميراً ، ونحو سبعمائة فارس . وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميراً ، فى ألفى فارس وألف من الحلقة^(٢) .

وفى ثالث جمادى الأولى استقل السلطان بالمسير ، ونزل على دمشق فى تاسع جمادى الآخرة ، ودخل عنها فى ثامن عشره بشفاعه عمه الملك العادل .

وفى تاسع رجب دخل الأفضل دمشق ، بعد أن تقرر الصلح بينه وبين أخيه الملك المرزب فى سادسه .

(١) فى قراقوش .

(٢) كانت الجيوش النظامية فى مصر من الأيوبيين مكونة من ثلاث طلائع من التبراء والأجانب ، وأصلها كلها من الأربعة ، وليس بينها صفات مشتركة سوى أنها من أسواق النخلة ، بالفرافز وكسيا الصرى وشواطيى البحر الأسود . وأول تلك الطلائع السلطانية ، وهذه عبارة عن مشغريات السلطان وأجلاؤه — وأولادهم — وما يتبقى عنده من ممالك من سبقه فى السلطة . ومن هذه الفئة الممالك الحاسكية ، وتسمى من بقية الممالك السلطانية بانصواء أفرادها وهم صفار فى خدمة السلطان ، فهو الذى يتولى تربيتهم وعقوبتهم ، وصحبات الممالك السلطانية جميعاً من ديوان الفرد . أما الفئة الثانية من الجيوش النظامية هى أجناد الحلقة ، وهذه مكونة من عتق الجنديّة ، من ممالك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهى أقرب الفئات إلى نظام الجيش الثابت فى المصور الحديثة ، وصحباتها من ديوان الجيش . والفئة الثالثة ممالك الأمراء ، وهى شبه فرقة الممالك السلطانية ، غير أن أفرادها تابعون مباشرة لأسمائهم . ومنهم تتكون الوحدات الحربية التى يذهب بها الأمراء مع السلطان فى حروبه . وهذا ولم يكن فى هذه الجيوش من العناصر المصرية أو الشامية سوى ما يلحق الحملات الحربية عادة من اقتفاء ولقريين والصناع والأطباء

وزعر العلة . (G.-Demombynes : Op. cit. Pref. p. XXX et seq.)

وفي رابع شعبان دُفَّت البِشائر^(١) بالقاهرة، فرحاً بالصلح بين الأولاد الناصرية، وزُيِّنَت الأسواق وفيه انحط السمر. وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلبخ شعبان. وفي سابع رمضان وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعيالم من دمشق، والديوان في ضائقة شديدة، فحجزوا عن إقامة وظائفهم ومطالبهم وجرايتهم، فبرزوا في الدار العزيرية. ونزعت الأسعار في الماء كولات كلها. وفي تاسع عشر موصل عز الدين أسامة^(٢) مفارقة للأفضل.

[سنة إحدى وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة إحدى وتسعين، والعزيز على عزم السير إلى الشام . فاستشار الأفضل أصحابه، فنهض من أشار [٣٣٣ ب] عليه بمكاتبة العزيز واسترضائه . وأشار الوزير [ابن الأثير] عليه بالاعتصار بعمه العادل، واستنجاهه على العزيز، فأصغى إليه . وكثرت الإشاعة بقصد العزيز إقامة الخطبة في دمشق باسمه، وضرب السكة^(٣) له . فأنزعج الأفضل، وخرج من دمشق في رابع عشر جمادى الأولى، وسار جريداً إلى عمه العادل، فلقاه بصقين . فلما نزل ألحقت الأفضل في المسألة له أن ينزل [العادل] عنده بدمشق، ليجريه من أخيه العزيز، فأجابته وأنزله بقلة جدير . ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها في تاسعة . ودخل الأفضل إلى حلب على البرية^(٤)، مستصرخاً بأخيه الملك الظاهر، فلقاه وحلف له على مساعدته . ثم رحل عنه إلى حماة، فلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد بن المظفر، وحلف له . ثم سار عنه إلى دمشق، فدخلها في ثالث عشره وبها العادل؛ فأفضى إليه بأسراره . وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل، وسوء تدبيره وقبيح سيرته، فانحرف

(١) كثيراً ما يذكر المؤرخون هذه العارة بعد إيراد حادث سار، وكان يقوم بإعلان البشائر فرقة موسيقية بالقاهرة، ولها فرقة الكوسية للذكورة في القلشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٩، و ١٣؛ والبشائر أيضاً الرسائل التي كان السلاطين يبعثون بها إلى البلاد والأعمال، في الأعياد والمواسم والمهرودات السارة، وكانوا يتخلفونها عادة بالطبيب . (هس المرجع، ج ٣، ص ٥٠٩) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. Bashir) و كذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar. & Lane : Lexicon) .

(٢) في س سامة . (٣) في س السكة، وهي بالين أفضح . (عيط المحيط) .

(٤) بئر ضبط في س، وهي الصحراء الواقعة بين أراني القرام والشام . (Blochet : Op.

عنه ونهاه فلم ينته ، إلا أنه مبالغ في كرامة عمه ، حتى أنه ترك له السنجق ^(١) . وصار العادل يركب بالسنجق السلطاني في كل يوم ، ويركب الأفضل في خدمته .

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة ، من أجل ميل الملك للنصور صاحب حماة إلى العادل . فسير [الظاهر] إلى أخيه العزيز يجره على قصد الشام ، ووعدوه بالمساعدة له على الأفضل ، فوافق ذلك غرضه ، وخرج من القاهرة ^(٢) بساكره في ^(٣)

فلما قارب [العزيز] دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستألمهم ، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسيديّة تنافس ، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسيديّة . فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطائفتين ، ونفرت الأسيديّة من الملك العزيز . وكاتب [العادل] العزيز سرا يخوفه من الأسيديّة ، ويمثله على إبعادهم عنه ؛ وكاتب الأسيديّة ، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه . فحاق ما مكره وتم له ما دبره ، وعزموا على مفارقة العزيز ، وحسنوا

(١) لفظ تركى يطلق في الأصل على الرمح ، والمراد به هنا الراية التي تربط به ، والجمع سناجق . وهي رايات سفر صفار ، يحملها السجقदार . ويظهر أن الماده كانت أن يركب السلطان في اللواكب زمن السلم بالسناجق فقط ، أما وراكب الحرب ، فكان سبى السلطان فيها بالأعلام ، ومنها السناجق ، ثم راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب ، عليها ألقابه واسمه وتسمى العصاية ، ثم راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش . وتولى أمر هذه الأعلام كلها الأمير علم . (الفلتقى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨٤ ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ ، ٤٥٨) . وهذا في ركوب الأفضل في خدمة العادل إشارة إلى استعداده للاعتراف بسمه ملكا بدلا من الزير . (Blochet : Op. cit. p. 280. N. 2) .

(٢) يزو ابن الأثير (السكامل في التاريخ ج ١٢ ، ص ٧٩) ما حدث تلك السنة من الوحشة إلى عدم وثوق الظاهر صاحب حلب بحسن نية عمه العادل نحو أولاد أخيه . وابن الأثير معاصر معروف بالصبر ، وهذه عبارته : « وكان أبلغ الأسباب في ذلك وثوق الأفضل بالعادل ، وأنه بلغ من وثوقه أنه أدخله ببلده وهو غائب عنه . ولقد أرسل إليه أخوه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له : أخرج عننا س بيننا فإنه لا يجيئ علينا منه خير ، ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد . وأنا أعرف به منك وأقرب إليه ، فإنه عمي مثل ما هو عمك ، وأنا زوج ابنته . ولو علمت أنه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك . فقال له الأفضل : أنت سيء الطن في كل أحد . أي مصلحة لنا أن يؤذينا ؟ وهذا كان أبلغ الأسباب ، ولا يلحقها كل أحد » . (٣) ييان في س بقدر غش كلمات ، وليس في ب (٤١) أي إشارة إليه .

للأكراد والمهرانية موافقتهم ، فانقادوا إليهم . وكان مقدم أسراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الميجاء^(١) السمين ، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية . واتفقوا بأجمعهم على مفارقة الميز (١٢٤) والانضمام إلى العادل والأفضل ، ومضايقة الميز . [عقدوا النية على] مكاتبة من بقي منهم بمصر ، أن يستقبلوا الميز ويحولوا بينه وبين القاهرة ، فيصير [بذلك] بين الفريقين ، ويؤخذ باليد .

فلما كان في عشية الرابع من شوال رحل الأمير أبو الميجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية ، وهم لا بسون لامة الحرب ، ولحقوا بالعادل فسر بهم ، لأنهم معظم الجيش . فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل الميز يريد مصر ، وهو متخوف من الأسدية للقيدين بالقاهرة . وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي فلم يتخير على الميز ، ووصل إلى القاهرة في ... (٢) ... فاستقر بها .

ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق ، ومعه الصاكري يريد أخذ القاهرة ، لما داخله من الطمع في الميز . واتفق مع الأفضل على أن يكون العادل ثلث البلاد المصرية ، ويكون ثلثاها للأفضل . فأجابه إلى ذلك ورحل من دمشق ، وخرج [معهم] أيضاً [النصور] صاحب حماة ، وعز الدين بن القسدم ، وسابق^(٣) الدين [عثمان] بن الهاية صاحب شيزر^(٤) . واستخلف [الأفضل] بدمشق [أخاه] الملك الظاهر خضر [صاحب

(١) في س أيا . (٢) يباس في س وليس في ب (٤١ ب) إشارة ما إليه .

(٣) في س سابق . انظر بعض أخباره بالمحاشية التالية .

(٤) بنز ضبط في س ، وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام ، على حد قوله بإقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٥٢) . وتقع قرب المرة ، بينها وبين حماة يوم ، في وسطها نهر الأردن (Orontes) . وقلعة شيزر شهرة كبرى في التاريخ ، فقد كانت مقر إمارة بني منذر السكنايين ، منذ ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . وبها ولد أسامة بن منذر الشاعر ، صاحب كتاب الاعتبار ، في اليوم السابع والعشرين من شهر حاتم الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يولي ١٠٩٥ م) ، أي قبل ابتداء الحروب الصليبية بضع سنين . وقد خب أسامة في تلك الحروب ووض ، وكتابه الاعتبار المذكور ثبت لمذكرات طلبة خافية عنها ، وقد وصف فيها ابن منذر تجاربه وأعماله . هذا وملاحظاته عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية فريدة في بابها . (HHU : Usamah ibn Munqidh) وقد انتهى ملك النافذة لقلعة شيزر سنة ٥٥٢ هـ ، بوفاة آخر أمراءها تاج الدولة ناصر الدين محمد ، من جراء زلزال عنيف حال بشيزر ، في هي معظم أهل بته أيضاً . وفي هس العام استولت الإسماعيلية على شيزر ، ثم أخذوا منها ==

بصرى^(١)]. وانضم إليهم عز الدين جرديك التورى نائب القدس. فلما وصلوا تل^(٢) الصبول، أدخل [الأفضل] على جميع الأسدية، وعلى الأكراد الأفضلية، وأعطاهم الكوسات^(٣). وسار الأفضل إلى القدس، وتسلمه من جرديك، وأعطاه ييسان وكوكب والجلولان^(٤) والتمنيحة^(٥). ثم سار السكر حتى نزل على بليس، وبها جوع الصلاحية والعززية، ومقدمهم فخر الدين جباركس على الصلاحية، والأمير هكدرى بن يعلى الحميدى على طائفة الأكراد، فنزلهم العادل والأفضل.

وكانت أيام زيادة ماء النيل، والأسماغالية والطف متمنر. فبلغ السكر الواصل الجهد، وندم أكابرهم على ما كان منهم. هذا والعزيز يد أهل بليس بالمرأكب المشعونة بالرجال والعدد. فبلغ ذلك الأسدية، فركبوا إلى المرأكب، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها. وأسروا خلقاً، وسلم ثمانية مرأكب عادت إلى القاهرة. واشتد الحصار على بليس حتى كادت تؤخذ، وضاق العزيز بالقاهرة، وقلت الأموال عنده. وكان محبباً إلى الرعية، لما فيه من حسن السيرة، وكثرة الكرم والرفق. فلما نازل العادل والأفضل (٣٤ ب) بليس احتاج إلى استخدام الرجال، فلم يجد عنده مالا، فبذل له الأغنياء جملة أموال، فلم يقبلها.

== السلطان نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤ هـ، وأقام عليها مجد الدين أبا بكر بن الداية، وهو أخوه من الرضاع، ولها سمي بابن الداية. ومات مجد الدين سنة ٥٦٥ هـ، وخلفه على شيزر أخوه شمس الدين على بن الداية، ثم سابق الدين عثمان المذكور بالحق. انظر (Enc. Isl. Art. Shaizar)، وكذلك أبا شامة: كتاب الرستين، ص ٩٥، ١٤٩، ١٥٠، في Rec. Hist. Or. IV، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٢٠.

(١) راجع (Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket).

(٢) جهة بين عكا والماتية (ابن شداد: التواريخ السلطانية والمحاسن البوسية، ص ١٥٢، حاشية ١، في Rec. Hist. Or. III). (٣) الكوسات من رسوم السلطات وآلاته، «ومى صنوجات من نحاس شبه القرس الصغير، ينفذ بأحدها على الآخر بإفهام مخصوص»، ويتولى ذلك الكوسى. (القفندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩، ١٣) أما إعطاء الكوسات لهؤلاء الأمراء، بعد خلع الأفضل عليهم، فالراجع أن مثناه أنه منع كلاً منهم رتبة أمير بلطغانه، يصح من حق الواحدة منهم أن يكون له بلطغانه خاصة تدعى كوساتها على باب. (انظر خليل بن شاهين: زيادة كشف الممالك، ص ١١٣؛ وأيضاً Quatremère: Maml. II, pp. 147).

(٤) بشير ضبط فى س، وفى قرية — وقيل جبل — من بولس دمشق، ثم من عمل الأردن.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) بغير ضبط فى س، وفى قرية من قرى دمشق بالقوطة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤،

وكان القاضي القاضى قد تَزَّه عن ملاعبة القوة ومخالطة أهلها ، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال .

وكان عبدالكريم بن علي اليسانى يتولى الحكم والإشراف^(١) في البصرة مدة طويلة ، فحصل من ذلك مالا جماً . ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضي القاضى مشاجرة اقتضت انتضاع حاله عند الناس بد احترامهم إياه ، فصرف عن عمله . وكان متزوجاً بامرأة موسرة من بني ميسر^(٢) ، فسكن بها في ثغر الإسكندرية ، وأسأ عشرتها ، لسوء خلق كان فيه . فسار أبوها إلى الإسكندرية ، وأثبت عند قاضيا ضرر ابنه . فضى القاضي بنفسه إلى الدار ، فلم يقدر على فتح الباب الذى من داخله المرأة . فأمر بنقب النار ، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها ، أعاد بناء النقب . فضضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة ، وبذل للأمير خير الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية ، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية ؛ وحل ذلك بأجمعه إلى خير الدين جهاركس . فأحضره جهاركس إلى العزيز ، وهو حينئذ غاية الضرورة إلى المال ، وقال : « هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تب » ، وعرفه الخبير . فأتى طريق [العزيز] ملياً ، ثم رفع رأسه وقال : « أعد المال إلى صاحبه ، وقل له إياك والعود إلى مثلها ، فما كل ملك يكون عادلاً ، وعرفه أنى إذا قبلت هذا منه أكون قد بعت به أهل الإسكندرية ، وهذا لا أضله أبداً » . فلما سمع هذا جهاركس وجم ، وظهر في وجهه التغير . فقال له العزيز : « أراك واجماً ، أظنك أخذت على الوساطة شيئاً » . قال : « نعم ! خمسة آلاف دينار » . فأتى طريق العزيز ، ثم قال : « أعطاك مالا تنتفع به ، وأنا أعطيك قبالته

(١) اختصاص وظيفة الإشراف للقصور هتا مراقبة الأمور المالية عامة في جهة معينة ، من قبل سلطان أو أمير ، ويسمى بتوليها الصرف . (التفتندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٦٤ — ٦٦) . انظر أيضاً (Supp. Dict. Ar & Blochet : Op. cit. p. 283, N. 1.) . وبالتفتندى (نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٤٥٤) وظيفة أخرى ، يسمى صاحبها المعروف أيضاً ، وإنما عمله الإشراف على المطبخ السلطاني ، ومراقبة الألبخة به .

(٢) لها سليلة البيت الذى منه ابن ميسر ، صاحب كتاب تاريخ مصر ، الذى لعمري (Henri Massé) . انظر فهرس الكتب البرية بدار الكتب الملكية المصرية ، ج ٥ ، ص ١٧) .

ما تنتفع به سمات عديدة ؛ ثم وقع له بخطه إطلاق حجة طنبذة^(١) ، ومثلها في السنة سبعة آلاف دينار . فلامه أصحابه ، وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل ، فاستدعاه إلى مجلسه ، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق . فعند ما عين القاضي الفاضل استحميا منه ، ومضى إلى دار الحرم ، احتراماً له من مخاطبته في القرض . فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من (١٢٥) عند الحرم . فلما اجتمع بالفاضل قال له ، بعد أن أطلب في التناء عليه : « قد علمت أن الأمور قد ضاقت عليّ ، وقلت الأموال عندى ، وليس لى إلا حسن نظرك ، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك » . فقال [القاضي الفاضل] : « جميع ما أنا فيه من نصيحتكم ، ونحن نقدم أولاً الرأى والحيلة ، ومتى احتيج إلى المال فهو في يديك » .

وافق أن المادل - لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق - استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز ، فسيره إليه . وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بليس ما جرى ، خاف على الملك أن يخرج من يده ، فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب ، ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده . فرق له المادل ، وأستدعى [القاضي] الفاضل^(٢) . فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ، وما زال حتى تقرر الأمر على أن الأسيدي والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز ، من غير أن يؤاخذهم بشئ ، وورد عليهم إقطاعاتهم ، وحلف العزيز لم يحلفون له ؛ وأن يكون المادل مقبياً بمصر عند العزيز ، ليقترروا قواعد ملكه ؛ وأن العزيز والأفضل يصطالحان ، ويستقر كل منهما على ما يبيده . فناد [القاضي] الفاضل ، وقد تقرر الأمر على ما ذكر ، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء .

وخرج العزيز من القاهرة إلى بليس ، فالتقاء عمه المادل وأخوه الأفضل ، ووقع الصلح التام في الظاهر . ورحل الأفضل يريد الشام ، ومعه الأمير أبو الميجاه السنين ،

(٢) في س بالقاضل قط .

(١) في س طنبذى .

وصار الساحل جميعه مع الأفضل . وعاد العزيز إلى القاهرة ، وصحبته معه العادل ، فأنزله في القصر من القاهرة . وأخذ [العادل] في إصلاح أمور مصر ، والنظر في ضياعها ورياعها ، وأظهر من محبة العزيز شيئاً زائداً ؛ وصار إليه الأمر والنهي ، والحكم والتصرف ، في سائر أمور الدولة ، جليلها وحقيرها . وصرف القاضي مجي الدين محمد بن أبي عصرون عن قضاء مصر ، ووُلّي زين الدين^(١) أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بُندار^(٢) الممشقي . وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج . وفيها ورد كتاب ملك الروم^(٣) ، يتضمن أن كلمة الروم اجتمعت عليه ، وأنه أحسن إلى المسلمين وأسرهم بإقامة الجامع ، فأقيمت الصلاة فيه يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة ، و [أنه] عمر جانباً منه كان انهدم من ماله ، فتمكن من في القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها . واتمس [ملك الروم] الرصية بالبطرك والنصارى ، وأن يُسَكَّنوا من إخراج موتاهم بالشع للموقد ، وإظهار شعائهم بكنائسهم ، وأن يُفْرَج عن أسارى الروم بمصر . وفيها عزل زين الدين علي بن يوسف [بن بندار] عن القضاء في حادى عشر جمادى الأولى ، بمجي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله ابن هبة الله بن عصرون .

[سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة اثنتين وتسعين ، ففي أولها وصل الملك الأفضل إلى دمشق ، وتفرقت الساكر إلى بلادها . ولزم الأفضل الزهد ، وأقبل على العبادة ، وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير ؛ فاختلت به الأحوال غاية الاختلال ، وكثر شاكوه . وضبط العادل أمور مملكة مصر ، وعوّ الإقطاعات ، ووفر الإرتفاعات وعمال (٢٠ ب) الأعمال ، ونَمَر الأموال ؛ وقرب إلى الوزير الأمير عز الدين أسامة^(٤) ، فصار صاحب سره وحاجبه ، والواسطة بينه وبين عمه . واختار الأمير صارم الدين قايمآز التنجي بالعادل ، وصار صفوته .

(١) في س أبي . (٢) مضبوط على سمية في ياقوت (معجم البلدان) ج ٦ ، فهرس الأوس ٣٠٢ ، وكذلك ضبط في القاموس المحيط بغير الواحش . (٣) ذاب الأمير بطون إسحاق التتايح للمسلمين حتى آخر حكمه سنة ١١٩٥ م . (انظر ص ١٢٠ ، حاشية ١) . (٤) في س س

[وفي] يوم السبت ثاني عشر^(١) [الحرم] رقت يد ابن أبي عصرون وأبدي نوابه من الحكم ، وأمر أن يعتزل في بيته ، وإن يخرج عن مصر ؛ فأغلق بابهُ ، وشرع في تجهيز^(٢) نفسه ، وتوسل في إقامته . وفي سابع عشره خلع على زين الدين علي بن يوسف [بن بندار] ، وأعيد إلى القضاء ، عوضاً عن ابن أبي عصرون .

وفي أول صفر حبس الملك العزيز ناحية النجربة^(٣) من النفوس على زاوية الأمام الشافعي بالجامع العتيق بمصر ، وفوض تدريسها إلى البهاء بن الجبزي .

وفي صفر وشهر ربيع [الأول] كثرت الطرقات من الأموات على الطرقات ، وزادت عندتهم بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس ؛ وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه ، وأكثرهم يموت جوعاً . وانتهى القمح إلى مائه وثمانين ديناراً المائة أردب ، وانجز إلى ثلاثة أطلال بدرهم . وعمد الضعفاء إلى شراء الجرار ، وغدّوا إلى البحر وترددوا إليه ، ليستقوا منه في الحرار ، ويبيعوها بثمان درهم الجرة . وقد لا يجلون من تشتريها منهم فيصيحون : ” من يتصدق علينا بثمان هذه الجرة ، ومن يشتريها منا بكسرة ؟ “ . وزاد السر ، وضاق الخناق ، وهلك الضعفاء ، وفشا الموت ، وأكثره في الجياح . وصارت الأقفاص التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات ، ولا يقدر على النعوش إلا بالنوبة . وامتدت الأيدي إلى خطف أنواع الخبز ، — ويضرب من يهيب ، ويُشج رأسه ، ويبال دمه ، ولا ينقهي ولا يرمي ما في يده بما خطفه . وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب^(٤) ، فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه^(٥) .

(١) في س عشره . (٢) في س تجهيزه . (٣) بشر ضبطي س ، واسمها أيضاً العامره . (P. Omar Toussoun : Op. cit., T. I. 2. 297.)

(٤) كان ابن ثعلب من أغنياء الصعيد ، وكان على إقامته غالباً بلدة دروت (ديروط) سرها بالصعيد ، وهي قرية كثيرة البساتين والنخل ، أُنشأ فيها الشريف المذكور جامعاً على قمرة التهي ، وهي بحر يوسف الحالي. (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ . انظر أيضاً للفرري : المواضع والأعبار ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ٢٠٥ و ٢٠٦ .) (P. Omar Toussoun : Anc. Branches Du Nil. P. 71.) (٥) العبارة الآتية واردة في ورقة منفصلة بين المصحفين ٣٥ ب ، ٣٦ ، وليست لها علاقة بالثن ، وقد أوردت ها لرفعوها =

ورود^(١) الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نُقل في يوم عاشوراء، من قلعة دمشق إلى تربة عمت له، فكان يوماً مشهوراً. وفي تاسع عشره قدم الملك الزاهر داود^(٢) [مجير الدين] صاحب البيرة، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر، وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب، وخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب، وقدم العهد الكاتب^(٣) [أيضاً].

ورود الخبر بأن عربان النرب هبطوا إلى البحيرة واشتروا القمح كل وبيئة دينار، وأن بلاد النرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة، وزاد الجراد بالشام، وعظم خطبه. وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحُميات المحرقة، وزادت وأفرطت. وغلت الأشرية والسكر وعقاقير العطار، وبيعت بطبيعة بأربعة وعشرين درهماً. وصار القروج لا يقدر عليه، وانتهى سعر القمح إلى مائتي دينار كل مائة أردب. وغلظ الأمر في الفلاء، وعدم القوت، وكثرت السُّؤال، وكثرت الموتى بالجوع،

== قبالة الكلام السابق. ونصها: "قال القاضي القاضى فى مياوماته : وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر، يعنى سنة اثنين وتسعين وخمسة، ورد خبر من عدة أئمة، ونصته كتب، واستبدعه كل سامع، وعه كل فهم، فذكرناه بخبر الشراء (كنا). وهو أنه حضر إلى ديوان الخليفة ببغداد جماعة من حجاج خراسان، وأخبروا بتوالى الأخبار على أئمة السفر، بأن مولوداً ولد فى بنار، كما يولد غيره من البشر، وأنه ساعة وقوعه على الأرض ربا وعانوا خارفاً للمادة. وبعد ثلاثة أيام من ولادته تكلم كلام محصل، وناطب كل قوم بلفتهم مدة ثلاثة أيام أخرى. وقال لا سئل عن كلامه قبل أوأته، وقيل إنه ماتكم فى المهد إلا عيسى المسيح، فقال فى أسوة به، ولا تصحبوا منى ولا من خلق، فأبى الذى يسمى "بدي ملك الدنيا وأهلها البسة". وهذا آخر ما سمع منه، ثم سكوت. واستمر نموه إلى ثلاث سنين، وبقي على حاله وصورته، وهى صورة جملة مرضية، لا تقابله عين إلا ارتجت عنه، وقد ستر وجهه عن البصير. وشعره أبيض كأنه شريط القضة، ولا يحمله جل ولا فيل. وقيل له وقت كلامه: ما مركبك؟ فقال يخلق الله لى دابة تحملى. ويأكل لحوم الخيل والنم ذبيحة، ولا يحمل ميتة، ويعرب لبن الخيل، ولذا قد كلفنا فى طول الرجل الطويل". هذا ولعل مياومات القاضي القاضى فى المسألة بالتبديدات فى (Enc. Isl. Art.)

Al-kadi al-fadli).

(٣١ و٣) هذه العبارة الواردة بين الرافين فى المتن موجودة بهامش الصفحة فى س، غير أن المؤلف لم يعصر كعادته إلى الموضع المناسب لما يلى، على هذا الترتيب فى ب (١٤٢). (٢) آخر أولاد صلاح الدين، حياً جاء فى (Lane Poole: Saladin. Table II. in pocket) ومولده سنة ٤٧٤ هـ. انظر أيضاً أباً شامة (كتاب الروضتين، ص ١٠٦، فى Rec. Hist. Ar. V.). (٣) انظر لاشية ٣

وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الزيل. وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضاً بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرعى بها على الطرقات. وعلمت^(١) للواسة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال. وشوهد من يبحث للزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات اللوائد وكنسرات الآدر^(٢)، ومن يقفل^(٣) بابه ويموت، ومن عى من الجوع (١٣٦) ويقف على الحوانيت ويقول: "أشحنوني رائحة الخبز".

واستخدم رجل في ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة. وجعل الطواشي [بهاء الدين] قراقوش^(٤) الشاذ في هذا المال، وألا يتصرف فيه، وأن يكون في صندوق مودعاً للمهمات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب [الشريف] الجعفرى بخبز^(٥) مبلته في السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس^(٦) وعلم. وآل الأمر إلى وقوف وظيفته الدار المزبزية [عليه] من لحم وخبز، وإلى أن يتمسك في بعض الأوقات لاكلها، لبعض مايتبلغ به [أهلها^(٧)] من خبز، وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع.

وفي شهر ربيع الآخر صرف صادم الديم خطليج النزي عن شدة الأموال بالدواوين، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش^(٨)، مصافاً إلى شدة الزكوات فأكمل شد المال له. وفيه كثرت الموت، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض. واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام. وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضى يوم إلا عن عدة جناز من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة. وصارت الجبانات لا يستطيع مقابلتها، ولا زيارة قبورها. وأخذت الأسعار في الانحلال.

(١) في س عدم. (٢) في الأدر بشر بسيط، وهو بالمد جمع دار. (القاموس المحيط لقفروزيابادى).

(٣) في س يقول لياه. (٤) في س قراغش. (٥) في س بحر. (٦) انظر س ١٢٦، حاشية ٣.

(٧) أشيف ما بين الأنواس بعد مراجعة (Blochet : Op, cit, P, 239). (٨) في س قراغش.

وفي مجادى الأولى تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق ، فوقع العزم على السير إلى الشام . ووقع الشروع في الإنفاق في الحاشية ، قبضوا شهراً واحداً . وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهراً ، فإن المادة قصرت عن شقة ذلك لهم ، فأحيل بعضهم على جبات . وامتنع الجاندارية^(١) من قبض شهر ؛ وانعى ذلك إلى الوزير ، فكتب إلى خطيباً بإخراجهم إلى الحميم ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش^(٢) ، واستخدمه في السور . فخرجوا بأنفس غير طيبة ، وألسنة بالشكوى معلنة . وكان المال الذي أُشق في الحاشية قد اقترض من الأسماء ، وأحيل به على الجوالى لسنة ثلاث وتسعين . وخرج الوزير إلى الحميم ، وحرك الأسماء تحريكاً قوياً ، وسير الحجاب^(٣) إلى البلاد تحت الأجناد ، فتتابع خروج الناس . ووقع الرحيل من بركة (٣٦ ب) الجب في ثامنة ، فرحل السلطان العادل والوزير ، وجميع الأسدية والماليك

وفشت الأمراض الحادة ، فما ينقضى وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز . وغلت الأدوية ، وبلغ القروج إلى ثلاثين درهماً ، والبطيخة إلى مائة درهم . وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية ، وأموات لا تتألق . وكثر الوباء والموت بالإسكندرية . وفي آخره انحلت الأسعار ، وزلت النلة إلى ثمانين ديناراً كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم . وقل السؤال ، وارتفع اللواتن ، بعد أن جُلب من قوص فراريج أبيع كل

(١) الجاندارية ثمة من ممالك السلطان أو الأمير ، ومثلها الخاصكية . وهي مركبة من نظيين فارسين أحدهما حاكم ومناه سلاح ، والثاني دار ومناه مملك . أما الحمداني بالمعنى فوظف آخر ، وهو «الذي يتصدى لإناس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله جاما دار ... من نظيين فارسين ، أحدهما جاما ومناه الثوب ، والثاني دار ومناه مملك» . (الفقهني : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩) . هذا وموسوع وظيفه أمير جاندار السلطان «أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ...» (نفس المرجع، ج ٤، ص ٢) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. Djandar) ، وما هناك من المراجع .

(٢) في سنن قراقوش . (٣) مر ذكر وظيفة الحجاب أكثر من مرة ، غير أنه أرجح شرحها إلى هنا ، وعمل صاحبها أن «ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه ، وتارة بمراجعة النائب إلى كان ، وإليه تقديم من يمرض ومن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ...» (الفقهني : صبح الأعشى ، ج ٤، ص ١٩) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. Hadjib) ، وما يزيلها من اللراجع .

عشرة فراريج بسبعة دنانير، وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك. وفيه نودى في القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم^(١) على الحاج، فليجهز أرباب الثيات.

وفي جادى الآخرة وقف الحال فيما يتفق في دار السلطان، وفيما يصرف إلى عياله، وفيما يقتات به أولاده. وأنفى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن، وما يُنصب من أربابه. وأنفى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات، فإن التمشين من أرباب الدكاكين يزبدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان. فاقضى ذلك النظر في المكاسب الخفية: ومُمن باب المزر والحرباقي عشر ألف دينار، وقُس في إظهاره وبيعته في القاعات والحوانيت، ولم يقدر أحد على إنكار ذلك. وصار ما يؤخذ من هذا السحت ينفق في طعام السلطان وما يحتاج إليه، وصار مال التنوير والجوالى إلى من لا يبالي من أين أخذ المال. وفيه وصل العادل والمزبذ إلى الداروم، وأمر باخرا ب حصنها، فقس على الأمراء الجاندارية؛ فشق على الناس تخريبه، لما كان به من الرفق للمسافرين. وانتفى للمكان إلى دمشق — وقد استمد الأفضل للحرب في أول شهر رجب — فحاصرها إلى أن ملسكاها في العشرين منه، بعد عدة حروب، خان الأفضل فيها^(٢) أسراؤه. فلما أخذ المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما، فاستحيا العادل منه، لأنه [هو] الذى حمل العزيز على ذلك، ليوطى لنفسه، كما باتى. وأمره [العادل]^(٣) أن يعود إلى القلعة، فلم يزل بها أربعة أيام، حتى بعث إليه العزيز أيبك قطيس^(٤) أمير جانداز، وصارم الدين خطلج الأستاذار، فأخرجاه وأخرجا (١٣٧) عياله وعماله^(٥). وأنزل [الأفضل] في مكان، وأوفى ما كان عليه من دين، وما للحواشى من الجوامك. فبلغ ذلك نيما وعشرين ألف دينار، بيع فيها بركه وجماله وبشاله، وكتبه وعماله وسائر ماله؛ فلم توف بما عليه، وقسا عليه

(١) في س مقدما. (٢) راجع تصيلات تلك الحيانة في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ص ٨٠). (٣) انظر قس المرجع والمز، والسفحة المذكورة بالحاشية السابقة. (٤) مضبوط على منطوقه في (Blochet: Op. cit. P. 241) (٥) في س ايه، وإذا صح هنا فقد اشترك العزيز في إخراج أخوته، والراجع إليهم من أمم أخرى. (٦) الترك الخاضعون من تبابوقاش، وفي (Quatremère: Maml. I. I. P. 253) أمم عديدة لاستعمال هنا المقتط، منها "أخذ ما تخلف ... من مال ودواب وبرك". انظر أيضا (Dozy: Supp. Dict. Ar.).

أخوه وعه لسوء حظه . ثم بثث إليه عمه العادل بأمره أن يسير إلى صرخد ، فلم يجد عنده من يسير بأهله ، حتى بثث إليه جمال الدين محاسن عشرة أو صاوه إلى صرخد . وأخذت^(١) من الملك الظاهر مظفر الدين خضر بصرى ، وأعطيت للملك العادل ؛ وأمر [الظاهر] أن يسير إلى حلب ، فلقى بأخيه الظاهر [صاحبها] .

ويقال إن العادل كان قد قرّر مع الملك العزيز — وهو بالقاهرة — أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ، ويعود العادل إلى مصر نائباً عن العزيز فلما ملك العزيز دمشق ، وأخرج أخاه الأفضل منها ، انكشفت له مستورات مكائده . فقدم على مائتره معه ، وبثث إلى أخيه الأفضل سراً يعتذر إليه ، ويقول له : " لا تنزل عن ملك دمشق " . فظن الأفضل هذا من أخيه خديعة ، وأعلم عمه العادل به ، فقامت قيامته ، وعتب [على] العزيز وأتبه . فأنكر [العزيز] أن يكون صدر هذا منه ، وحقق على أخيه الأفضل ، وأخرجه إلى صرخد على أقبح صورة^(٢) . واختفى الوزير ضياء الدين [ابن الأثير] الجزري^(٣) خوفاً من القتل ، ثم لحق بالموصل .

واستقر الأمر بدمشق للعزيز في رابع عشر شعبان : فأظهر العدل ، وأبطل عذة مكوس ، ومنع^(٤) من استخدام أهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية ، وألزموا لبس النيات^(٥) . ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة ، واستخلف عمه [العادل] على دمشق ، وسار إلى القدس ،

(١) في س واحد .

(٢) لابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨٠) رواية أخرى في هذا الصدد ، ونصها : "... جلس [العزيز] يوماً في مجلس شرايه ، فلما أخذت منه الخمر ، جرى على لسانه أنه يبعد البلد إلى الأفضل . فنقل ذلك إلى العادل في وقته ، فغضب المجلس في ساعته ، والعزيز سكران . فلم يزل به حتى سلم البلد إليه ، وخرج منه ، وعاد إلى مصر . وسار الأفضل إلى صرخد . وكان العادل يذكر أن الأفضل سعى في قتله ، فلماذا أخذ البلد منه ، وكان الأفضل ينكر ذلك ويجبراً منه ، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" . (٣) في س الجرري بنير ضبط ، والنسبة إلى بلدة جزيرة ابن عمر ، على القرات ، وهي موطن آل الأثير . (Enc. Isl. Art. Ibn al-Athir) .

(٤) (٥) المباداة التي بين الرقين واردة في س ، ب (١٤٥) ، غير أنها لا توجد في ترجمة (Blochet : cit. P. 242) أما التبار فهو اللبوس الذي تميز به أهل القعة عن الملحين في القرون الوسطى ، ومثله الزنار . (محيط المحيط ، و Dozy : Suppl. Dict. Ar.) .

فلسكها من أبي الهيجاء [السمين] ، وسلمها إلى الأمير شمس الدين سنقر الكبير ، وسار أبو الهيجاء^(١) إلى بغداد .

ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان ، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعاً للملك العادل ، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط . وفي ثامن عشرة ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلفه ، ونودي فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الدراغ السابعة عشر^(٢) . وفي العشرين منه فُتِحَ سد الخليج ، فركب العزيز لذلك ، وكثر المنفردون وازدحم الفؤاد ، وحلوا المصير وتراجعوا بالحجارة ، وقُلت أعين ، وخُطفت مناديل . وكانت (٣٧ ب) المادة جارية بأن يقرر شهر رمضان من اعتصار الحجر ، ألا يبحر شراء العنب والجرار ، ولا يتحدث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك السر . وفي هذا الشهر غلا سعر الأعناب لكثرة العصور منها ، وتظاهر به أربابه لتحكيم تضمينه السلطاني ، واستيفاء رسمه بأيدي مستخدميه . وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار ، وحصل منه شيء . حل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب . وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج — لما فُتِحَ — ، وعلى ساحل مصر ، وتلاوت^(٣) النيل بمعاصي قبيلة . واستمر جلوس العزيز للظالم في يوم الإثنين والخميس .

وفي ثاني شوال كان التَّوَرُّزُ^(٤) ، فجرى الأمر فيه على المادة من رش الماء .

(١) جاء في سط الجوزي : امرأة الزمان ، ص ٥٩٣ ، إن أبا الهيجاء هذا كان مغرط السمس ، وكان رأسه صغيراً وخطه كبيراً بحيث كان على رقة البقلة فلما رآه أهل بغداد دانت سمه أنظار الحرابين هناك ، وسنوا قدورا تشبهه في مفاصلها ، وأسماها أبا الهيجاء ، ورأى ما هو في أسواق بغداد ، «صك منها . (٢) في س عشر . (٣) في س وثلاثين . (٤) يقول الفرزى (للواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٩٣ — ٤٩٤) عن التوروز ما نصه : "وكان التوروز القبطي ... من حلة اللواس [مصر] ، وتحتل فيه الأسواق ، ويقال فيه سي الناس في الطرقات ، وتغرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ولداهم ... وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وعشرين وخمسة ، يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم التوروز القبطي ، وهو سهل توت ، وتوت أول ستم . وقد كان بمصر في الأيام الماضية والدولة المالية ، يعني دولة الخلفاء الناطقين ، من نواسم حالاتهم ... فكانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواشش مريحة في يومه . وركب فيه أمير موسوم بأمير التوروز ، ومعه جم كثير ، وينسلط على الناس في طلب رسم ربه على دور الأكارب بالجلج السكار ، ويقع بالبيور من الهبات . ويجمع المؤتون والماسقات تحت قصر المؤلوة بحيث يشاهد من الخليفة ، وأيديهم اللامع . وترفع =

واستجد^(١) فيه التراجع بالبيض والتصانع بالأنطاع^(٢). وتوالت زيادة النيل؛ فأغشى الباس في إظهار المنكرات، ولم ينهم أحد. وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، وأحيل على الجهات بأضفاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها. واتقى^(٣) العاملون^(٤) إلى من حمام، فلم يجسر صاحب^(٥) الديوان على ذكر من يحميهم، فضلاً عن أخذ الحق منهم، ورفع يده عن حماية من حمام. وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراثة داره من ضمان الخمر والزر. وكانت هذه سنة ما تقدمها أغشى منها، ولا علم أن حمة من المم القاصرة انحطت إلى مثله.

وفد رابع عشرة خرج الشريف ابن نسلب سائراً بالحاج، وخيم على سقاية ريذان^(٦). وكثر

الأسوات، وتغرب الخمر والزر شرباً طاهراً بينهم، وفي الطرف. وشرى الناس بالماء، وبالماء والخمر، وبالماء مزوجاً بالأفذار. فإن غلظ ستور وخرج من داره لقيه من يرشه، وفقد نيابه، ويستخف بجمسته. فلما ندى نفسه، ولما نفع. ولم يجز (س ٤٩٤) المال في هذا التوروز على هذا، ولكن قد رش الماء في الحارات، وأحيا السكر في الدور أبواب المسارات. وقال [القاضي الفاضل] في سنة اثنتين وتسعين وحسبنا: وجرى الأمر في التوروز على العادة من رش الماء، واستجد فيه هذا العام التراجع بالبيض والتصانع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفرو به في الطريق رش بمياه نجبة، وخرق به. قال مؤلفه (الفرزى) رحمه الله تعالى، إن أول من اتخذ التوروز جسيده، ويقال في اسمه أيضاً حشاد، أحد ملوك الفرس الأول، ومعناه اليوم الجديد، ولفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم، غير أنه لا يقع في هذا اليوم، الذي اتخذ الفبط في مصر عيداً لهم، بل يقع يوم الاعتدال الربيعي، أي ٢١ مارس من كل سنة. انظر (Blochet: Op. cit. p. 243. N. ١).

(١ و ٢) المباراة التي بين الرقبين موجودة في س، ب (س ١٤٥)، لكنها غير واردة في ترجمة (Blochet: Op. cit. p. 243). (٣) في س أعت. (٤) جمع طبل، وهو من يتولى تنظيم المسابقات الدروانية وكتاباتها. (الفتنسي: مسيح الأعشى، ج ٥، س ٤٦٦). وكان هذا القلب يطلق في الأصل على أمير العمل أو الجهة، ثم قلله العرب إلى هذا الكاتب، وخصه به دون غيره. ويسمى الفرزى (للمواعظ والاعتبار، ج ١، س ١٠٥) القائمين بذلك الوظيفة بالعاملين. (٥) حلت هذه التسمية محل لقب "متولى الديوان". (المرس ٥٣ حاشية ٤؛ وكذلك الفتنسي نفس المرجع والمراد والصفحة المذكورة بالحاشية السابقة؛ (Q. - Demombynes. Pref. P. LXXII. N. ١).

(٦) جهة قرب الباسية المالية بالقاهرة، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ج ٣، س ١٠٠) أنها بين القاهرة وبليس. وكانت في الأصل بيتاً لرهبان الصقلي، أحد خدام الخليفة العزيز بالله الفاطمي. (الفرزى: المواعظ والاعتبار، ج ٢، س ١٣٩). وعرفت فيما بعد بالريمانية، وعندما انتهز آخر جيوش المماليك الجلبية سنة ٩٢٢ هـ أمام الجيش المماليكي، بقيادة السلطان سليم الأول وصارت مصر بعد ذلك ولاية عثمانية.

القتل بالقاهرة بأيدى السكارى ، وأعلن للنكر بها ، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المر بدين . وكثر ذلك حتى خطفت الأمتة والمآكل من الأسواق ، نهارة نادرا وليلا راجيا واستقرت المظالم للطواشي قراقوش^(١) ، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية ؛ وحماية الديوان وشدة الأموال لفخر الدين جباركس ، مع احتياضه عنها ؛ وأستادارية الدار لصارم الدين خطليج .

وفى تاسع عشره كسر بحر أبى المنجا ، وبأشر العزيز كسره . وزاد النيل فيه أصعبا ، وهى الأصعب الثامنة عشرة^(٢) ، من ثمانى عشرة ذراعا ؛ وهذا الحديسى عند أهل مصر الدجة الكبرى .

وفى ثانى عشره رحل الحاج . وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسى حكمه فى (١٣٨) مصر ، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، من سنة أربعين وخمسمائة ، من الرقايع^(٣) التى كان القبط يخذلونها ، ويتوصلون بها إلى المصادرات ، وخراب البيوت ، وحمارة الجيوس ، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت . فأجع ابن وهيب وكان نصرانى وغيرهما على أوراق عُمِلت ، وانتدب الأسعد بن مئى والشاذل للكشف والرفع إلى فخر الدين جباركس .

وفى ذى القعدة كثروثوب السكارى بمن يلقونه ليلا ، وضربهم إياه بالسكاكين فلا تخلو ليلة من قتل أو قتيلى . ولم يؤخذ لأحد بثأر ، ولا وقع كشف عن مقتول منهم . ولا تمكن والى القاهرة من منهم . ووُجد فى الخليج ستة نفر قتل مربطين ، فلم يسأل عنهم ، ولا وقع إنكار لأسرم .

وفى ذى الحجة عزم العزيز على نقض الأهرام ، وتقل حجارها إلى سور دمياط . فقبل له إن المؤنة^(٤) تنظم فى هدمها ، والفائدة تقل من حبرها . فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير — وهو مبنى بالحجارة الصوان — فشرع^(٥) فى هدمه . وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية ، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش ، وفخر الدين جباركس .

(١) فى س فراغت . (٢) فى س عشر . (٣) جمع ربيعة ، وهى الرقعة ترفع إلى السلطان لبيع غلظة أو غيرها . (حميد المحيط و Dozy : Supp. Dict. Ar.) . (٤) فى س اللوة . (٥) اتخذى السلطان العزيز عثمان بأبيه صلاح الدين فى هدم الأهرام واستخدام أحجارها فى بناء الأسوار فى أيام =

وتوفى في هذه السنة القاضي الأشرف أبو البكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية . وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن ابن سلامه في سابع عشرى شوال . ومولد ابن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسة ، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة ، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية ، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة . وفي خامس ذى الحجة مات القاضي الرشيد^(١) ... ابن سناء الملك . قال القاضي القاضل فيه : ” ونم صاحب القذى لا تخلقه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأتوم : أمانة سميحة ، وعقيدة ردمتينة ، ومحاسن ليست بواحدة ، ومساع في نفع المعارف جاهده . وكان حافظا لكتاب الله ، مشتغلا بالعلوم الأدبية ، كثير الصدقات ، نفعه الله ، والأعمال الصالحات ، عرفه الله بركاتها “ .

وفيه حج بالناس الشريف ابن ثعلب . وخرجت المراكب الحربية من مصر ، فظفروا ببطس للفرنج ، وفيها أموال ففندوها . وفيها بنى الأمير خير الدين جهاركس قيساريته^(٢) بالقاهرة . وفيها زلزلت مصر . ومات الملم عبد الله بن على بن عثمان بن يوسف الخزرجي ، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى ؛ ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسة ، [وقد] قرأ على ابن برى ، وله شعر .

== صلاح الدين خدمت بعض أهرام الجيزة ، على يديها الدين قراقوش ، وبنيت بأحجارها قلعة الجبل ، والسور المحيط بالقاهرة ومصر ، وكذلك فعل العزيز لبناء سور دمياط ، كما في لندن . غير أن المقرزى (للواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١١٤ و ١٢١) يقول إن العزيز أراد تضيء الحرم الصغير لإخراج ما عنده من كنوز ، وأقام عمله على ذلك شهورا ، ثم تركه عن غير . هذا وليس بالقصل الوارد للواعظ والاعتبار من الأهرام إشارة إلى أن العزيز أراد بناء سور دمياط من أحجارها . (نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١١١ - ١٢٢) .

(١) عباس ق س . (٢) يذكر المقرزى (للواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٨٧) هذه القيسارية ، ويقول : ” رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نرى شيئا من البلاد مثلها ، في حسنها وعظمتها ، وإحكام بنائها . [وقد] بنى [خير الدين] بأعلامها مسجدا كبيرا ، وريفا مقلدا “ .

[سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة ثلاث وتسعين ، وفيها أقيمت الخطبة للعزیز بحلب ، وضربت السكة باسمه ، بصلح وقع بين العزیز وبين أخيه الظاهر . [وقد] تولاه القاضي بهاء الدين [أبو المحاسن] ^(١) بن شداد ، وغرس الدين قلعج ، قدما من حلب إلى العزیز بالقاهرة بهدايا ، فانقذ الصلح بين الأخوين على ذلك . وعادا إلى الظاهر ، فخطب العزیز في شهر ربيع الأول ، (٣٨ ب) وضربت ^(٢) السكة باسمه . وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام ، فخرج العادل من دمشق ، وسير جيشا إلى بيروت لهدم ربضها . .

وفيها مات الملك العزیز ظهير الدين سيف الإسلام طفتكين بن نجم الدين أيوب ملك الحين في شوال ، وقام من بعده بمملكة الحين ابنه الملك المرفق الدين أبو القداء إسماعيل . وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق ياقا عنوة ، وغنم وأسر كثيرا ، يقال إنهم سبعة آلاف نفس ، ما بين ذكر وأنثى . وفيها سار [العادل] من ياقا إلى صيداء وبيروت ^(٣) فأخربهما ونهبت بيروت ، وفر من كان بها . وبث [العادل] إلى الملك العزیز يستنجد به ، فسير إليه عسكريا خرج من القاهرة أول شوال ، وسار إلى بلبس . ثم بدا للعزیز [أمر] ، ففرق السكر ولم يصر

[سنة أربع وتسعين وخمسمائة] ودخلت سنة أربع وتسعين ، فانتشر من وصل في البحر من الفرنج ببلاد الساحل ^(٤) ، وملكوا قلعة بيروت ، وقتلوا عدة من المسلمين

(١) موضع ما بين القوسين يباس في س واسم القاضي وألقابه : " الإمام العالم بهاء الدين فاضل قضاء المسلمين ، مرهفي أمير المؤمنين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن نجم المعروف بابن شداد ، فاضل حلي المحروسة " . وهو مؤلف كتاب النواذر السلطانية لأحسن اليوسفة ، المذكور ومحاوئي هذا الجزء . انظر (Rec. Hist. III. P. 3)
(٢) في س وضرب . (٣) عبارة العزیز عن هذه الحوادث مختصرة إلى حد محل ، فراجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨٤) .

(٤) يوجد في (Blochel : Op. cit. P. 246. N 1) ترجمة لنبذة من كتاب سير الآباء البطارقة عن وصول تلك المراكب الفرنجية إلى الشام ، وحوادث الملك العادل مع جيوشها .

في أطراف بلاد القدس ، وأسروا وغنموا شيئا كثيرا . فبعث الملك المادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة ، فسارت إليه المساكر من مصر ، ومن القدس وغيرها . ثم خرج الملك العزيز بنفسه ، ومعه سائر عساكر مصر لقتال الفرنج ، فنزل على الرملة في سادس عشرى صفر ، وقدم الصلاحية والأسدية ، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادار^(١) ، وسرا شقير وعلاء الدين شقير^(٢) ، وعدة من الأكراد ؛ فلهقوا المادل وهو على تبدين^(٣) . وسار العزيز في أثرهم ، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة ، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور . وركب المادل والعزيز أقيمتهم . وقتلوا منهم . وترك العزيز المساكر عند المادل ، ورجع إلى القاهرة في ثامن جمادى الآخرة ، قبل انفصال الحال مع الفرنج ، من أجل أن ميمون القصرى ، وأسامة^(٤) وسرا سنقر ، والحجاف ، وابن المشطوب ، كانوا قد عزموا على^(٥) قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقائه ، وكان يوما مشهودا . ووقعت الهدنة بين المادل وبين المادل وبين الفرنج لمدة ثلاث سنين ، وعاد المادل إلى دمشق .

وفي رجب تجدد للمادل والعزيز رأى في تخريب عسقلان ، وتصفية جذرائها وهدم بنيانها . فغضب من القدس جماعة لتخليقها^(٦) وحط أبرجة سورها ؛ فتلقت مدينة لا مثل

(١) الدوادار اسم فارسي مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة . والثاني دار ومعناه ملك ، وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذى يحمل دواة السلطان [أو الأمير] أو غيرها ، ويتولى أسرها مع ما يلحق ذلك من المهمات ، نحو " تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصاص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب العريف ، وتقديم العريد ، ... " . (القفندى : مسجع الأسماء ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ح ٥ ، ص ٤٦٢ ؛ والفرزى : الرعاظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٢٢) . انظر أيضا Blochet : Op. cit. (Eoc. Ist. Ari. Dawatdar) . (٢) ضبط هذا الأسماء على منطوقها فى (٢) . (Rec. Hist. Or. II. 1. ، ص ٨٩ ، فى (٣) بدير ضبط فى س ، وفى بلدة فى جبال بين عاصم الملة على أناباس ، بين دمشق وسور . (باقوت : مسجع البلدان ج ١ ، ص ٨٢٤) . (٤) فى س سامة ، وبقية الأسماء مضبوطة عن المرجع المذكورين بحاشية ٣ . (٥) اعتمد الفرزى فى حوادث هذه الوزارة على ابن الأثير مع تعديل طفيف . (الكمال فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨٤) . (٦) فى س " لطفها وحط أبرجة سورها فتلقت مدينة ... " وفى محيط المحيط : التلق عند البائتين حجر يجعل فى وسط الملك يسكن به ، فملل المقصود هنا أن للتدوين هموا الأسوار بعد أغلقها .

لها ، وتتر لا تغيزله في التنور ، وعارة لا تخلف الأيام ما تلف بها ، لعجز الملوك عن عانة الفرع بالسلاح ، واضطرارهم إلى هدم المدن وتفتية رسومها .

وفي شعبان ركب قاضي القضاة صدر الدين بن درباس رُقبة الهلال ، (١٢٩) وكلف الشهود ما بين شمتين كل شاهد إلى شمة . فخرجوا بالشموع ، وقد كثر الجمع والشمع ، واحتفل اللوكب ، وهلت على الشهود الوطاة . وفيه أمر الملك العزيز بجمع البناء في المواضع التي كان الأمراء قد شرعوا في بنائها على النيل ، واستولوا فيها على الساحل ، فخرج الجائذارية والأموكل من حفر أساسا برمه ، فامتثل الأمر .

وفي شهر رمضان أمر العزيز بقطع أشجار بستان البندادية تجاه [قصر^(١)] القلوة ، وجعله ميديانا . وفيه كثر التظاهر بمصير العنب واستباحة الحرمات ، وعدم التذكير لهذا الأمر ، فقل العنب حتى بلغ أربعة أرتال بدرهم . وفيه قصر مد النيل ، وارتفعت الأسعار ، وعدمت الأرزاق من جانب الديوان ، وتمذرت وجوه المال حتى عم المرتقة الحرمات . واستبج ما كان محظورا من فتح أبواب التأويلات ، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات : فأخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار ، وصودر جماعة [آخرون] ، وصار الإنفاق في السباط السلطاني في هذه الوجوه .

وفي يوم عيد الفطر أقيمت سنة العيد بظاهر البلد ، وحضر العزيز الصلاة والخطبة ، وحمّ الأمراء وأرباب العائم بحله ، وقدم سباط توسعت المهمة فيه . وفي ثالث عشره وفي النيل ستة عشر ذراعا ؛ فركب العزيز في سادس عشر لتحليق المقياس ؛ وفتح الخليج في ثامن عشره ، وتظاهر الناس في هذه الأيام بالمتكرات من غير متكر . وفي ثالث عشره كان النوروز ، فجرى الرسم في اسمه على العادة

(١) أحد بياني القامطيين ، واسمه أيضاً منظر القلوة ، وموقعه على الخليج بالقرب من القنطرة ، ويشرف من شرقيه على البستان الكافوري ، وطل من غربيه على الخليج والبساتين إلى نهر النيل . ومع أن البستان البندادي من هذه البساتين ، على سبيل الترجيح ، فإن للعزيزي لم يذكره في باب بساتين القاهرة (العزيزي : للمواظظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ، ٤٨٧ ؛ ج ٢ ، ص ٤٢٧) .

وفي يوم السبت سابع عشر ذي القعدة قُتل ابن مرزوق بالقاهرة ، قتل ابن النوفى قاضى بليس غيلة ، بدار سبكها بالقيادين^(١) ، وحفر له فيها ودفنه ، وملكوا صغيرا معه ، وبلغت فوقه ، وجعل عليه شعيرا . فشنق ابن النوفى ، بعد ما طيف به على جبل مصر والقاهرة .

وفي هذه السنة توجه المادل من دمشق إلى مدينة ماردن ، ونازلها وأخذ بها . وفيها خرج الملك الكامل محمد بن المادل من حران ، وقا تل عسكر الواسلة . وفيها غار الفرنج ، ونهبوا وأسرُوا خلقا ، وانشهوا إلى عكا . فعاد المادل إلى دمشق فى رمضان ، ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردن . وفيها ادعى [معز^(٢)] الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طفتكين [ملك البين الإلمية نصف نهار ، وكتب كتابا وأرخه من مقر الإلمية . رجع عن ذلك ، وادعى الخلفاء ، وزعم أنه من بنى أمية ، ودعا لنفسه فى سائر مملكته بالخلفاء ، وقطع الدعاء من الخطبة لبني العباس ، وليس ثيابا خضرا وعائم خضرا مذهبه . وأكره من كان فى مملكته من [أهل] النعمة على الإسلام ، وخطب بنفسه ، وعزم (٣٩ ب) على قصد مكة ، ووجه من بنى له بها دارا ، فأسرم الشريف أبو عزيز قتادة .

[سنة خمس وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، والمادل مضايق مدينة ماردن ، والمعز صاحب البين قد تجهز يريد مكة ، والعزيز صاحب مصر قد سار إلى الإسكندرية ، من آخر ذى الحجة . فتصيد [العزيز] إلى سابع الحرم ، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه ، ثم ركب وقد سم ، فدخل القاهرة يوم عاشوراء^(٣) فلم يزل لما

(١) يقع خط المعاهدن بالقاهرة فيها بين الحوالية والمناخ (كذا) . (للفرزى : المواقف والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦) .

(٢) فى س " وفيها ادعى المعز بن العزيز " . ويظهر أن الفرزى خلط فى هذه التسمية ، فليس فى ملوك البين ، حيا جاء فى القلتندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٠) من تسمى بهذا الاسم ، ويرجع هذا المثلث إلى أن المعز هنا كان يسمى العزيز إسماعيل . (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 79, 96) . وتولى المعز هنا ملك البين بعد وفاة أبيه يزيد ، سنة ٩٣ هـ .

(٣) توجد فى (Blochet : Op. cit. p. 249, N. 1) عدة روايات من مراجع مختلفة عن سبب موت العزيز .

به حق مات ، منتصف ليلة السابع والعشرين منه ، ودفن بجوار قبر الشافعي ، رحمة الله عليه . وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرها ، ومدة ملكه ست سنين تنقص شهرا وستة أيام . وكان ملكا كريما ، عادلا رحيا ، حسن الأخلاق شجاعا ، سريع الاتخاذ مفرط السخاء . سمع الحديث من الشافعي ، وابن عوف ، وابن بري ، وحدث . وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة وكان يعلو العشرة آلاف دينار ، ويعمل سماطا عظيما يجمع الناس لأكله ، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله ولا يطيب له ذلك ، وهذا من غرائب الأخلاق^(١) .

وفيهما^(٢) عظمت الفتنة في عسكر غياث الدين محمد [بن بهاء الدين سام] ملك التورية^(٣) ، وسببها أن الإمام غر الدين محمد بن عمران الرازي [الفقيه الشافعي المشهور] ، كان قد بالغ غياث الدين في إكرامه ، وبني له مدرسة بقرب جامع هراة ، ومعظم أهلها

(١) يوجد في (Blochet: Op. cit pp 250, N. 2) تحليل لطيف لتلك الناحية من خلق العزيز، وهو أنه كان يكره بمترة الأموال العامة في أغراس خاصة . (٢) بقية الأخبار الواردة هنا تحت هذه السنة متقولة بصرف طفيف عن ابن الأثير . (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٩ - ١٠١) أو عن مرجع آخر مصدوره ابن الأثير .

(٣) انظر ص ٨٠ ؟ تقع بلاد التور الجبلية بأفغانستان بين هراة وغزنة ، وعاصمتها فبوزكوه . وكانت مملكة إسلامية مستقلة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، ثم ضمها محمود الغزنوي سنة ٤١١ هـ ، واستمرت تابعة للدولة الغزنوية ، وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ ، حين قضى النز التركان على الدولتين الغزنوية والتورية معا . ثم جاء غياث الدين بن سام المذكور ، فأسس ملكا جديدا على أنقاض الدولتين ، من سنة ٥٦٩ هـ ، وعاقبه في ذلك أخوه مير الدين . ومات غياث الدين سنة ٥٩٩ هـ ، فخلعه مير الدين ، حتى قتل غيلة سنة ٦٠٢ هـ : ولم يجل عمر الدولة التورية بعده ، بل دالت أجزاؤها للأمراء والقواد ، حتى أزالها السلطان خوارزم شاه . (Lane-Pole: Muh. Dyns. pp. 176, 289-294) وكذلك (Enc. Isl. Art. Ohorids) .

(٤) الكرامية إحدى الفرق الفرية في الإسلام . ويذكر الفريزي (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٤٩) في باب ذكر الفرق ، عنها ما نصه : " الكرامية أتباع محمد بن كرام البستان ، وهم طوائف: الحمصية والإسحاقية والجندية ، وغير ذلك . إلا أنهم يبدون فرقة واحدة ، لأن بعضهم لا يكفر بسفا . وكلهم مجسة ، إلا أن فيهم من قال هو (الله) فأم بسمه ، ومنهم من قال هو أجرا مؤتلف ، وله جهات ونهايات . ومن قول الكرامية إن الإيمان هو قولسفره ، وموقول لا إله إلا الله ، وسواء اعتدوا أو لا . وزعموا أن الله جسم ، وله حد ونهاية ، من جهة السفلى ، ويجوز عليه ملاقة الأجسام التي تحته . وأنه على العرش ، والمرسى ماس له . وأنه عمل الموائد ، من القول والإرادة ، والإحراكات والريثات والمسوعات . وأنه قال لو علم أحدا من عباده لا يؤمن به ، لكان خلقه لإيم عبثا . وأنه يجوز أن يزل نبيا من الأنبياء والرسل ، ويجوز عندهم على الأنبياء كل دعب لا يوجب حدا ، ولا يسقط عدالة . وأنه يجب على الله تعالى تواتر الرسل ، وأنه يجوز أن يكون إيمان في وقت واحد . وأن عليا =

كرامة فاجمعوا على مناقرته ، وجمعوا عند غياث الدين معه ، وكبيرهم القاضي [مجد^(١) الدين] عبد المجيد بن عمر بن القدوة . فحكم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة ، واستطاع عليه وبالغ في شتمه ، وهو لا يزيد على أن يقول : " لا يفضل مولانا إلا آخذك^(٢) الله ! [استغفر الله !] " فنغضب الملك ضياء الدين^(٣) له ، ونسب الإمام [الرازي] إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة . وقام من القدا بن عمر بن القدوة بالجامع ، وقال في خطبته : " ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول ، فاكثبنا^(٤) مع الشاهدين . أيها الناس ! إنا لا نقول إلا ما صحَّ عندنا عن رسول الله ، وأما علم أرسطو ، وكفریات ابن سينا ، وفلسفة الفارابي ، فلا نعلمها . فلائى حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام ، يذب عن دين الله وسنة نبيه ؟ وبكى وأبكى ، فثار الناس من كل جانب ، وامتلات البلد فتنة . فكتمهم السلطان غياث الدين ، وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالمود إلى هراة ، فخرج إليها . ثم طار غياث الدين ملك النورية مذهب الكرامية ، وتقلد الشافعى رحمه الله .

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد بن الملك العزيز حماد الدين عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد بالقاهرة في^(٥) جادى الأولى ، سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ومات أبوه

== وسأوة كانا إمامين في وقت واحد ، إلا أن علياً كان على السنة ، وسأوة على خلافتها . واهرد ابن كرام في الفقه بأشياء ، منها أن المسافر يكتب من صلاة المفوف تكبيرتان . وأجار الصلاة في ثوب مسترق في النجاسة . وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والمج ، وأوسائر البادات ، تصح بغير نية ، وتكفى نية الإسلام ، وأن الية يجب في التواهل . وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والترب والجماع عمداً ، ثم البناء عليها . وزعم بس الكرامية أن لله عين ، أحدهما يعلم به جميع اللطوات ، والآخر يعلم به العلم الأول . اضطر أيضاً (الصهرستاني : الملل والنحل ص ٧٩ — ٨٥ ؛ والسفاني : كتاب الآساب ، ص ٤٧٧) . (١) أنشأ ما بين القوسين ، وكذلك بقية الإشارات في هذه الفقرة ، من ابن الأثير (الكلل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٩) .

(٢) في س لا واخذك ، وفي ابن الأثير (هس المرجع والجزء والمفحة) الا واخذك .

(٣) ابن عم الملك غياث الدين وزوج ابنته ، وكان أشد الناس كراهة للفخر الرازي . اضطر نفس المرجع .

(٤) بعض حروف هذا اللفظ شائع في س . (٥) يياض في س .

وعمره تسع سنين وأشهر . وقد أوصى له أبوه الملك من بعده ، وأن يكون مدبر أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فأجلس على سرير الملك في غد وفاة أبيه ، يوم الإثنين حادي عشر المحرم ، وجعل قراقوش أتابكاً^(١) . وحلف له الأمراء كلهم ، ما خلا عمه الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك للحر ؛ فلينها أرادا أن تكون الأتابكية لهما ، وجرت منهما منازعة ، ثم حلفا . ووقع الخلف بين أمراء الدولة ، فظن عدّة منهم في قراقوش ، بأنه مضطرب الرأي ضيق المطن ، ولا يصلح لهذا الأمر . وتنصب جماعة معه ، ورأوا أنه أطوع من غيره . وكثر النزاع في ذلك ، وصاروا إلى القاضي القاضل ، ليأخذوا رأيه ؛ فامتنع من المشورة عليهم ، فتركوه . وأقاموا ثلاثة أيام يحصون الرأي ، حتى استقرّ على مكاتبه الملك الأفضل ليحضر أتابكاً عوض قراقوش ، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنبق ، ولا يذكر له اسم في خطبة (١٤٠) ولا سكة ، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدبير ، وسيروا إليه النضاد بذلك . وأقيم الملك الظاهر مظفر الدين خضر بن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة ، حتى يقدم الأفضل . فخرج الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر ، في تسعة عشرة^(٢) نفساً ، متذكراً ، خوفاً من العادل . وكان الأمير غر الدين جهاركس — لما قرّر أمراء الأفضل ، وكتبوا إليه بالحضور — كره ذلك ، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القمري صاحب نابلس ، بنهاه عن الموافقة على إقامة الأفضل . فوق الأفضل على القاصد ، وأخذ منه الكتاب ، وعلم ما فيه ، وقال له :

(١) في س أتابك بشير ضبط . ويألف هذا اللقب من قطلين تركيين ، وحا أتابك أي أب ، وبك بمعنى أمير . وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) كانوا يطلقون لفظ أتابك على كبير من أمهاتهم ، يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير فامر صغير . وكثيراً ما تزوج الأتابك من أم الموصى به ، فصحب الملاقاة بين السلطان وموصيه به أبوة ثم أطلق هذا اللقب ، في أيام اللباليك بمصر ، على مقدم المراكب أو القائد العام ، على اعتبار أنه أبو المراكب والأمهات جميعاً ، وكان يسمى أتابك المراكب . انظر (Olibb : Damascus Chronicle. pp. 28 - 24) ، وكذلك (G. - Demombynes : Op. cit. Pref. pp. XXVII, LVI.) والفقشندى : مبيع الأعني ، ج ٤ ، ص ١٨ ، وابن تيمر بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ (Glossary) ؛ وأيضاً (Enc. Isl. Art. Ata) .

(٢) في س تسعة عشر .

”ارجع فقد قضيت الحاجة“. وسار الأفضل ، ومعه ذلك القاصد ، حتى وصل بليس ، وقد خرج الأسراء إلى لقاءه ، في خامس شهر ربيع الآخر . فنزل في خيمة أخيه الملك اللؤيد [مسمود] . وكان غر الدين جهاركس يؤمل أنه ينزل في خيمته ، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل ، ولم يجد بداً من المجيء إلى عنده ، فأكرمه الأفضل . ثم لما فرغ [الأفضل] من طعام أخيه ، صار إلى خيمة غر الدين وأكل طعامه ، غانت من غر الدين التفاتة ، فرأى القاصد الذي يشبه إلى نابلس ، فدهش وخاف من الأفضل ، وأخذ يستأذنه في التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أسرم ، فأذن له . وللحال قام [غر الدين] واجتمع بزین الدين قراجا وأسد الدين سراسنقر ، وسار بهما مجداً إلى القدس ، فإذا بشجاع الدين طنرل السلاح دار سائر إلى مصر . فالتقوه عن الأفضل ، وساروا به إلى القدس ، فاتفق معهم الأمير صارم الدين صالح نائب القدس ، وواقفهم أيضاً الأمير عز الدين أسامة^(١) وميمون القصرى ، وقدما إلى القدس ، ومع ميمون سبعمائة فارس منتخبة . وكانوا الملك العادل ، يستدعونه لأتابكة الملك المنصور .

وأما الأفضل فإنه سار من بليس إلى القاهرة ، فخرج المنصور وتلقاه ، في سابع ربيع الآخر ، وكانت مدته شهرين و...^(٢) وتحكم الأفضل^(٣) . ولما استقرا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل ، يخبره بوصوله إلى مصر ، حفظاً لدولة ابن أخيه ، وأنه لا يخرج عما يأمره به . فورد جوابه بأن العزيز إن كان مات عن وصية فلا يُبدل عنها ، وإن كان مات عن غير وصية ، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك ، حتى ترى الرأي . فاستولى الأفضل على أسره مصر كله ، (٤٠ ب) ولم يبق للمنصور غير مجرد الإسم فقط . وعزم [الأفضل] على قبض من بقى من الأسراء الصلاحية [بمصر] ، ففر منهم جماعة ، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس . وقبض الأفضل على جماعة منهم الأمير علاء الدين شقير ، والأمير

(١) في س سلمه .

(٢) يلى في س .

(٣) النصف الثانى من هذا الاسم محبوب بورقة ملصقة في س ، ولكنه في ب (٤٨ ب) .

عز الدين البكي القارس ، والأمير عز الدين أبيك فطيس ، وخطبها ؛ ونهب أموالهم . ثم برز إلى بركة الجب ، فأقام أربعة أشهر ، وحلف بها الأسماء والأجناد . فبلنه عن أخيه الملك المؤيد [مسعود] أنه يريد الوثوب عليه ، فقبضه وسجنه .

وبعث الملك الظاهرى [غازى صاحب حلب] إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعه^(١) القدوم من مصر إلى دمشق ، واغتنام القرصة فى أسرها ، [والملك العادل غائب عنها فى^(٢) حصار ماردين] . فقبض الصلاحية [بالشام ؟] على القاصد ، وأهانوه ثم أطلقوه ؛ فسار إلى الأفضل ، وبلنه رسالة أخيه الظاهر . فرحل [الأفضل] من بركة الجب ثالث شهر رجب ، ومعه للثالث المنصور ، فأقام بالعباسة^(٣) خمسة أيام . واستخلف على القاهرة [سيف الدين] يازكج^(٤) [الأسدى] ، ثم سار إلى دمشق ، فنزل عليها فى ثالث عشر شعبان . وقد بلغ العادل خروجه من مصر ، وهو على حصار ماردين ، فرتب ابنه السكامل محمداً^(٥) على حصارها ، وسار فى مائتى فارس إلى دمشق فتقدمها فى ثمانية أنفس ، لسكنة ما أسرع فى السير ، قبل منازلة الأفضل لها [بيومين]^(٦) ، وتلاحق به أصحابه . وقدم الأفضل فنزل الشرفين^(٧) والليدان الأخضر ، وهجم بعض أصحابه [على] البلد وأحرقوا ، وصاحوا : ” يا أفضل يا منصورا “ . فصاحت العامة معهم بذلك ، ليلهم إلى الأفضل . فبرز إليهم

(١) أرسل أسد الدين شيركوه ابن عم الأفضل إلى مصر رسلا تحت الأفضل أيضاً على الإسراع إلى دمشق . (ابن الأثير : السكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٤) .

(٢) انظر نفس الترجع والجزء ، ص ٩٣ — ٩٤

(٣) قرية بين بلبيس والصلحية ، وهى (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٥٩ — ٦٠٠) أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ، وسميت باسم العباسة بنت أحمد بن طولون ، فإنها خرجت إلى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الدين ، بنت غارويه بن أحمد بن طولون ، لما حلت إلى الخليفة المتئد الباسى ، وضرت هناك فسلط عليها ؛ ثم بنيت هناك قرية ، فسميت باسمها . راجع المقرئى : (الواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ؛ P. Omar Taussoun, Op. cit. 1. 1. P. 58 ؛ و Blochet : Op. cit. P. 254, N. 1. (٤) فى س يازكج ، وقد تقدم ذكره أكثر من مرة .

(٥) فى س محمد . (راجع ابن الأثير (السكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٩٤) .

(٦) كذا فى س ويتر ضبط . انظر ابن تترى يردى : التيجون الزاهية ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، حيث ورد فى وفاة المصاحب الوزير أبى على الزندقانى ، أن من أعماله بناء المسجد على الصرب شمال دمشق ، ويسمى مسجد الوزير .

العادل ، وأخرجهم من البلد ، وامتنع بها . ففر من أمراء الأفضل عدّة ، فآخر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة . ففس العادل إلى جماعة من في حجة الأفضل [بكلام منه] : ” إنّي أريد الرجوع إلى الشرق ، وأترك الشام ومصر لأولاد أخى “ ، ففتروا^(١) الأفضل عن الحرب . وبذل [العادل] لهم مالا ، فشى ذلك من مكروه عليهم . وغدّوا الأفضل ، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم [أخوه] الظاهر من حلب . فأملك [الأفضل] عن الحرب مدّة ، والعادل يكتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شيء ، وهم يأتونه فينذل لهم المال ، ويوسع عليهم ، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان . فقوى به الأفضل ، ورحل إلى مسجد القدم^(٢) ، وحارب العادل وحاصره ، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة الحصار . فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل ، فاشتد عضد العادل بقدومهم ، (١٤١)

وجهن إلى القدس من يمنع الميرة الواصلة من مصر إلى الأفضل ، فوجدوا يازكج^(٣) قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل ، فقاتلهم وكسروهم وغنموا ما معهم . وصارت أهل دمشق في جهد من الغلاء ، واحتاج العادل إلى القرض ، فأخذ مالا من التجار . وقوى الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ ، وم العادل بالتسليم ، فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبين أخيه الأفضل .

[سنة ست وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ست وتسعين ، والأخوان على حصار عهما العادل بدمشق ، وقد خربت البساتين والنبور ، وقطعت الأنهار ، وأحرق التلال ، وقتل الأقوات . وعزم العادل على تسليم دمشق ، لكنثرة من فارقه وخرج عنه إلى الأفضل ، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه ، وكتب إلى نائب قلعة جبر أن يسلمه ما يستدعيه من المال ، وكانت أموال العادل بها . فسار إليه الكامل في العسكر القى معه ، وأخذ

(١) في س قدوا .

(٢) مسجد بدمشق وبه دفن صلاح الدين . (أبرشامة : كتاب الروميتين ، ص ٩٥ — ٩٦ ،

١٢٢ ، في (Rec. Hist. Or. V. .

(٣) في س الباركوج .

من قلعة جبرأر بمائة ألف دينار ، وقدم على أبيه قسوى بقدمه قوة عظيمة ، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهر ، لكثرة من خاض منهم . ودسّ المادل مكيدة بين الأخوين ، وهي أن الظاهر كان له ملوك يقال له أيّيك^(١) ، وقد شغفه بها ، ففقدته وظن أنه دخل دمشق فمُلق . وبلغ ذلك المادل ، فبحث إليه [بكلام فيه] : " أن محمود بن الشكري^(٢) أقصد بملوكك ، وحمله إلى الأفضل " . فقبض [الظاهر] حينئذ على ابن الشكري ، وظهر للملوك عنده ، فاشك في صدق ما قاله عمه ، ونفر من أخيه وامتنع من لقائه . وكان البرد قد اشتد ، فرحلا إلى الكسوة ، وسارا إلى مرج الصفر ، ثم سارا إلى رأس الماء . ففات الأسمار ، وقوى البرد ، فرحل الظاهر على القريتين . ورحل الأفضل [بساكره] يريد مصر ، وتركوا من أقاطم ما يجزوا عن حمله فأحرقوه ، وهلك لهم عدة ممالك ودواب . ودخل الأفضل إلى بليس في خامس عشري (شهر ربيع الأول ، فأشير عليه بالإقامة بها .

وورد الخبر بأن المادل خرج من دمشق ، ونزل تل المجول ، وأنه كتب الإقامات^(٣) للبربان ، واستدعى الكنانية . فجمع الأفضل الأمراء ، وركب ودار على سور بليس ، وأمر قراقوش (١٤ ب) بحفظ قلعة الجبل ، وأن يهتم بحفر ما بقى من سور مصر والقاهرة ، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر ، ويحمل التراب داخل المدينة على حافة الحفر ، ليكون مثل الباشورة^(٤) ، ويستعمل الأبقار فيه ويصل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقدس ، حتى لا يبقى إلى البلد طريق من أبوابها .

(١) في س ابيك بنير ضبط .

(٢) في س الكرى بنير ضبط . (انظر أبا الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ٧٦ ، في (Rec. Hist. Or. I.)

(٣) جمع إقامة ، وهو ما يقيم الساكن من المؤونة والملف . انظر (Quatremère : Maml. I. 1.) : (P.) حيث توجد أمثلة عدة لاستعمال هذا اللفظ ، وأوصفها " وخرجت الإقامات من الثمير والدقيق . . " . أيضا (Dozy. Supp. Dict. Ar.) .

(٤) الباشورة هنا سدّ من التراب ، لمنع وصول الحياة والزحاة والسهام إلى مواضع المحارير ، بمع على يواشير ، ويقابلها في الفرنسية كلمة (Bastion) أو (Guérite) . راجع أيضا (Dosy : Supp. Dict. Ar.) .

وفي ثاني ربيع الآخر نزل العادل قُطَيْبَةً^(١). فهِمَّ الأَفْضَلُ بحريق بلييس . ففترت القلوب منه ، وقطع أرزاق المرتقة من جانب السلطان ، ومن الأحياس على مكة والمدينة والفقهاء وأرباب العلم ، لِيُفْلَقَ الذي للعبد . فاستدَّ للأخوذ ، ولا اقطع الطلب من الأجناد ، وثار الضجيج من المساكين . ووصل العادل فواقه الأَفْضَلُ ، فانكسر منه وانهمز . فتيههم العادل إلى بركة الجب ، فحُمِّمَ بها وأقام ثمانية أيام . ولحق الأَفْضَلُ بالقاهرة ، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر^(٢) ، وخاضعاً لجماعته عليه ، وصاروا إلى العادل . وأجأت الضرورة الأَفْضَلُ إلى مراسلة العادل ، فطلب [منه أن يوضعه عن ديار مصر بدمشق ، فامتنع [العادل] ، وقال : "لا تخوِّفني أن أخرق ناموس القاهرة ، وأخذها بالسيف . اذهب إلى صرخد ، وأنت آمن على نفسك" . فلم يجد [الأَفْضَلُ] بدامن التسليم ، لتخاذل أصحابه عنه . فقتل العادل القاهرة ، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ، وخرج منها الأَفْضَلُ منهزماً في ذلك اليوم . وكان الوزير ضياء الدين بن الأمير قد قدم إلى مصر ، وتمكن من الأَفْضَلُ ؛ فلما نسل العادل القاهرة فر ولحق بصرخد . وكانت مدة استيلاء الأَفْضَلُ على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوماً ، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بِسَمِطًا^(٣) . وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه في ليل ولا نهار ، وكان الأسراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد ، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم .

وأقام العادل بالقاهرة على أتابكية الملك المنصور ، وحلف له الأسراء على مساعدته ، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأمر الملكة ، فلم يستمر ذلك^(٤)

(١) في س قتيبا بئر ضبط ، وهي قرية في طريق مصر إلى الشام ، في وسط الرمل ، قرب الرما . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٤) .

(٢) في تلك الليلة توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البستاني . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٢) .

(٣) بئر ضبط في س ، وهي مدينة في طرف بلاد الروم ، على الساحل . التبري للفرات . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥١) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. P. 260. N. I.)

(٤) يباس في س ، يشغل سطرين تقريباً وبه آثار كتابة ممحوة .

فانتفض الأمر في الحادى والعشرين من شوال ، وذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء وقال لهم : " إنه قبيح بى أن أكون أنا بك صبي ، مع الشيخوخة والتقدم ، والملك ليس هو بالإرث ، وإنما هو لمن غلب . وإنه كان يجب أن أكون بدانى للملك الناصر (١٤٢) صلاح الدين ، غير أنى تركت ذلك إكراما لأخى ، ورعاية لحقه . فلما كان من الاختلاف ما قد علمت ، خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد أولاد أخى . فست الأمر إلى آخره ، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامى فيه ، ونهوضى بأعبائه . فلما ملكت هذه البلاد ، وطئت نفسى على أنا بكية هذا الصبي ، حتى يبلغ أشده . فرأيت المصريات باقية ، والفتن غير زائلة ، فلم آمن أن يطرا على ما طرا على الملك الأفضل ، ولا آمن أن يجتمع جماعة يطلبون إقامة إنسان آخر ، وما يسلم ما يكون عاقبة ذلك . والرأى أن يمضى هذا الصبي إلى الكتاب ، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه . فإذا تأهل وبلغ أشده نظرتُ في أمره ، وقت بمصلحه " . هذا والأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأى ، فلم يجد من عداهم بدأ من موافقته ، فلقوا له ، وخلصوا المنصور في يوم الخميس . وخطب للعادل من الند يوم الجمعة حادى عشرى شوال ، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوما .

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب

ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر ، في حادى عشرى شوال ، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميفارقين ، واستحلف الناس بهذه البلاد ، وضربت السكة باسمه . واستدعى [العادل] ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمد^(١) ، فحضر إلى القاهرة في يوم [الخميس^(٢)] لثمان يقين من رمضان ، ونصبه نائباً عنه بديار مصر ، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعه ، كما كانت إقطاعا للعادل في أيام السلطان صلاح الدين ، وجعله ولي عهد ، وحلف له الأمراء .

(١) في س محمد .

(٢) يأس في س . ويقع أول رمضان سنة ٥٩٦ هـ يوم الخميس ١٥ يونيه سنة ١٢٠٠ م ،

ويوافق الثانى والعشرين منه الخميس أيضاً . (Wüstenfeld-Mahler'sche : Tabellen)

وفيها أقيمت الخطبة للمادل بحماة وحلب ، وضربت السكة باسمه . وفيها توقفت زيادة النيل ، فلم يمر إلا ثلاثة عشر ذراعاً تنقص ^(١) ثلاثة أصابع . وشرق معظم أرض مصر ، فارتفعت الأسفار . وفيها استناب السادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى ، واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز ، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر [غازي بن صلاح الدين] ، وبحماة للملك المنصور [بن تقي الدين عمر ^(٢)] .

وفيها أخرج الملك السادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن صلاح الدين من مصر ، ومعه إخوته وأخواته [ووالديه ^(٣)] ، فأساروا إلى الشام . ثم سبهم إلى الرها ، فهربوا منها إلى حلب ، وبقي للملك ^(٤) المنصور بمدينة الرها ^(٥) ، حتى مات سنة عشرين وستة ، وكان [قد أصبح] أميراً عند الظاهر صاحب حلب .

ومات في هذه السنة إبراهيم بن منصور بن السلم أبو إسحاق المعروف بالرفاعي ، خطيب الجامع المتيق بمصر ، في حادى عشرى جمادى الأولى ، عن ست (٢٤ ب) وثمانين سنة . و[ومات] القاضي القاضي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي ، المستقلاني مولداً ، البيهقي ^(٦) ، أبو علي محبى الدين ،

(١) في س إلا .

(٢) راجع أبا الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، Rec. Hist. Or. I. (٣) نفس المرجع ، ص ٨١ . (٤) معظم هذا القنط ، مطوس يقيمة من الداد في س . (٥) يقول أبو الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٨١ ، Rec. Hist. Or. I.) إن للمنصور هذا " أقام بحلب عند عمه الطاهر " . (٦) كان والد القاضي القاضي ينفذ القضاء بمدينة بيسان ، فلهاذا نسبوا إليها . (الفرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٦) . هذا ونفس المرجع والمجلد والصفحة ترجمة طيبة للقاضي العامل منها : " قال ابن خلكان : وزر [القاضي القاضي] السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمكن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الإنشاء ، وطاق للقدمين ، (ص ٣٦٧) وله فيه الترايب مع الإكثار . أخرنى أحد الصلاء الثقات المطلبين على حقيقة أمره ، أن مسودات رسائله — في المجلدات والتطبيقات في الأوراق — إذا عمت ما تنص عن مائة ، وهو مجدى أكثرها . وقال عبد الطيف البندادى : دخلنا عليه فرأيت شيخاً مثيلاً ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملى على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلمب ألوان الحركات ، وكان له الذين والفاف والقي ، والوانطة على أورد الأيل ، والصيام وراءة القرآن . وكان قليل القنات ، كثير الحسنة ، حاتم التهجد ، ويشغل بعلوم الأدب وخبر القرآن . غير أنه كان خيف البضاغة من النحو ، ولكن قوة الدراية توجب له قلة الحقن . وكان لا يكاد يضع من زمانه شيئاً إلا في طاعة ، وكتب في الإنشاء ما لم يكتبه غيره " راجع أيضاً (Enc. Isl. Art. Al-Kadī al-Fādīl) .

في سابع ربيع^(١) الآخر . و [مات] الأثير ذو الرياستين أبو الطاهر محمد بن ذى الرياستين
أبي الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنباري^(٢) في ليلة الثالث من ربيع الآخر ، ومولده بالقاهرة
سنة سبع وخمسة .

وفي هذه السنة ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد ، ورأس فيه وجهان ، في كل وجه
عينان ، وأذنان وأنف وحاجب . ووُلد أيضا بها مولود له غرة كفرة القرس ، ويداه
ورجلاه مجعلتان ، وألته ملسة . وولد بها أيضا مولود أشيب الرأس ؛ ونعجة لها أربع
أيادي ، وأربع أرجل^(٣) . ووُجد في بطن نعجة ذبحت خروفٌ ، صدره ووجهه صورة
إنسان ، وله أظافر الأدي .

سنة سبع وتسعين^(٤) وخمسة . فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه
[صلاح الدين^(٥)] ، وما الملك [المؤيد مسعود و] الملك [المرح إسحاق] ، وسجنهما في دار بهاء الدين
قراقوش بالقاهرة . [و] نسل الأمير غر الدين جباركس بانياس من الأمير حسام الدين
بشارة ، بعد حصار وقتل . وفيها حدثت الوحشة بين الملك العادل وبين الصلاحية ، من
أجل أنه خلع المنصور بن العزيز . وكتب الأمير فارس الدين ميمون القصرى من نابلس
إلى العادل بإنكار خلع المنصور ، فأجابته العادل جوابا خشنا ، وتكررت المسكناية بينهما
غير مرة . فكتب ميمون إلى الصلاحية يريهم بالعادل ، فلم يجد فيهم نهضة للقيام .

وفي أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل ، وسير
إليه وزيره علم الدين قيسر ونظام الدين^(٦) ، فتمهما العادل أن يعبرا إلى القاهرة ، و [أمرهما]

(١) اعتبر (Blochet : Op. cit. p. 264) هذا تاريخ مولده ببيان ، والقرآن أنه ولد بمسقلان في
١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ (٣ أبريل سنة ١١٣٥ م) ، انظر المرجع المذكورين بالحاشية السابقة .

(٢) انظر ابن الأثير : تاريخ الدولة الأنابكية ، ص ٨٥ ، ٨٩ ، في (Rec. Hist. Or. II) .
(٣) في س أربعة أيادي وأربعة أرجل . (٤) وقع خطأ في عنوان هذه السنة في ترجمة

(Blochet : Op. cit. p. 265) حيث كتب سنة ست وتسعين وخمسة ، والصواب ما هنا . (انظر
أبا شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٤٦ ، في (Rec. Hist. Or. V) . وقد جرت هنا إلى اضطراب ترتيب
الحوادث في هذه الترجمة حتى أول سنة ٥٩٨ هـ . أما عن هذا الخطأ فانظر ص ١٥٧ حاشية ٣ .

(٥) انظر أبا شامة (حسن الرفع والجزء والصيغة المذكورة بالحاشية السابقة) .

(٦) لم يصر ابن الأثير (الكمال في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٦) إلى ذلك الرسول الثاني ،
وكل ما يود به أن "الظاهر أرسل أميرا كبيرا من أمرائه إلى عمه العادل ... " .

أن يقيمًا ببلبيس ، ويحملًا قاضي بلبيس ما معها من الرسالة . فسادا مغضبين ، واجتمعا بميمون القصرى فى نابلس ، وما زال به حتى مال إلى الأفضل وإلى أخيه الظاهر . فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه ، وكتب الصلاحية ورغبهم ، وكتب ميمون القصرى . وشرع الأفضل أيضًا فى مكاتبتهم وهو بصرخد ، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة^(١) ، صاحب مجلون وكوكب ، وحلف له . فبلغ ذلك العادل فتيقظ لنفسه ، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق بمحاصرة الأفضل فى صرخد ، فجمع وخرج من دمشق . فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظاهر خضر ، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عاشر جمادى الأولى فدخل المعظم على بصرى ، وكتب فخر الدين جباركس وميمون القصرى ، يأمرهما بالمسير إليه لحصار صرخد . فلم يجيبا ، وجعا من يواقهما ، وصارا إلى الظاهر بصرخد . وكتبوا إلى الظاهر بحلب بمحونته^(٢) على الحركة وأخذ دمشق ، فوافته الكتب وعنده الأفضل ، فجمع الناس وعزم على السير . ثم سار [الظاهر] ، فلم يوافقه المنصور صاحب حماة ، فحاصره مدة ، ثم رحل عنه بنير (١٤٣) طائل ، فانزل دمشق ومعه الأفضل ، وأتته الصلاحية [هناك^(٣)] .

فخرج العادل من القاهرة بساكره ، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل محمد^(٤) ، وسار حتى نازل نابلس . وقدم [العادل] طائفة من العسكر ، فساروا إلى دمشق ، واستولوا عليها ، قبل نزول الأفضل والظاهر عليها . فقدموا بعد ذلك ، وضايقا دمشق ، فى رابع عشر ذى القعدة ، واشتد القتال حتى كادا بأخذان البلد . فوقع بينهما الاختلاف ، بمكيدة دبرها العادل ، ففكرت الهمة عن القتال . وذلك أن العادل كتب إلى [كل من] الأفضل وإلى الظاهر سرًا ، بأن : "أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه ، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على

(١) فى س ساهه .

(٢) فى س مهنوه . (٣) رابع ابن الأثير (الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ١٥٥ —

١٥٧) ، فتبع هذه الحوادث بتفصيل . والراجع أن القرزى العيسى الوارد هنا باختصار من ابن الأثير أو من مصدر آخر مرجعه ابن الأثير . (٤) فى س عمد .

ذلك". فانتعلا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع. فبعث العادل في السر إلى الأفضل يعمده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهي رأس عين، والخابور، وميافارقين، وغير ذلك. وبذل له مع ذلك مالا من مصر في كل سنة، بمبلغ خمسين ألف دينار. فامتدح [الأفضل] وقال للأسماء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد: "إن كنتم جئتم إلى فقد أذنت لكم في المود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أخي فأنتم به أخير". وكانوا يحبون الأفضل من أجل أنه لين المريكة، فقالوا كلهم: "لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك". فأذن لهم في المود إلى العادل، فسار إليه الأمير غر الدين جهار كس، والأمير زيد الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر. فوقع الوهن والتقصير في القتال، بعد ما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق.

وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق. وفيها تذرذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأعبار، وعظم التلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم. وابتدأ التلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قح خمسة دنانير. وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا، حتى عدت الأقوات. وخرج من مصر عالم كبير بأهاليهم وأولادهم إلى الشام، فاتوا في الطرقات جوعا. وشنع اللوت في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفته العادل من الأموات - في مدة يسيرة - نحوًا من مائتي ألف إنسان، وعشرين ألف إنسان. وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل (٣، ٤) من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه وبأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل أكثرته بحيث لا ينكر ثم صار الناس يمتثل بعضهم على بعض، ويؤخذ^(١) من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوى ضيفا ذبحه وأكله. وفقد كثير الأطباء، أكثر من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله. واتفق أن شخصا استدعى طبيا، فحافه الطبيب وصار معه على تخوف. فصار ذلك الشخص يكترفي طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقير

(١) في س ويأخذ.

إلا ويتمصدق عليه ، حتى وصلا إلى القار ، فإذا هي خربة . فارتاب الطيب بما رأى ، وبينما هو يريد الدخول إليها إذ خرج رجل من الخربة ، وقال للشخص الذي قد أحضر الطيب : "مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحد؟" فارتاع الطيب ، وفزع^(١) على وجهه هاربا . فلولا عناية الله به ، وسرعة عدوه ، لقبض عليه^(٢) .

وخلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر أهلها ، وصار من يموت لا يجد من يواريه ، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى^(٣) . واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين ، فخاف الناس ، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير . فلما حلت الشمس برج الحمل تحركت هواء أعقبه ويا . وكثر الجوع ، وعدم القوت ، حتى أكلت صغار بني آدم : فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا ، وكذلك الأم . وظفر الحكام منهم بجماعة ، فمقابوم حتى أعيام ذلك . وفشا الأمر : فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عبا كتف الصغير أو غنذه ، وكذلك الرجل . وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار ، فينظرها حتى تنزل ليأكل منها ، فإذا فيها لحم الأطفال ؛ وأكثر ما كان يوجد ذلك في أكبر البيوت . ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات ، [و] معهم لحوم الأطفال . وأحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة ، وجد معهم لحوم الأطفال . ثم فشا ذلك حتى اتخذ الناس غذاء وعشاء وأقوه ، وقلّ منهم من ، فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت ، لا الحبوب ولا الخضروات .

فلما كان قبل أيام زيادة النيل — في سنة ست وتسعين [هذه] — احترق الماء في برمودة ، حتى صار فيما بين المقياس والجيزة بغير ماء ، وتغير طعم الماء وريحه . وكان

(١) ق س ومصر .

(٢) ق س ولا قبض عليه .

(٣) الوصف المناسب لعبارة التالية إلى سطر ١٨ ، س ١٥٨ — وقد وردت في س على ورقة معصلة بين الصفحتين ٤٣ ب ، ٤٤ أ — هو تحت سنة ست وتسعين وخمسة . غير أن المؤلف أشار بعلامة عند لفظ "بلى" ، وكتب "وانفق أن النيل" بهامش الصفحة ، في اتجاه الورقة المذكورة ، ثم بدأ الكتابة كما هنا ، مكررا الجملة الافتاحية للشار إليها . والراجع أن المؤلف قصد بإيراد هذه الأخبار ، التابعة لسنة ست وتسعين ، استقراء أمر الوفاء والجماعة في سنة سبع وتسعين من أوله في العام السابق . وقد أذى هذا إلى تضليل (Blochet Op. cit. pp. 265-271) في ترتيب السنين . انظر س ١٥٤ حاشية ٣ .

القاع ذراعين ، وأخذ يزيد زيادة ضيفة إلى سادس عشر مسرى ، فزاد أصبعا ، ثم وقف . ثم زاد زيادة قوية ، أكثرها ذراع ، حتى بلغ خمسة عشر ذراعا وست عشرة إصبعا . ثم انحط من يومه ، فلم يُنفع به . وكان الناس قد فنوا ، بحيث بقي من أهل القرية الذين كانوا خمسمائة نفر إما نهران أو ثلاثة . فلم تجد الجسور من يقوم بها ، ولا القرى من يعمل مصالحها . وعدمت الأبقار ، بحيث أبيع الرأس بسبعين دينارا ، والمزبل بستين دينارا . وجافت العرقات بمصر والقاهرة وقراها . ثم أكلت البودة ما زرع ، فلم يوجد من النقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده .

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة والناس تأكل الأطفال ، وقد صار أكلهم طبعا وعادة ، وضجر الحكام من تأديبهم . وأُبيع^(١) القمع — إن وجد — بثمانية دنانير [الأردب] ، والشعير والنبول بستة دنانير . وعدم الدجاج من أرض مصر ، فجلبه رجل من الشام ، وباع كل فروج بمائة درهم ، وكل بيضتين بدرهم . وهذا وجميع الأفران إنما تقد بأخشاب المساكن ، حتى دخلت سنة ثمان وتسعين . وكان كثير من المسانير يخرجون ليلا ، ويأخذون أخشاب الدور الخالية ، ويبيعونها نهارا . وكانت أزقة القاهرة ومصر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة ، ولم يبق بمصر عمار إلا شط النيل . وكانت أهل القرى تخرج للحراث فيموت الرجل وهو ماسك الحراث .

وفي هذه السنة قدم غلام سنه نحو عشر سنين — من عرب الحوف بالشرقية — إلى القاهرة ، أسمر حلو السرة ، على بطنه خطوط بيض ماصعة البياض ، متساوية القسة ، من أعلاه إلى أسفله ، كأحسن ما يكون من الخطوط . وفيها مات [الأمير بهاء الدين] قراقوش الأسدى ، في غرة^(٢) شهر رجب بالقاهرة ، ودفن بسفح القطم .

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . في أول المحرم رحل الأفضل والظاهر من دمشق . فصار الظاهر إلى حلب ، ومعه جماعة من الأمراء الصلاحية ، منهم فارس الدين ميمون القصرى ، ومراستقر ، والفارس البكى ، فأقطعهم الإقطاعات وأكرمهم وتوجه

(١) في س بلغ . (٢) في س ويبيوته .

(٣) في س عره ، وقد أثبت هذا الرسم لاحتمال قراءته « وعرة » .

الأفضل إلى حمص ، وبها أمه وأهلها عند الملك المجاهد . وقدم العادل إلى دمشق ، ونزل باقلمة ؛ ثم سار منها إلى حبة ، ونزل عليها بمساكره . فقام له الملك للتصور بجميع كلفه ونفقاته ، وأظهر أنه يريد حلب . فخافه الظاهر واستعد لقتاله ، وراسل العادل وبث إليه بهذا جليلة ولا طقه . فانتظم الصلح بينهما : على أن يكون للعادل مصر ودمشق ، والسواحل وبيت المقدس ، وجميع ما هو في يده وأولاده من بلاد الشرق ؛ وأن يكون للظاهر حلب وما معها ، وللتصور حماة وأعمالها ، وللجهاد حمص والريحية^(١) وتدمر^(٢) ، وللأجد بلبك وأعمالها ، وللأفضل سيمساط وبلادها لا غير ؛ وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد [جميعها] . وحلفوا على ذلك . فخطب للعادل بحلب ، في يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة . وأقطع الأفضل قلعة^(٣) النجم مع سرّوج^(٤) وسمساط . وجيز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى [الجزيرة] ، ليتسلم حران والرها وما معها ، ويستقر بالجزيرة ؛ و[يستقر] الأوحى أيوب أخوه^(٥) في ميفارقين . وترتب بقلمة جيمر ابنه^(٦) الحافظ نور الدين أرسلان . وأقر [العادل] ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق . وعاد العادل من (١٤٤) حماة إلى دمشق ، وقد اتفقت كلمة بني أيوب .

وفيهما قتل المزمع إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب : وذلك أنه لما ملك العين - بعد أبيه - خرج عليه الشريف عبد الله الحنفى . ثم خرج عليه

(١) بنير ضبط في س ، وهى التى تعرف برحبة مالك بن طوق ، بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، وبين حلب خمسة أيام ، وبين بندا مائة فرسخ ، وبين الرقة ثيف وعشرون فرسخا . وهى بين الرقة وبندا ، على شاطئ القرات ، جنوى قرقيا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٤٤) .

(٢) بنير ضبط في س ، وهى مدينة قديمة معهورة في بيرة الشام ، بينها وبين حلب ستة أيام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٢٨) ؛ انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 272, N. 2)

(٣) فى س قلعة نجم ، بلاصرىف ، وبشير ضبط . وهى قلعة جبلية مطلة على القرات ، وعندها جسر تمر عليه القوافل من حران إلى الشام . وكانت تعرف قلا بقلمة منبج ، وعرفت كذلك بجسر منبج ، فلها تبعد عنها خمسة وعشرين ميلا فقط . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٥) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 273, N. 2) . (٤) بنير ضبط في س ، وهى بلدة قريبة من حران

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٥) . راجع أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 372, N. 2) .

(٥) ضمير الهاء على الأشرف موسى . (٦) الهاء هنا عائد على الملك العادل .

نحو ثمانمائة من مماليكه ، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء ، فسكسرم وجماعهم عنها . فادعى
الربوبية ، وأمر أن يكتب عنه ويكتب بذلك ، وكُتب : "صدرت هذه المكاتب من مقر
الإلمية" . ثم خاف [المعز إسماعيل] من الناس ، فادعى الخلافة ، وانتسب إلى بني أمية ،
وجعل شعاره الخضر . وليس ثياب الخلافة ، وعمل طول كل كُم خمسة وعشرين شبرا في
سعة ستة أشبار . وقطع من الخطبة الدعاء لبني العباس ، وخطب لنفسه على منابر اليمن ،
وخطب هو بنفسه يوم الجمعة . فلما بلغ ذلك عمه العادل سير الإنكار عليه ، فلم يلتفت إلى
قوله ، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة . فثار عليه مماليك أبيه ، لهوجه وسفكه
الدماء ، وحاربوه وقتلوه . ونصبوا رأسه على رمح ، ودلروا به بلاد اليمن ، ونهبوا زبيدة
أيام . وكان قتله في رابع عشر رجب ، من سنة ثمان وتسعين . وقام من بعده أخوه الناصر
أيوب . وقيل محمد ، وترتب سيف الدين سنقر أتابك المساكر ، ثم استقل سنقر بالسلطنة .
وفيها كان الفلاء بمصر ، فلما طلع النيل رويت البلاد ، وانجمل السمر .



سنة تسع وتسعين وخمسمائة . فيها وصل الفرنج إلى عكا ، ونحرك أهل
صقلية اتعد ديار مصر . فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل ، نجدة إلى العادل وهو
بدمشق . فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن حَازَنِيكِين^(١) ، صاحب صهيون ، يخبر
بنزول صاحب الأرمن^(٢) على جسر الحديد^(٣) لحرب أنطاكية ، وأن أكثر الفرنج عادوا من
عكا إلى البحر ، ولم يبق بها إلا من يحجز عن السفر ، وأن بها غلاء عظيما^(٤) .

(١) مخطوط على مخطوطة في أبي شامة (كتاب الرونتين ، ص ٣٦٧ ، في . Rec. Hist. Or. IV)
وند ضبطه (Blochet: Op. cit. p. 275) ضم الحاء . (٢) صاحب الأرمن في تلك السنة (Leon II) ،
أي ابن لاون الذي تقدم ذكره . راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Armenia) . (٣) بلدة على نهر حاة
أو العاصي ؟ يمر بها النهر في مجراه من حلة إلى شيزر ، ثم إلى بحيرة أمابية ؟ فذكر كوش جسر الحديد ؟
ومنها إلى أنطاكية (O. Demombynes : Op. cit. p. 171) . (٤) في ص عظيم .

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة، ومعه الأفضل^(١). ثم تقرر الصلح على أن يحمل [ناصر الدين أرسلان الأرتقي صاحب ماردين^(٢)] للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه. فعاد الأشرف إلى حران. وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز [عثمان] من مصر إلى الرها بأهله وإخوته، خوفا من شيعته. وفيها شرع العادل في بناء قصر^(٣) دائر على سور دمشق بالحجر والجير^(٤) (ب)، و[في] تعميق الخندق وإجراء الماء إليه. وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج.

وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة فركب إليهم المنصور في ثالث رمضان، وقتلهم فهزهم وأسروهم وغنم، وعاد مظفراً. فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر في نحو سبعين ألفاً، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين. وخرج جمع من الإسماعيلية^(٥) من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضاً. فخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسرجاهم، وانهزم من بقي.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل على ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف [موسى] أن يتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نيم، ففعل ذلك، ولم يبق معه سوى سيمساط لا غير. فسير [الأفضل] أمه إلى العادل لتشفيعه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها، وأعادها خائبة. وكان هذا عبرة، فإن

(١) في س ومعه الأفضل منه.

(٢) أشيف ما بين القوسين بد مصاحبة ابن الأمير (الكاظم في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٧؛ وكذلك Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 168).

(٣) القصيل حائط قصير دون الحصن، أو دون سور البلد. (محيط المحيط). ويقابله في الفرنسية (Avant-Mur)، وفي الإنجليزية (Barbecan) أو (Screen-wall). (راجع Dozy: Suppl. Dict. Ar.).

(٤) في س الاستيوار بناء ثم ياء، وتحريف الاسم حكفاً شائع في هذا الجزء من السلوك، ولعله التعلق التي توارى في القبة الرمية، لفتته على السلطان. وسيصحح إلى الرسم البرارد بأن ياء أولاً، بغير تنبيه، لقربه من أصل متطوقة في اللغات الأوروبية.

صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكيات^(١)، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن زنكي، يستثنى إليه في أن يبقى للوصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات. فزوق [صلاح الدين] في ولده الأفضل عليّ بمثل ذلك. وعادت أمه خائبة من عند المادل. ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه قطع خطبته، ودعا لسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان السلجوقي، صاحب الروم.

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار. وفيها انقضت دولة المواسم بمكة^(٢) وقدم إليها حفظة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع. فخرج منها مكث بن عيسى بن قُليقة^(٣) إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستائة. ثم وصل محمد بن مكث إلى مكة، فخار به وهزموه. ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أسراء إلى أحوام كثيرة.

سنة ستائة. فيها تقرر الصلح بين المادل وبين الفرنج، وانقضت المدة بينهما، وتفرقت المساكر. وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس^(٤) بقلعتها.

(١) يقصد المؤلف آل بيت نور الدين محمود زنكي وعبارة القرظي هنا أيضا تدل بوضوح على أنه اقتبس بحرية من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٩).

(٢) كان أمراء مكة منذ سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م)، من بيت أبي جعفر بن موسى الحسني الهاشمي وكانوا تابعين للدولة الفاطمية، شمال إفريقية ومصر، حتى استقل أبو الفتح بن أبي محمد جعفر عنها لمدة قصيرة. ثم تطلب بنو فاتق على مكة، وانزعجوا من بني موسى. وتلاهم في إمارتها بيت حشاشي آخر سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م)، وبقيت في يد أمراء هذا البيت الأخير إلى سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م)، حين جاء قتادة بن إدريس المذكور في المتن، وهو البسط الماشري من ولد موسى الحسني الهاشمي المتقدم ذكره والسادس عشر من علي بن أبي طالب. هذا وقد بقيت مكة في يد أمراء بني قتادة حتى عمى الوعاين. (الفتشدي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٦-٢٧٥)؛ و (Hogarth: A Hist. of Arabia, pp. 82 et seq.). انظر أيضا (Enc. Isl. Arts. Mecca, Ka'aba).

(٣) ضبط في س ينتج الفاء فقط. انظر (الفتشدي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧١).

(٤) في س الإبرنس. ويقصد المؤلف الأمير يميند الرابع (Bohemond IV of Antioch)، وهو الذي حالف الظاهر صاحب حلب، كما فعل أبوه (Bohemond III) من قبله، ضد (Leon I) صاحب أرمينية. انظر (Stevenson: Crusaders In The East, pp. 298-300).

فخرج الظاهر من حلب بجدة له ، فقرأ ابن لاون . وفيها أوقع الأشرف [موسى بن العادل] بسكر الموصل ، وهزمهم ونازلها ، وبها^(١) السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي أتابك بن آقسنقر . ونهب [الأشرف] البلاد منها قبيحا ، وبعث إلى أبيه العادل بالبشارة ، فاستعظم ذلك وما صدقه ، وسر به سرورا كثيرا .

وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية من الروم^(٢) . وفيها جمع الإفرنج يمكا من كل جهة (١٠٥) يريدون أخذ بيت المقدس . فخرج العادل من دمشق ، وكتب إلى سائر الممالك يطلب التجندات ، فنزل قريبا من [جبل] الطور^(٣) على مسافة يسيرة من عكا . وحسب الإفرنج بمرج عكا ، وأغاروا على كفر كنا^(٤) ، وأسروا من كان هناك ، وسبوا ونهبوا . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها مات ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج^(٥) أرسلان بن سليمان ابن قتلومش بن ينيو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم ، في سادس ذي القعدة . وقام من بعده ابنه عز الدين قليج أرسلان ، وكان صغيرا ، فلم يستتب أمره . وفيها عاد الأشرف [موسى] ابن العادل إلى حران بأمر أبيه . وهم العادل رحيله إلى مصر ، فقدم عليه ابنه الأشرف ، ثم عاد إلى حران .

وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر ، وعبر النيل من جهة رشيد . فوصل إلى فوة ، وأقام خمسة أيام ينهب ، والعسكر تبعاه ليس له إليه وصول ، لعدم [وجود] الأسطول [المادني]^(٦) .

(١) في س وفيها . وقد أصبحت حتى لا يحدث أبس مثل القى وقع فيه كاتب نسخة ب (٥٣ ب) ، وأدى إلى انطراب (Blochet : Op. cit. P. 282. N. 2) في ترجمته .

(٢) لم يمت للفرزى بذكر تفاصيل هذا الحادث التاريخي العظيم ، كما فعل ابن الأثير (السكائل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٦) .

(٣) بنير ضبط في س ، ويسمى أيضاً جبل طابور ، وهو أقرب إلى طبرية وحطين منه إلى عكا . (انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٥٠٧ ؟ و O. Demombynes : Op. cit. p. 124. N. 4 .)

(٤) بنير ضبط في س ، وهي بلد بين طبرية والناصرية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٠) ؟ وكذلك O. Demombynes : Op. cit. pp. 123, 124 .

(٥) عبارة للفرزى هنا ، وفيها على عن الزوال (سطر ٢ بالصيغة التالية) متفولة بنصها تحريها من ابن الأثير (السكائل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠) ،

وفيها أوقع الأمير شرف^(١) الدين قراقوش [التقوى] المظفرى ببلاد المغرب ، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن . وفيها كانت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر أرض مصر والشام ، والجزيرة وبلاد الروم ، وصقلية وقبرس ، والوصل والعراق ؛ وبلغت إلى سبعة بلاد المغرب . وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدي الروم ، فلم يزالوا بها حتى استعادها الروم منهم ، في سنة ستين وستائة .

سنة إحدى وستائة . فيها تم الصلح بين الملك العادل وبين الفرنج ، وتقررت الهدنة مدة ، وشرطوا أن تكون يافا لهم ، مع مناصفات لد والرملة ، فأجابهم [العادل] إلى ذلك . وتفرقت الساكر ، وسار العادل إلى القاهرة ، فنزل بدار الوزارة ، واستمر ابنه الكامل بقلمة الجبل ، وشرع في ترتيب أمور مصر . وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجويني^(٢) ، وإلى القاهرة ، في سلخ جمادى الأولى . وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية^(٣) من الروم . وفيها غارت الفرنج الإستبارية على حمة في جمع كبير ، لأن هدمتهم انقضت ، فقتلوا ونهبوا ، ثم عادوا . وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة ، فسر به وأكرمه ، ثم رجع بعد أيام . وفيها أغار الفرنج على حمص ، وقتلوا وأسروا . فخرج العادل من القاهرة إلى بركة الجب ، ثم عاد . وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية ، وقتلوا عدة من المسلمين ، وغنموا وسبوا شيئا كثيرا .

وفيها أخذ صاحب صفى الدين عبد الله بن شكر يُقرى للملك العادل بأبى محمد مختار ابن أبى محمد بن مختار ، المعروف بابن قاضى دارا ، وزير الملك الكامل ، حتى تم عليه وطلبه . تخاف عليه الكامل ، وأخرجه (هـ ؛ ب) من مصر — ومعه ابنه غرا الدين وشهاب الدين — إلى حلب ، فأكرمهم الملك الظاهر . ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر ،

(١) في س بها الدين . (٢) بنير ضبط في س ، والجوينى نسبة إلى بلدة جوين ، ومى إحدى ثلاث بلاد بهذا الاسم . انظر (Enc. Isl. Arts. Djuwain & Djuwaini) .

(٣) في س قسطنطينية ، ويوجد في (Blochet : Op. cit. p. 84. N.1.) ترجمة من الفارسية لما جاء في كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين عن فتح الفرنج للقسطنطينية .

فخرج ونزل بين المباركة ظاهر حلب . فلما كان في ليلة الرابع والعشرين^(١) من ذي القعدة ، أحاط به نحو المحسين فارساً في أثناء الليل ، وأيقظوه وقتلوه . ثم قالوا لندائه : "أحفظوا أموالكم ، فما كان لنا غرض سواه" . فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له ، وركب بنفسه حتى شاهده ، وبحث الرجال في سائر الطرقات ، فلم يقف لقتلته^(٢) على خبر ، فكانت هذه القضية من أعجب ما سمع .

سنة اثنتين وستمائة^(٣) . فيها قبض على الأسد أبي المكارم بن المهذب بن ماني صاحب الديوان ، في جمادى الآخرة ، وعلق برجله . وفيها قبض على الأمير عبد الكريم^(٤) ، أخى القاضي الفاضل ، وأخذ خطه بشرين ألف دينار وأداها . وأخذ من [شرف الدين]^(٥)

(١) في س الرابع عشرين . (٢) في س قتله .

(٣) أخبار هذه السنة كلها مكتوبة على هامش الصفحة ، ويصغرها مامش مشطوب نصه : "ولها مات ركن الدين سليمان بن للعج أرسلان بن سمود صاحب قونية ، وملك بعده ابنه قلع أرسلان بن سليمان" . وقد تقدمت هذه الرواة في س ١٦٣ .

(٤) في س الأمير . (٥) موضع ما بين القوسين يلائم في س . وكان ابن قريش هذا كاتب ديوان الإنشاء ، ويبلغ أنه كان موسراً ، فقد ابني بالقاهرة فندقاً عرف باسمه ، وعن هذا الفندق وابنه كتب القرزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، س ٩٤) في باب ذكر المائات والفنادق ، مانصه : "فندق ابن قريش ، استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش ، كاتب الإنشاء ... [واسمه] إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش ، أبو [سحاق القرشي الخزوي المصري] ، الكاتب شرف الدين ، أحد الكتاب المجددين خطاً وإنشاء . خدم في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وفي دولة ابنه الملك الكامل ، بديوان الإنشاء . وسمع الحديث بكه وبصر ، وحديث . وكانت ولادته بالقاهرة ، في أول يوم من ذي القعدة ، سنة اثنتين وسبعمائة . وقرأ القرآن وحفظ كثيراً من كتاب المهذب في الفقه ، على مذهب الإمام الشافعي . وبرع في الأدب ، وكتب بخطه ما يزيد على أربعائة مجلد . ومات في الخامس والعشرين من جمادى الأولى ، سنة ثلاث وأربعين وستائة" .

هذا وقد تقدم ذكر والده شرف الدين هنا في س ٨٥ ، واسمه القاضي الرضوي عبد الرحمن بن قريش ، وهو الذي تولى قراءة العهد الذي أوصى به السلطان صلاح الدين يوسف في حياته لآل بيته ، سنة ٥٧٩ هـ . وكان للقاضي الرضوي قيسارية بالقاهرة ، عرفت باسمه ، كما عرف الفندق الذي بناه ابنه من بعده بفندق ابن قريش . ووصف القرزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، س ٨٦) تلك القيسارية ، في باب ذكر القيسر ، وترجم أيضاً لصاحبها ، بما نصه : "هذه القيسارية في صدر سوق الجبلون الكبير ، بجوار باب سوق الوراقين . ويسلك إليها من الجبلون ومن سوق الأخفانين ، السلوك إليه من البنداقين . وبها الآن سكن الأرمنيين (كننا) ، وبها سكن البرازين . قال ابن عبد الظاهر : استجدها =

إبراهيم بن عبد الرحمن بن قريش خمسة آلاف دينار . وفيها باشر التلج ...^(١) بن السكمي ديوان الجيش . وفيها ضرب صاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر الفقيه نصرا في وجهه بالدواة ، فأدماه^(٢) .

سنة ثلاث وستمائة . فيها كثرت التارات من الفرنج على البلاد ، خرج الملك العادل إلى البصرة ، ثم أَعَدَّ^(٣) السير إلى دمشق . ثم برز منها إلى حمص ، فأنته السامر من كل ناحية ، فاجتمع عنده عشرات آلاف . وأشاع أنه يريد طرابلس ، فلما انقضى شهر رمضان توجه إلى ناحية حصن الأكراد فتأزله ، وأسر خمسمائة رجل وغنم . وانفتح قلعة أخرى . ثم نازل طرابلس ، وعانت المساكر في قراها ، ولم يزل على ذلك إلى أيام من ذى الحجة . ثم عاد إلى حمص — وقد ضجرت المساكر — فيمت صاحب طرابلس يلتبس الصلح ، وسيّر مالا وثلاثمائة أسير وعدة هدايا ، فانقذ الصلح في آخر ذى الحجة .

وفيها حدثت وحشة بين العادل وبين ابن أخيه الملك الظاهر ، صاحب حلب . فترددت بينهما الرسل حتى زالت ، وحلف كل منهما لصاحبه . وكثر في هذه [السنة] تغريب العادل لقتلاع الفرنج وحصونهم . وفيها عزل صاحب ابن شكر البدر ابن الأبيض قاضي السكر ، وقرّر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودي الحموي . وفيها^(٤) قدم مانع بن سلبان شيخ آل دُعَيْج^(٥) من غزيرة^(٦) ، التي فيها بين بندا ومكة^(٧) .

== القاضي المرتضى بن قريش ، في الأيام الناصرية الصلاحية ، وكان سكانها إسطبلا (...) ... وهو القاضي المرتضى صفى الدين أبو المجيد عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش الخزوي ، أحد كتاب الإنشاء في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . قتل شهيدا على عكا ، في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى ، سنة ست وخمسين وخمسمائة . ودفن بالقدس ، ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وسع السلف وغيره .

(١) بيان في س . (٢) يظهر أن قلة أخبار هذه السنة في السلوك راجع إلى وقوع معظم حوادثها بحلب ، فلنراجع في تاريخ حلب لأمين المديم . انظر (١) . Blochet : Op. cit. p. 286. N. 1. (٣) أعاد السير ، وفي السير : أسرع . (عبط المحيط) . (٤ و ٥) البارة الواردة بين الرقبين موجودة بهامش الصفحة في س ، وهي في ب (١٥٥) آخر أخبار السنة خطأ ، وليست في (Blochet : Op. cit. P. 287) . (٥) بغير ضبط في س ، انظر قاموس المحيط .

(٦) بغير ضبط في س ، وهي في الطريق بين مكة والسكوة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٠٠ ، ٩٢٧) . (٧) انظر حاشية ٤ .

ومات [في هذه السنة] عبد الرحمن بن سلامة قاضي الإسكندرية بها ، يوم الأربعاء
ثامن صفر . وفيها تقي الأشرف...^(١) بن عثمان الأعور ، واعتقل أخوه علم الملك . و [فيها]
ماتت أم الملك المعظم بن المعادل بدمشق ، في يوم الجمعة عشرين ربيع الأول ، ودفنت
بفتح قاسيون .

• • •

سنة أربع وستمائة . فيها عاد الملك المعادل إلى دمشق ، بعد انقضاء الصلح بينه وبين
ملك الفرنج بطرابلس . و [فيها] يتت [المعادل] استاداره الأمير ألك كرك^(٢) المعادلي ، وقاضي
المسكر نجم الدين خليل المصودي ، إلى الخليفة في طلب التشریف والتقليد ، بولاية مصر
والشام والشرق وخلاط . فلما وصلا إلى بندا أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله ، وأحسن
إليهما وأجابهما ، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عثوية
الشهروردي^(٣) ، ومعه التشریف الخلفي^(٤) والتقليد ، وخلمة للصاحب صفى الدين بن شكر ،
وخلع^(٥) لأولاد المعادل : وهم الملك (١٤٦) للمعظم ، والملك الأشرف ، والملك الكامل .
ف عندما قارب [الشيخ أبو حفص] حلب خرج الملك الظاهر بساكره إلى لقائه ، وأكرم نزله .
وفي ثالث يوم من قدومه أمر بكرسي فنصب له ، وجلس عليه للوعظ . وجلس الظاهر ومعه
الأعيان ، فصعد بالوعظ حتى وجلت القلوب ودمعت العيون . وأخير [الشيخ] في وعظه بأن
الخليفة أطلق — في بندا وغيرها — من المؤن والضرائب ، ما يبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار .

(١) يانز في س . (٢) مضبوطة مكنا في س .

(٣) نسبة إلى سهرورد ، وهو بلد بأرض الجبال ، جنوبي السلطانية ، على الطريق بين همدان
وزنجيان . وقد خرج من هذا البلد جماعة من العلماء والمالين ، ومنهم أبو حفص عمر المذكور هنا ،
وكنيته في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤) أبو نصر . وهو صوفي شافعي
الذهب ، وكان إمام وقته لسانا وحالا . وقد تقدم عند أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، حتى جملة مقدما
على شيوخ بندا ، وأرسله في الرسائل الخليفة . وقد سنن السهروردي هذا كتابا سماه حوارف
المعارف . انظر (Enc. Isl. Arts. Suhraward & Suhraward) .

(٤) اصطلاح عامة للورخين على هذه النسخة رغم خطئها . (٥) في س وخلفا .

(٦) توجد بين متصرفي الصفحتين ٤٥ ب ، ٤٦ ورقة ، بها نبذة طويلة ، يرجع أنها من أخبار
حصار الفرنج ديبا سنة ٦١٥ هـ ، وقد لصقت بين هاتين الصفحتين خطأ ، فأرجو إيراد ما بها إلى
موضع المناسب .

ثم سار من حلب ، ومعه القاضي بهاء الدين بن شدّاد ، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار ، برسم الثّثار^(١) إذا لبس عه المادل خلعة الخليفة . وبث الملك المنصور من حماة أيضا مبلغا للثّثار . وخرج السّكر من دمشق إلى لقائه ، ثم خرج المادل بابنيه الأشرف موسى والمعظم عيسى ، وبرز سائر الناس لمشاهدة ذلك ، فكان يوما مشهودا . ولما دخل [الشيخ أبو حفص دمشق] جلس المادل في دار رضوان ، وأفيضت عليه الخلع ، وهى جبة أطلس أسود واسعة الكم بطراز مذهب ، وعمامة سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب بجوهر ثقیل . وقُدِّر [المادل أيضا] بسيف محلى ، جميع قرايه من ذهب . وركب حصانا أشهب بركب ذهب ، ونُشر على رأسه علم أسود ، مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة ، مركب في نصبة ذهب وتقدم القاضي ابن شدّاد فنثر الذهب ، وقدم له خمين خامة ؛ ونثرت رسل الملوك بعده . ثم لبس الأشرف والمعظم خلعتيهما وهما عمامة سوداء ، وثوب أسود واسع الكم . ثم خُلع على صاحب صفى الدين بن شكر الوزير كذلك . وركب المادل — ومعه ابناه ووزيره — بالخلع الخليفية ، وقد زينت البلاد . ثم عادوا إلى القلعة ، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام . وقرأ التقليد صاحب صفى الدين على كرسى ، وخوِطب المادل فيه بشاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين . وكان الوزير في حال قراءته قائما على الكرسي ، والمادل وسائر الناس أيضا قيام ، إجلالا للخليفة . ثم سار الشهاب السمرودى إلى مصر ، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفية ، وجرى من الرسم كما وقع بدمشق ، ثم عاد إلى بغداد .

وفيها أمر المادل بمارة قلعة دمشق ، وفرق أبراجها على الملوك ، فمروها من أموالهم . وفيها اتسعت مملكة المادل ، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده . فأعطى ابنه الملك الكامل ناصر الدين (٦٤٦ هـ) عمدا^(٢) مملكة مصر ، ورتب عنده القاضي الأعزّ خير الدين مقدم بن شكر . وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش إلى حصص ، وأدخل

(١) الثّثار ، بكسر النون ، ما ينثر في العرس للعاهلرين ؛ وبضم النون ، ما ينثر من المائدة فيؤكل للتواب . (الخطيب) .

(٢) عمدا في س عمدا .

في ولايته بلاد الساحل الإسلامية ، و بلاد النور وأرض فلسطين ، والقدس والكرك ، والشوبك وصرخد . وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية ، وهى الرها وما معها من حران وغيرها ، وأعطى ابنه الملك الأوحديهم الدين أيوب خلاط وميافارقين وتلك النواحي . وكان الأوحديهم قد بعث إليه أهل خلاط ليلكها ، فصار من ميافارقين وملكها . وفيها كذل الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل ، ونحوها إليها من دار الوزارة بالقاهرة ، فكان أول من سكنها من ملوك مصر . وتُقل إليها أولاد [الخليفة] الماضد [الفاطمي] وأقاربه ، في بيت [على] صورة حبس ، فأقاموا به إلى أن حوّلوا منه ، في سنة إحدى وسبعين وستائة^(١) .

وفيها^(٢) توفى الأمير داود بن الماضد في محبته ، وكانت الإسماعيلية تزعم أن الماضد عهد إليه ، وأمه الإمام من بعده . فاستأذن أصحابه [الملك] الكامل أن يزوروا عليه . ويندبوه ، فأذن لهم . فبرزت^(٣) النساء حاسرات ، والرجال في ثياب الصوف والشعر . وأخذوا في نديه والنياحة عليه ، واجتمع معهم من كان في الاستقار من دعائهم . فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم ، وقبضوا على المرفوقين منهم . فلما بهم السجون ، واستصغى أموال ذوى اليسار منهم . ففر من بقى ، وزال من حينئذ أمر الإسماعيلية من ديار مصر ، ولم يحسر أحد بعدها [أن] يتظاهروا بمدحهم .

* * *

سنة خمس وستائة . فيها سار الكُرُج^(٤) ونهبوا أعمال خلاط ، وأسروا وغنموا ؛ فلم يحسر الأوحديهم أن يخرج إليهم من مدينة خلاط . فلما بلغ ذلك العادل أخذ في

(١) قبالة هذه الفترة ، هاجم المصطفى في س ، ما نصه : " أنظر أول من سكن قلعة الجبل من الملوك ، ومدة اعتقال [بقايا] الفاطميين " . وهو محط غائب . (٢) بقية أخبار هذه السنة واردة بورقة منفصلة بين ملحق المصنفين ٤٦ ب ، ٤٧ أ تحت عنوان نصه : " سنة أربع وستائة " .

(٣) في س فخر . (٤) في س الكرك ، بنير ضبط ، والكرك أمة من المسلمين ، ساكنها بجبال التور (جبال لبي) ، المجاورة لنفليس . وكانت جهة أبحاز مقلهم ، ثم استولوا على نفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ ، حسبما جاء في إياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ٨٥٨) . ولم يزالوا متسلكن على نفليس ، وأبحاز مقلهم ، حتى أغار عليهم خوارزم شاه جلال الدين ، سنة ٦٢١ هـ ، فاستولوا على نفليس منهم .

التجهيز لحرب السكرج ، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق . وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر الأتابكي ، صاحب الجزيرة . قتله ابنه محمود ، وقام في الملك من بعده . وفيها بعث الأمير سيف الدين سقر ، أتابك الحين ، عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل ، عليها اسمه .

وفيها مات القاضي مكين الدين مطهر بن حدان ، بقلعة بصرى في شهر رجب . ومات هلال الدولة وشاب بن رزين^(١) ، وإلى القاهرة . وعزل الأمير سيف الدين علي بن كنهان^(٢) عن ولاية مصر ، وعزل الأسعد بن حدان عن الشرقية ، وباشرها خشخاش الوراق . وفيها توفى قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الساراني ، يوم الأربعاء خامس رجب . و [كان قد] قدم مصر في رابع رجب ، سنة خمس وستين وخمسة ، فتكون مدة مقامه بدمار مصر أربعين سنة .

صنة ست وستائة . فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة السكرج ، ومعه الملوك [من بني أيوب : وهم الملك المنصور صاحب حماة ، والملك المجاهد صاحب حمص ، والملك الأجد صاحب بعلبك^(٣) . وأرسل إليه الملك الظاهر غازي صاحب حلب جيشا] . فنزل [العادل] حران ، وأتمته النجدات [مع ولديه الملك الأوحده صاحب خلاط وميافارقين ، والملك الأشرف موسى ، وغيرهما^(٤) . فاستولى على نصيبين ، ونازل سنجار ، وبها الملك قطب الدين محمد بن زنكي . فكانت بينهما عدة وقائع ، بعث في أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر [لدين الله] ، وإلى الملك^(٥) [الظاهر غازي صاحب حلب ، وإلى كيخسرو بن قلعج أرسلان صاحب الروم ، وغيرهما] يستعجدهم على العادل . فقال

(١) مضبوط على سمي له في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٥) .

(٢) مضبوط على منطوقه في أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ١٢٤ ، ١٦٦ ، في Rec. Hist. Or. V. (١٥٣) راجع Blochet : Op. cit. p. 292. N. I. ؛ وابن الأثير : الكامل في

التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٧ — ١٨٩) .

(٣) في س الملوك . وقد أضيف ما بين القوسين من المرجعين المذكورين بالمعاصرة السابقة .

إليه عدّة من اللوك ، عوناً له على العادل ، فقارقه عدّة ممن كان معه على حصار سنجار ، ودسوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس ، ففسدت أحواله ، وقدم عليه رسول الخليفة ، وهو ^(١) هبة الله بن المبارك بن الضحاك [يأمره بالرحيل ، فقال له الإمام [الخليفة] الناصر : " قال لك بجبايتي يا خليلي ارحل " . فعاد [العادل] إلى حران ، وتفرقت المساكر عنه .

و [فيها] حصلت بين العادل وبين [وزيره] العاصم ابن شكر منافرة ، أوجبت غضبه وسفره في البرية ، فركب النصور صاحب حمّة ، وخر الدين جباركس صاحب بانياس ، حتى لحقا في رأس عين ، وقدما به على العادل فرضى عنه ، ومن حينئذ انحطت منزلته .

وفيهما مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين ، وقيل إنه سُمِّم ، فحمل إلى حلب ليدفن بها . وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق . وفيها ولي الأمير المسكرم بن المظلي قوص ، في ذى القعدة .

سنة سبع وستمئة . فيها غرقت الملك الأوحدي العادل بملك الكرج ، (١٧٠١) فعدى نفسه منه بمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف أسير من المسلمين . وأن يلزم الصلح ثلاثين سنة ، وأن يزوجه ابنته بشرط الانفارق ديها . فأطلقه [الأوحدي] ، وردّت ^(٢) على المسلمين عدة قلاع . وفيها مات الأوحدي ، ومَلَكَ خلاط بعده أخوه الأشرف . وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل ، واجتمعوا في عكا ، فخرج الملك العادل من دمشق ، فوقع بينه وبينهم صلح . وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا ، وسار إلى السكرك ، فأقام بها أياماً . ثم رحل إلى مصر ، فدخل القاهرة ونزل بدار الوزارة .

وفيهما مات الأمير خرد الدين جباركس . وفيها تحرك الفرنج [ثانياً] ، فتجهز العادل للافترق إلى الشام . وفيها كُفّت يد صاحب صفى الدين بن شكر عن العمل . وفيها مات السلطان

(١) رافق ابن المبارك إلى الملك العادل رسول ثان ، آتى معه من بغداد ، وهو الأمير آق باشا ، أحد خواس ممالك الخليفة الناصر لدين الله . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٨) .

(٢) في س وورد .

نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكي صاحب الموصل ، في شهر رجب . وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً . وأقام من بعده ابنه الملك القاهر عز الدين مسعود ، وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، بملوك أبيه . وفيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة^(١) للخليفة الناصر ، ولبسوا سراويل الفتوة [أيضاً] فوردت عليهم الرسل بذلك ، ليكون ابتزازهم له . وأمر كل ملك أن يسقي رعيته ويلبسهم ، لتفتي كل رعية إلى ملكها ، ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفتحها . وأسراها وأكابرها ، وأبس كلا منهم له ، وسقاها كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مغرماً بهذا الأمر ، وأمره الملوك أيضاً أن تنسب إليه في رمي البندق^(٢) ، وتجمله قدوتها فيه .

(١) في س الفتوة بغير ضبط ، وتكررت بلفظ الفاء فقط ، وبغير ضبط أيضاً . وبهاش الصنعة البارة الآتية : " انظر كأس الفتوة وسراويلها " ، ضبط مخالف . وبالحظية التالية شرح لذلك كله .

(٢) يذكر زيدان (تاريخ الممّن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٥٣ — ١٥٤) نبذة عن البندق ، في باب ألعاب الخلفاء ، ولامهم ، وقد أشار إلى أنه اتبها من عدة مراجع موثوق بها ، كالفرزي وابن الأثير وابن خلدون وابن الفداء وأبي الفرج صاحب الأغاني ، ونه : " البندق كرات تصنع من الطين ، أو الجوار أو الرصاص ، أو غيرها ، وهي فلوسية بلفظها واستعمالها ، ويسونها أيضاً بالملامح ، جمع جلاعق ... واتبس العرب هذه اللعبة في أواخر أيام [الخليفة] عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها في المدينة منكراً ، ثم ألّفوها حتى شكلوا غرماً من الجند ترى بها وكان رماة البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة ، يخرجون إلى ضواحي المدن ، ينساقون في رمية على الطير ونحوه ، ويمدون ذلك من قبل الفتوة . وينسب في رماة البندق أن ينتقلوا بطير الحمام ، ولهم زى خاص ، يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ، ويسونها سراويل الفتوة ، وكان المبارون من أهل بغداد يلبسونها في أواخر الدولة ، حتى إذا أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العباسي ، المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، جعل لرى البندق شأنًا ، لأنه كان ولماً به ، وباللقب بالحمام المناسيب ، وكان يلبس سراويل الفتوة . وقد بلغ من رغبته في ذلك ، حتى جعل لرى البندق فناً ، لا يتصله إلا الذين يعرفون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها ، على أن يكون بينهم روابط وثيقة ، نحو ما عُدّ بس الجميات السرية . وجعل [الخليفة] نفسه ورئيس هذه الطائفة ، يدخل فيها من شاء ، ويحرم من شاء . وكذب [الناصر] سنة ٦٧ هـ إلى ملوك الأطراف ، الذين يعرفون بخلافته ، أن يصروا له كأس الفتوة ، ويلبوا سراويلها ، وأن ينسبوا إليه رمي البندق ، ويمدونه قدوتهم فيه ، فأجابوه إلى ذلك . فمن أراد الانضمام في ذلك هذه الطائفة يأتي ببغداد ، فيلبس الخليفة السراويل بنفسه . فبطلت الفتوة في البلاد جميعاً ، إلا من ليس سراويلها منه ؟ ومنع لرى البندق ، إلا من ينسب إليه . فأجابه الناس في العراق وغيره ، إلا أناساً [واحداً] اسمه ابن الفت من بغداد فإنه [هرب إلى الشام . فأرسل الخليفة إليه يرغبه بمنزل المال ، ليرى عنه وينسب في الرمي إليه ، فلم يقبل . فلامه بضمه على ذلك ، فقال : يكتمني غراً أنه ليس في الدنيا أحد لا يرى الخليفة إلا أنا . وكان لرى البندق شأن كبير في المصور الإسلامية الوسطي ، بالعراق والشام ومصر وفارس وغيرها . وخط البندقيين بالقاهرة بسبب =

وفيهما قدم إلى القاهرة كلام^(١) الفرنجي الجنوبي ناجرا ، فانصل بالملك العادل ، وأهدى إليه نقاش فأنجب [العادل] به ، وأمره بملازمته . وكان [كلام] في باطن الأمر عينا للفرنج ، يطالهم بالأحوال ، فقبل هذا للعادل ، فلم يلتفت إلى ما قيل عنه .

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن عاني ، في رابع من جمادى الأولى ، بالقاهرة . ومات الأمير سياروخ^(٢) ، في خامس عشر رجب .

وفيهما قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان [السلجوقي] صاحب قونية ، [وقد حدث ذلك في أوائل السنة ، وهو يواقع الأرمن حلفاء الروم ، عند بلدة خوننا من أعمال آذربيجان] . وكان قد [غلبه^(٣) أخوه ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان على قونية ، وأجلاها إلى الفرار منها سنة اثنتين وتسعين وخمسة . ثم مات ركن الدين سليمان سنة ست مائة ، وقام بعده في قونية ابنه قلج أرسلان بن ركن الدين . وعند ذلك عاد كيخسرو [إلى بلاده] ، بعد فراره إلى حلب [وغيرها] . وملك [كيخسرو] قونية ثانيا ، بعد خطوط جرت له ،

== إلى صناعة أفواس البندق . ثم تصنوا في رى البندق بالمرابيق أو الأنابيب ، بضبط الهواء من مؤخر الأنبوب ، بما يشبه (١٥٤) أنابيب الساق . فلما اخترعوا البارود ، صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ، وسما هذه الآلة ببندقية ، نسبة إليه . ومن قبل رى البندق رى الشباب في الرصاص ، وهو غرس في الهواء ، أو على رأس رمح أو نحوه . يطليون إصابته بالشباب ، وهي لعبة فارسية ، أول من لعبها من الحلفاء الرشيد . راجع أيضا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ؛ والمقرئ : للواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣١ — ٣٢ ؛ و (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) . هذا ويرى (Blochet : Op. cit. P. 297. N. 1.) أن الطعام الذي ابتدعه الخليفة الناصر المماليك أصل هبات وجبات القروسية الأوربية في القرون الوسطى .

(١) كما في س بعر صط ، والزاجع أن هذا الرسم تهرب اسم (Ouillaume) ، على أنه يوجد في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥ ، في (Rec. Hist. Or. I.) تحت سنة ١٠١٨ هـ ، أي في أوائل أيام الحروب الصليبية بالثمام ، أن جوسلين كورتني ، صاحب تل بلشر والزها فيها بعد ، وقع أسيرا في يد المسلمين ، " وأسر معه ابن خاتمه كلام " ، واسمه الصحيح (Onleran) . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) . (٢) كما في س وبهر ضبط ، وترجمه (Blochet : Op. cit. p. 297) إلى (Shāhrokh) . (٣) أضيف ما بين الأفواس في هذه الفترة لتوضيح العبارة ، وذلك بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Kikhusraw I.)

وقد قبض أهلها على قلعج أرسلان بن ركن الدين . ثم قُتل كيخسرو بعد ما استفضل أمره ،
وولى ابنه [عز الدين] كيكافوس بن غيات الدين .

وفيهما كانت وقعة بين حاج العراق وبين أهل مكة بمضى ، قُتل فيها عبد الشريف قتادة
اسمه بلال ، فقيل لها سنة بلال .

سنة ثمان وستمائة . فيها قبض الملك النادل على الأمير عز الدين أسامة^(١)
الصلاحى ، نائب كوكب ومجولن ؛ واعتقله وأخذ جميع ماله ، وسيره إلى الكرك ، فاعتقل
فيها هو وولده . وتسلم الملك المنظم قلعة كوكب ومجولن ، وهدم قلعة كوكب ، وعفى أثرها .
وفيهما توجه الملك النادل إلى الإسكندرية ، لكشف أحوالها . وفيها قدم بهاء الدين بن (٧٠ ب)
شداد من حلب إلى القاهرة ، بخطب ضيفة [حاتون] ابنة النادل شقيقة الكامل ، لابن عمها
الظاهر^(٢) . فأجيب إلى ذلك ، وعاد مكرما . وفيها ماتت أم الملك الكامل ، يوم الأحد
خامس عشرى صفر ؛ فدفنت عند قبر الإمام الشافعى . ورتب ابنها عند قبرها القراء
والصدقات ، وأجرى الماء من بركة الحبش إلى قبة الشافعى ، ولم يكن قبل ذلك . ففعل
الناس أبنية القرافة الكبرى إلى هذه القرافة من حينئذ ، وعمروها .

(١) فى سامة .

(٢) كان ابن شداد وزير الظاهر صاحب حلب منذ سنة ٥٩١ هـ ، وهو القاضي بهاء الدين
أبو المحاسن يوسف بن رافع المشهور ، صاحب كتاب النوارد السلطانية والمحاسن اليوسفية . ويوجد
ابن شداد آخر ، وهو مؤرخ أيضاً ، واسمه عز الدين أبو عداة محمد ، توفى سنة ٦٨٤ هـ ، وله كتاب
الملائك المطيرة فى ذكر أسماء النام والخزيرة . (Enc. Isl. Art. Ibn Shaddād) .

(٣) كانت هذه البركة تعرف أولاً ببركة الملقف وبركة حبر ، وعرفت أيضاً بإسطنبول قرة . وهى من
أشهر برك مصر فى القرون الوسطى ، وموقعها بظاهر مدينة السطاط من قريبا ، فيما بين الحبل والنيل .
وكانت أرضها مواتا ، فزعمها قرة بن شريك البيسى أمير مصر (٩١ - ٩٦ هـ) من قبل الأيوبيين ،
وأحيماها وغرسها قسبا ، ولهذا عرفت بإسطنبول قرة ، كما عرفت بإسطنبول قلنس أيضاً . ثم تميز عليها
الأسماء ، حتى صارت تعرف ببركة الحبش ، وحملت ونما على الطالبيين ، بنى على بن أبى طالب ، فاشتهرت
ببركة الأشرف . وكانت بركة الحبش من أكرم منزهات مصر ، يهرع إليها الناس فى أعياد النوروز
والنظاس والليلاذ والمهرجان وعيد الثمانين . وقد بنى عندها الخليفة الأسمر القاطمى منظره ، سميت بمنظره
بركة الحبش . وكان ماء النيل يدخل إلى هذه البركة من خليج بنى وائل ، مما يلي باب مصر من الجهة
القبلىة ، وهو الذى مره أيام القريرى بياض التنترة . (القريرى : المواقظ والاعتبار ، ج ١ ،
ص ٢٨٦ ، ج ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٧) .

وفيها خرج العادل من القاهرة ، فصار إلى دمشق ، وبرز منها يريد الجزيرة ، فواصل إليها ورتب أحوالها ، وعاد إلى دمشق ، ومعه كلام الفرنجى .

وفيها انقضى أمر الطائفة الصلاحية ، بانقضاء الأمير قراجا ، والأمير [عز الدين] ، أسامة^(١) ، والأمير [غر الدين] جهاركس ، وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم ، وفيها نقل أولاد المعاضد [الفاطمى] وأقاربه إلى قلعة الجبل ، فى يوم الخميس ثمانى عشرى رمضان ، وتولى وضع القيود فى أرجلهم الأمير غر الدين ألتونبا^(٢) أبو شمرة بن الصويك ، وإلى القاهرة . و [كانت] عدتهم ثلاثة وستون نفسا .

وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة ، هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر . وزلزلت السكوك والشوبك ، فأت تحت الهدم خلق كثير ، وسقط عدة من أبراج قلعتها . ورؤى بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض ، فبنا بين المغرب والعشاء ، عند أرض قصر عائكة .

وفيها^(٣) مات الموفق بن أبى السكرم التتيسى ، فى يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول . ومات ظافر بن الأرسوفى بمصر ، فى سلخ رجب . وفيها اجتمع بالإسكندرية^(٤) ثلاثة آلاف تاجر ، وملكان من الفرنج . فصار العادل وقبص [على] التجار ، وأخذ أموالهم ، وسجن الملكتين . وفيها^(٥) ، أعنى سنة ثمان وستائة ، كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة ، سببها أن حشيشا جاء لقتل الشريف قتادة ، فقتل شريفاً اسمه أبو هارون عزيز ، ظننا منه أنه قتادة . فثار الفتنة ، وانهمز أمير الحاج ، ونهب الحاج عن آخره . وفر من مكة من بمكة

(١) فى س سامة بفتح السين والميم .

(٢) كذا فى س ، وبغير ضبط . وليس بالراجح التناولة الملوأشى ما يشير بهى . يذكر إلى هذا الأمير ، على أنه يوجد فى ابن شداد (التوادر السلطانية ، ص ٦ - ٣ ، فى Rec. Hist. Or. III.) من اسمه الملب با ، وقد حصه الناشر إلى التون بناصر التمشك ، وعرفه بأنه كمال عتيقا للملك العادل .

(٣) بل هذه الكلمة البارة الآتية ، ومن مقطوعة ، لتبارك المؤلف ذكرها قبل ذلك (ص ١٧٤) ، ونصها : " مات أم الملك الكامل بالقلعة فى يوم الأحد ثمانى عشرى سفر " .

(٤) فى س سكندرية .

(٥) البارة التالية ، لى آخر حوادث السنة ، موجودة على ورقة مفصلة ، بين الصفحتين (٨ ، ٩) ،

١٤٩ . وواضح أن هذه الورقة لصقت هناك خطأ ، إذ البارة الدليل السكاكى لبرحة ذلك .

من نواب الخليفة ، ومن المجاورين . فبث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة إلى الخليفة يعتذر له عما جرى ، فقبل عذره ، وعفى عنه .

سنة تسع وستمائة . فيها نزل العادل بساكره حول قلعة الطور ، وأحضر الصناع من كل بلد ، واستعمل جميع أسراء المسكر في البناء ونقل الحجارة فكان في البناء خمسمائة بناء ، سوى القلعة والنحاتين . وما زال مقبلا حتى كملت . وفيها قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق بمال كثير وخيل ، برسم عقد نكاح ضيفة [خاتون] ابنة العادل ، على ابن عمها الظاهر صاحب حلب ، فخرج إلى لقائه عامة الأسراء والأعيان . وعقد النكاح في الحرم ، على مبلغ خمسين ألف دينار . ونثر النثار على من حضر بقلعة دمشق ، وذلك في الحرم . ثم جهزت إليه بحلب في جملة عظيم ، من جملة^(١) قاش وآلات ومصاغ ، بحملة خمسون بغلا ، ومائة بخي^(٢) ، وثلاثمائة جمل ، وجواري في الحامل ، على مائة جمل ، منهن مائة مغنيسة يملن بأنواع اللهى ، ومائة جارية يملن بأنواع الصنائع البديعة . فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما . وقدم لها الظاهر تقادم : منها خمسة^(٣) عقود جوهر بمائة وخمسين ألف درهم ، وعصابة جوهر لا نظير لها ، وعشر فلانند غير مذهب ، وخمس فلانند بغير ذهب ، ومائة وسبعون^(٤) قطعة من ذهب وفضة ، وعشرون تخنا من ثياب ، وعشرون^(٥) جارية ، وعشرة خدام . وفيها عزل المهام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة ، وولى نحر الدين الطولبا^(٦) أبو شعرة بملوك المهراني في ...^(٧) [وفيها] تنير الملك العادل على الوزير صفى الدين بن شكر ، ورفع يده من الوزارة ، وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى آمد ، فلم يزل بها حتى مات العادل . وفيها فروض العادل تدبير مصر ، والنظر في أموالها ومصالحها ، إلى ولده الملك الكامل ؛ فرتب [الكامل]

(١) في س . مله .

(٢) البخى الواحد من الإبل الحراسانية ، ومى جال ضخمة ، ذات ستامين ووبر أسود ، تستعمل في أسفار الشتاء ، والجمع غنات وبخت . (محيط المحيط ؟ Lane)

(٣) في س . حسى . (٤) في س . وسبعين .

(٥) في س . وعشرين ، في الموضين . أما التخت فمات بسان فيه الثياب . (محيط المحيط) .

(٦) انظر س ١٧٥ ، حاشية ٢ . (٧) يلين في س .

القاضي الأعز فخر الدين مقدم بن شكر ، ناظر المولتين . وفيها خرج المادل من الشام يزيد خلاط ، (١٤٨) فسار إليها ودخلها ، وفيها ابنه الأشرف ، [و] قد استولى على ما بها من الأموال^(١) .

سنة عشر وستمائة . فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه المادل ، وأخذ في الاستعداد ، ثم ترأسا حتى سكن الحال . وفيها ولدت صفة ابنة المادل لابن عمها الظاهر مولودا ، سماء محمدا ، ولقبه بالملك العزيز غياث الدين ، وذلك في خامس ذي الحجة . فزينت حلب ، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا ، وأمر فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وُزن بالقناطير ، وصاغ [له] عشرة مهود من ذهب وفضة ، سوى ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره . ونسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ ، في كل فرجية أربعون^(٢) حبة ياقوت وأقل^(٣) وزمرد ، وذراعان وخوذتان^(٤) وبركتوتان^(٥) ، كل ذلك من لؤلؤ ، وثلاثة^(٦) سروج مجوهره ، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد ؛ وثلاثة^(٧) سيوف ، علاقتها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر ؛ وعدة رماح من ذهب ، أستها جوهر .

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب ، فلما قارب مكة صده قصاد الملك الكامل محمد بن المادل عن الحج ، وقالوا : "إنما جئت لأخذ بلاد اليمن ؛

(١) توجد بقالة هذا اللفظ ، بهامش الصفحة في س ، العبارة التالية : " وفيها مات شهاب الدين ابن ظهير الدين ... ابن المطار بالقاهرة في رجب . ومات الملك الأوحده [أيوب] بخلاط " . ويظهر أن القرطبي أنشأ مكان هاتين الروايتين ، لأن الأوحده نجم الدين أيوب بن المادل ، وماحب خلاط ، توفي سنة ٦٠٧ هـ . (انظر ما سبق هنا ، ص ١٧١ . المختصر في أخبار البشر ، ص ٨٦ ، ج ١ ، Rec. Hist. Or.)
(٢) في س أربعين . (Lane-Poole : Saladin. Table II, in pocket.)
(٣) الأقل هو البليش ، حيا جاء في القفندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٩٩ — ١٠٠) .
(٤) في س وخدرين وخوذتين . (٥) في س وبركتوتان ، بفتحة على الواو فقط .
(٦) البركتوتان لفظ فارسي معرب ، معناه حارس البدن ، وهو ما يوضع حول أهدان الخيول كالبرقع ، ويكون لفة كذالك . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . ويقابل هذا في الإنجليزية (Caparison) وفي الفرنسية (Caparaçon) ، وأصلهما من اللفظ الإسباني (Caparazon) ، كما جاء في المعجم الإنجليزية والفرنسية . وحل هذا اللفظ الفارسي منذ الأيوبيين فيها يبدو على لفظ عربي قديم وهو التجفاف . انظر ابن الجواليقي : المعرب ... (٦) في س طث . (٧) في س ثلاث .

فقال [الظافر خضر] : "يا قوم ! قيدوني ، ودعوني أفضى مناسك الحج" . فقالوا : "ليس معنا سرسوم إلا بردك" . فردّ إلى الشام ، من غير أن يبيع ، فأتى الناس لذلك .
وفيها مات الأمير فخر الدين إسماعيل وإلى مصر بها . وفيها دخل بطون من إحدى قبائل زناتة من القفر ، ونهبوا أعمال المغرب ، وحاربوا الموحدين وهزمهم ، وكان أمير بني مرين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حملة بن محمد بن ورصيص بن فكوس^(١) بن كوماط بن مرين .

[تسمة^(٢)] سنة عشرة وستمائة . فيها حفر خندق مدينة حلب ، فوجد فيه بلاطة صوّان ، عليها أحرف مكتوبة بالقلم السرياني ، فترجموه بالعربية ، فإذا هو : "لما كان العالم محدثا دل أن له محدثا"^(٣) ، لا كهُوَ ؛ وكُتِبَ [نحت هذه الأحرف] : "ثلثة آلاف من السنين خلون من الأسطوان"^(٤) الصّغير . فقلتُ البلاطة ، فوجد تحتها تسعة عشرة قطعة من ذهب وفضة وصوري^(٥) ، على هيئة اللّين ، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين^(٦) وطلا بالخلي ، وكان منها فضة أربعة وعشرين^(٧) وطلا ، وحلقة ذهب وزنها وطلان ونصف رطل ، وصوري^(٨) عشرة أرطال ونصف ، فكان الجميع رتبه قنطار واحد بالخلي^(٩) .

(١) كذا في س .

(٢) المباشرة الآتية إلى آخر السنة ، واردة في ورقة منفصلة في س ، بين الصفحي (٤٧) ب ، ٤٨ . وقد حذف كاتب النسخة ب (٨ هـ ب) المواضع كعادته ، واكتفى بكتابة "وفيها حفر خندق ..." . (٣) في س : محدث

(٤) أشكلت هذه الكلمة على للقرّبي ، فسكت فوقها "كذا" ، وضبط كلمة الصغير بفتح الصاد ، ولم يستطع التأثر أن يصل إلى توضيحها من المراجع والوسائل التي تبسّرت له . هذا وقد ترجم "Ces inscriptions étaient datées de cinq mille : Blochet : Op. cit. p. 804
ans a très peu de chose près".

(٥) كذا في س ، وقد كتب للقرّبي فوق هذا اللفظ أيضا "كذا" .

(٦) في س وستون . (٧) في س وعشرون .

(٨) توجد "كذا" فوق هذا اللفظ أيضا .

(٩) وردت أخبار هذا المنبر ، وظهور البلاطة ، وما تحتها من معدن ، في العيني (عقد الجمان ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٣٤٣) ، وفي ابن الهيثم (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٩) دون أية إعادة إلى لفظي "الأسطوان" و"صوري" ، ولا إلى الكتابة السريانية .



سنة إحدى عشرة وستمائة. فيها فارق الملك المنصور بن العزيز [عثمان بن صلاح الدين يوسف] من اعتقال عم أبيه الملك العادل، ولحق بالظاهر صاحب حلب، [ولاد به] هو وإخوته، فأكرمهم [الظاهر]. وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، و[انضم إليهم] عسكر ابن لاون ملك الأرمن، قصد بلاد السليمن، فهاجمهم السلجون. وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فنازلوا [قلعة] الختواني^(١)، ثم سادوا عنها إلى أنطاكية. وفيها غفر السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلعج أرسلان السلجوقي، صاحب بلاد الروم، بالأشكرى^(٢) ملك الروم. وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصر، فترلف في القاهرة بدار

(١) بنهر سبط في س، ويقع هذا الحصن الجبل على غرة عفر ميلان من أنطرسوس.

(Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 485 & Index).

(٢) يطلق التأخرون من مؤرخي السليمن هذا الاسم على أباطرة الدولة البيزنطية، منذ أوائل القرن السابع الهجري. ذلك أنه لما استولت جيوش الفرنج اللاتين، الذين عرفت عنهم بالحرب الصليبية الرامية، على القسطنطينية سنة ٦٠٠ هـ (انظر ص ١٦٣)، حملوا إمبراطورها (Alexius III) وأقاموا بدله واحداً منهم، واسمه (Baldwin, Count of Flanders). ثم ما لبث الوطنيون من البيزنطيين أن وجدوا في (Theodore Lascaris I)، زوج ابنة الإمبراطور المخلوع، زعيماً لهم في حركة إخراج اللاتين، فتوجهوا لإمبراطوراً بمدينة نيقية سنة ١٢٠٦ م. وحكم "الأشكرى" (Lascaris) هذا إمبراطورية الروم بلبقية، حتى وفاته سنة ١١٢٢ م. (Camb. Med. Hist. IV pp. 423, 425, 427). وهذا الإمبراطور هو الذي تلى السلطان غياث الدين كيخسرو السلجوقي، سنة ١٢١٠ م. (انظر ص ١٧٣). ثم ظهر به عز الدين كيكاوس بن كيخسرو، كما في المتن، وكان قد وقع في يد لتركمان، فأسلوه إليه. (أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ص ٨٦، ٨٧، في Rec. Hist. Or. I.). وخلص الأشكرى هذا في إمبراطورية نيقية زوج ابنته، واسمه (John III.)، حتى توفي سنة ١٢٥٤ م. ثم حكم الإمبراطورية بعده هذا الإمبراطور ولده الوحيد (Theodore Lascaris II.)، حتى توفي سنة ١٢٥٨ م. وقد ترك هذا الإمبراطور الثالث ولداً فاسراً على عرش نيقية، واسمه (John IV)، فخلعه وصيه (Michael Paleologus)، وأعلن نفسه إمبراطوراً سنة ١٢٥٩ م، باسم (Michael VIII)، وهو الذي وصفه الفيلسوف (صحيح الأفعى، ج ٥ ص ٤٠٢) بأنه "بطريق من بطارقة الروم، شهرته لشكرى، واسمه ميخائيل"، يقصد بذلك أنه كان (Patricius)، أي من الأشراف، وليس من رجال الدين. (انظر محيط المحيط، ج ٥ و Camb. Med. 507-509 Hist. IV, pp. 603, 604). وهذا الإمبراطور الجديد هو الذي استرجع القسطنطينية، سنة ١٢٦١ م، من الفرنج اللاتين، وبسط سلاطنته الدولة البيزنطية عليها، كما كان من قبل (Op. Cit. IV, pp. 509-516). ويلاحظ أن ميخائيل هذا ليس من بيت الأشكرى الأول، بل هو سليل أسرة أخرى بالقسطنطينية، غير أن اسم الأشكرى غلب على أباطرة الدولة البيزنطية عامة. (الفيلسوف: نفس المرجع والجزء والصيغة). انظر أيضاً ابن الأثير (الكمال في التاريخ، ج ١٢، ص ١٢٦).

الوزارة ، واستمر ابنه الكامل بقلمه الجبل . و [أمر المادل أن يقيم] معه كلام^(١) [الفرنجي الجنوى] بدار الوزارة وفيها ورد الخبر بموت سقر أتابك المين ، واستقر بمده الملك الناصر أيوب [صاحب المين في ملكه] ، وقام بأتابكته غازي .

وفيها شرع الملك المادل في تبليط جامع بن أمية [بدمشق] ، وكانت أرضه حُقرًا وجُورًا^(٢) ، وتولى العمل الوزير صفى الدين بن شكر . وفيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس^(٣) السود المادلية ، ثم بطلت بعد ذلك ، وقفيت . وفيها تولى مهم الدين عيسى القاهرة في شوال ، وتولى جمال الدين ابن أبي المنصور وكالة بيت المال [بها] . ومات سعد ابن سعد الدين بن كوجيا^(٤) في عشرين ربيع الآخر .

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن المادل من دمشق ، وحج معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة النبوية . فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه ، فلم يتمكن منه ، فعاد [الشريف سالم] بحجة الملك المعظم إلى دمشق . فبسته المعظم على عسكر إلى مكة ، فمات في الطريق قبل وصوله مكة ، فقام جاز بن قاسم - وهو ابن أخيه - بتدبير الجيش . فجمع قتادة ، وسار إلى ينبع ولفيه ، فهزم قتادة .

سنة اثنتي عشرة وستائة . فيها نازل الفرنج [قلمة] الخوازي ، وحاربوا الباطنية ، ثم صالحوهم . وفيها سير الخليفة الناصر [لدين الله] كتابه الذي ألقه وسماه روح الامارين^(٥) ، إلى الشام ومصر وغيرها ليستمع فيها ملك الفرنج أنطاليا ، وقتلوا من بها من المسلمين .

- (١) في س "ومعه كلام (كدا) بدار الوزارة " وقد أصيب ما بين القوسين لتوضيح العبارة .
 (انظر ص ١٧٣) . (٢) سقط الفرزى الحرف الأول من الكلمتين بالضم . وفي محيط المحيط :
 الجورة هي الحفرة ، ولا تخفى من الأرس ، والجمع حور (٣) هي القراطيس هنا القضايا من القضة ،
 (Dozy : Supp. Dict. Ar.) غير أن وصفها بالواد يدل على أنها من نحاس . (انظر ص ٩٩ ، حاشية ١) .
 (٤) كذا في س ، وببر ضبط ، وهو مترجم في (Blochet : Op. cit. p. 306) إلى (Kouiki)
 (٥) كتاب في الحديث . انظر (Blochet : Op. cit. p. 806. N. 8) . (٦) في س
 انطاكيا ، وببر ضبط . وخطأ الفرزى وامح من حية العبارة ، بالصفحة التالية . وأنطاليا ثغر حصين ،
 بأسيا الصغرى ، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨) .

وكانت بيد الملك [غياث الدين كيخسرو ، منذ ضمها سنة اثنتين وستائة ، إلى أن أجلاء التفرنج عنها سنة سبع وستائة . ثم استردها منهم الملك] الغالب عز الدين كيكائوس [سنة ثلاث عشرة وستائة ، بعد أن بقيت بأيدي التفرنج تلك المدة . وفي هذه السنة أيضا سار عز الدين إلى بلاد الأرمن ، وحاصر قلعة جابان ، وهزم عندها جيوش الأرمن ، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولى على قلعة جابان . ثم طلب الأرمن الصلح ، وأجابهم إليه عز الدين] ، (٨ ، ب) فأخذ [في مقابل الصلح] من بلاد الأرمن قلعة لؤلؤة [ولؤزاد] .

وفيها مات الملك للمعظم أبو الحسن علي بن الخليفة الناصر [دين الله ، وهو أصغر أولاده^(١) ، فلما قدم نفيه على ملوك الأطراف جلسوا في العزاء ، لابسين شعار الحزن ، خدعة للخليفة .

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن ، فخرج في جيش كثيف من مصر ، وسار إلى بلاد اليمن ، فاستولى على معانها^(٢) ، ونظر بعاصبتها الملك سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب . فسيره تحت الحوطة إلى مصر ، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستائة ، فخرج إلى المنصورة غازيا ، فقتل شهيدا . ودانت بلاد اليمن للملك المسعود .

وفيها عاد الملك المادل من الشام إلى القاهرة ، فلما قرى عليه ما أنفق على الملك المسعود في خروجه إلى اليمن استكثره . وأنكر [المادل] خروجه ، فإنه كان ينير أمره . وأُسمّر [المادل] بالقاضي الأعمز فُصْرِب وقيد ، واعتقل بقلعة الجزيرة ، ثم حمله إلى قلعة بصرى ، فسدجته بها . وفيها

(١) أخيف ما بين الأقواس للتوضيح ، وهذا بعد مراجعة (Enc. Isl. Arts Kaikau I. ٥)
(٢) Kalkusrew. I.) وقد ضبطت الأعلام ، إلى استزمتها البارة ، على منطوقها في حانين المتأخرين .

(٢) أفرد ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢) لصلافة أبي الحسن هذا ، قال فيه إن " الخليفة حزن عليه حزنا لم يسع بمثله ، حتى أنه أرسل إلى أصحاب الأطراف ينهائهم عن اتخاذ رسول إليه عزه بولده ، ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة ، وانقطع وخلا بهوموه وأحزانه ، ورؤى عليه من الحزن والجزع ما لم يسع بمثله ... وسم الصراخ العظيم من داخل القبة ؛ فقبل إن ذلك صوت الخليفة ... " . (٢) في ص ٨٩٤ .

نقل العادل أمواله وذخائره وأولاده إلى السرك . وفيها وعك بدته . وفيها ^(١) أبطل الملك العادل ضمان الحجر والقيان ^(٢) .

وفيها مات تقي الدين الكر ^(٣) ، شيخ الخاقاه ^(٤) [الصلاحية ، دار [سيد السعداء ، في الحرم .

(١ و ٢) ما بين الرقبن جزء من هاشم الصافعة في س ، وبقية تكرار لما سبق وروده عما حدث بين الصريف قتادة أمير مكة ، والشريف سالم أمير المدينة النبوية ، بمذنبه (انظر ص ١٨٠) . على أن هذا التكرار لم يخل من النغمة ، فقد قولت العبارة السابقة عليه ، وهذا نصه : " وفيها حاصر الصريف قتادة أمير مكة المدينة النبوية ، وهطم تخلا كثيرا . وكان أمير المدينة النبوية عند الملك العادل بالعلم ، نبهت معه جيشا ، وسافرات في الطريق . فقام بأمر الجيش ابن أخيه جاز بن طهم ، وسار إلى مكة ، وقتل أهلها ، وهزم قتادة إلى البنج ، وغنم شيئا كثيرا ، وتم قتادة ، وحصره ينبع " .

(٣) بخر ضبط في س ، وهو اسم يطلق على شعبة من الأكراد ، ويسمون اللورية . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ، ص ٧٧٣ ، ٣٥٦ ج ١١ ، ص ١٥٧ .

(٤) في س شيخ خانكاه . والخاناه والرباط والزاوية ، وجمعها خوانق ورباطات وزوايا ، معاهد دينية إسلامية ، للرجال والنساء ومى كالأديرة في المسيحية ، ويطلق الرباط أحيانا على الدير المسيحي ، كما يقال للراهب المسيحي رباط . غير أن تلك المعاهد الإسلامية لم تكن يوماً للربوة ، وإنما أنشئت لإيواء المتعلمين العلم ، والزهاد والعباد . وكان غرس مفتيها ، والمصدقين عليها ، فعل المجر واكتساب الثواب . واتفق الرباط والزاوية عرييان ، فأصل الرباط مكان إقامة الحامية المراقبة عند تنور العدو ، كما أن الزاوية في الأصل الركن من الدار ، أو المسكن علمة . (محيط المحيط) . أما الخاقاه ففارسية ، ومعناها البيت ، ومى حديثة في الإسلام ، — في حدود الأرمينية — وجمعت لتخل الصوفية فيها للعبادة والصوف . وأول من أحدث الخوانق في مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكانت الخاقاه التي أنشأها دارا تعرف أولا بدار سيد السعداء ، نسبة إلى الأستاذ قنر سيد السعداء ، عتيق الخليفة المستنصر الفاطمي . " وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما كانت وزارة العادل وزيك بن الصالح طلائع بن دريك سكنها ، وفتح من دار الوزارة إليها سردابا تحت الأرض ، لير فيه . ثم سكنها الوزير شاور بن جبر في أيام وزارته ، ثم ابنه الكامل . فلما استبد الصالح صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بملك مصر ، بعد موت الخليفة العادل ، وغير رسوم الدولة الفاطمية ، ووضع من قصر الخلافة ، وأسكن فيه أمراء دولته الأكراد ، عمل هذه الدار يرسم القنفاء الصوفية ، والواردن من البلاد الشامية . ووفتها عليهم في سنة تسع وستين وخمسة ، ووفى عليهم شيئا ، ووفى عليهم بستان الحمانية ، بحوار بركة القبل خارج القاهرة ، وفيبارة الشراب بالقاهرة ، وناحية دهمرو (كذا) من البهنساوية . وشرط أن من مات من الصوفية وترك عمرين دينارا فما دونها كانت لعقراء ، ولا يتعرض لها أيوان السلطان ؛ ومن أراد منهم الشر يطلعي تقفيره . ورتب للصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا ، وبى لهم حماما بجوارهم ؛ فكانت أول خانكاه (كذا) عملت بدير مصر . وعرفت بدير الصوفية ، ونمت شيخها بشيخ الشيوخ ، واستمر ذلك بعده " (القرزى : الواغظ والاعتبار ج ٢ ، ص ١١٤ — ١١٦ ؛

وفيه مات ابن سُوْرُوْس^(١) بن أبي غالب بطريق^(٢) الياقبة ، في يوم الخميس عيد النطاس ، سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة للشهداء — وهو الرابع عشر من رمضان — وله في البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما . وكان أولا يتجر إلى بلاد النين ، ففرق [سره] ، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بحشاشته . وكان لأولاد الجَنَاب^(٣) معه مال ، فأيسوا منه . فلما أجمع بهم أعلمهم أن مالم سَلِمَ ، فإنه كان قد عمله في مقابر من خشب ، وسمرها في المركب ، وأحضره إليهم . فتميز عندهم بذلك ، حتى مات البترك سرقس^(٤) ابن زُرْعَة . فتحدث ابن سوروس^(٥) في البتريكية للقس أبي ياسر ، وكان مقبيا بالدَوِيَّة^(٦) . فحسن له بنو الجباب^(٧) أن يقوم هو بأمر البتريكية ، فتحدث في ذلك ، وزكوه فقولوا . وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية ، فزحفا في مدة بطركيته على الفقراء ، وأبطل الدَّيَّارِيَّة^(٨) ، ومنع الشَّرْطُوْنِيَّة^(٩) ، ولم يأكل في ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا ، ولا قبل اصغير ولا كبير منهم هدية . وكان القس داود بن يوحنا — المعروف بابن قلنق^(١٠) ، من أهل القيوم — ملازما للشيخ نَشْه^(١١) الخليفة أبي القتوح بن الميقاط ، كاتب الجيوش

- (١) في س اماموس وبغير ضبط ، واسمه أبو الماجد بن أبي غالب بن سوروس ، واتخذ اسم حنا السادس لما أتى البطركية ، سنة ٥٨٥ هـ .
(Butcher : Church of Egypt. II. pp. 115, 120, 123 ; Blochet : Op. cit. p. 308, N.1.)
- (٢) كذا في س ، ويلاحظ أنها واردة ، وكذا لفظ البطركية المشتق منها ، بإلقاء بدل الماء ، في نفس الصفحة في س . (انظر سطر ٦ ، ٧ هنا) .
- (٣) بغير ضبط في س ، انظر العملي : كتاب المؤلف والمختلف والعقبه ، ص ١٣٨ .
- (٤) بغير ضبط في س . انظر بعض أخباره في (Butcher : Op. cit. II. pp. 87-89 et seq.)
- (٥) في س اماموس . (٦) قرية جنوبي القسطنطية ، على شاطئ النيل ، بها دير اسمه دير الطين (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ ؛ ج ٤ ، ص ٦٢٤) . (٧) في س الجَنَاب .
- (٨) نسبة إلى البطار ، وهو رئيس الدير ، ويظهر أن البطريق كان يفرض على الأديرة ضريبة بهذا الاسم . (المقرئى : المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠١) . (٩) بغير ضبط في س ، وفي محيط المحيط : " شرطن الأسقف الراهب ، أى رسمه قسا ، بوضع يده عليه . وهو مأخوذ من الشرطونية ، معرب خرنوتيا باليونانية ، ومعناها وضع اليد ... " . ويصحح من قول المقرئى أن الشرطونية كانت ما يدفعه القس للكنيسة عند ترسيه . (Doxy Supp' Dict. Ar.)
- (١٠) بغير ضبط في س . انظر (Butcher : Op. cit. II. p. 124) . (١١) في س نشو .

العادية ، و [كان] يسافر معه ويصلى به . فلما (١٤٩) مات ابن سوروس ^(١) سأل أبو الفتح الملك العادل أن يولى القس داود البتركية ، فأجابته وكتب له توقيماً بذلك ، من غير أن يعلم الملك الكامل ^(٢) . فلم يجب بعض النصارى ولاية داود ، وقام منهم رجل يعرف بالأسمد ابن صدقة ، كاتب دار الثغاح ^(٣) بمصر ، وجمع كثيراً من النصارى المصارين بمصر ، وطلع في الليلة التي وقع الاتفاق على تقديم القس داود في صبيحتها ، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل . واستنفاوا بالملك الكامل ، وقالوا : ” إن هذا القس يريد أبو الفتح بعمله بطركا بغير أسرك ما يصلح . ونحن في شريعتنا لا يقدم البطرك إلا باتفاق الجمهور عليه “ . فخرج إليهم الأمر [من عند الكامل] بتطبيب قلوبهم . وفي سحر النهار ركب القس داود ، ومعه الأساقفة — وعالم كبير من النصارى — ليقدّموه بكنيسة المعلقة بمصر ، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتونة . فركب الملك الكامل إلى أبيه ، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطركية داود ، ولا يجوز عندهم تقديمه إلا باتفاق جمهورهم . فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضروهم حتى يتحقق الأمر ، فوافاهم الرسل مع القس داود ، عند زقاق كنيسة الحراء ^(٤) . فأحضرت الأساقفة إلى الملك العادل ، ودخل داود إلى كنيسة الحراء ، وأنحل أمره ، وخلا الكرسي من بطريق ، تسع عشرة سنة ومائة وستين ^(٥) يوما .

- (١) في س أنانوس . (٢) لم يترجم . (Blochet : Op. cit. p. 309) ما يلى هذا من أحاديث تلك الأزمنة في الكنيسة القبطية ، على أنها موجودة في ب (١٥٩) . (٣) في س الفاح بمر ضغط ، وكانت دار الفاح قديماً تسمى باب زويلة ، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها ، مما يبيّن في بابها ضواحي القاهرة . (المفرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣) . وكان بدمشق أيضاً دار مشابهة لها ، اسمها دار الطبع والفلكية . (G.-Demombynes : Op. cit. p.151)
- (٤) موضع هذه الكنيسة يحيط قناطر المباح ، فيها بين القاهرة ومصر ، وقد بنيت سنة ٨١١٧ هـ ، وكانت تعرف أولاً بكنيسة بوسا (بوسا ١) . وكانت معظمة عند النصارى ، لا تقطع كثير من المتجدين بها ، ويحمل إليها نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه ، ويحتجون إليها بالنذور الجلية والصدقات الكثيرة . (المفرزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٠) .
- (٥) وافق الملك الكامل أخيراً على اعتلاء القس داود كرسي البطركية ، وتسمى باسم كيرلس الثالث (Cyril III) . انظر (Batcher : Op. cit. pp. 129-132, 135-138, 139 et seq)

وفي جمادى الأولى صرف الملك العادل زكى الدين الطاهر بن محيى الدين محمد بن على القرشى عن قضاء دمشق ؟ وأزم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الحرستائى^(١) بولاية القضاء [بها] ، وله [من العمر] اثنتان وتسعون سنة . وفيها قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار ، له سنام كسنام الجمل ، يرقص ويدور ، ويستجيب له إذا دعاه .

• • •

سنة ثلاث عشرة وستائة . فيها ولي بهاء الدين^(٢) بن الجبى خطابة القاهرة ، فى ثالث عشر المحرم . وولى أبو الطاهر الحلى خطابة مصر ، فى ثانى صفر . [وفيها] سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية ، فرتب أمورهما وعاد . وفيها قدم البهاء ابن شداد برسالة الطاهر من حلب إلى العادل ، وهو بالقاهرة . فرض الطاهر فى خامس عشرى جمادى الأولى ، ومات فى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة ، عن أربع وأربعين سنة وأشهر ، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون^(٣) سنة . وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب ، وكان سفاكا للدماء ، شهما يقظا صاحب سياسة ، وله شعر حسن . وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد ، وعمره يومئذ ستان وأشهر^(٤) ، بعهد [من] أبيه . وكان الملك العادل — عند ما مرض الطاهر — رتب يريد من مصر إلى حلب يطالعه بخبره ، فأناه نبيه قبل كل أحد . فأحضر [الملك العادل] ابن شداد ، وقال له : " يا قاضى ! صاحبك قد مات فى ساعة كذا من يوم كذا " . فعاد ابن شداد إلى (٩٤ ب) حلب .

وفيها كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد الميخ . وفيها قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية ، فأغار على جدة ، فخرج إليه الشريف قتادة أمير مكة ، وكسره يوم عيد الفجر .

(١) نسبة إلى حرستا ، وهى قرية كبيرة ، فى وسط بساتين دمشق ، على مسافة فرسخ منها ، فى الطريق إلى حمص . وكان الشيخ عبدالصمد " ثقة عظاما ، وكان فيه عسر ومال ، فى الحديث والحكومة ، ومولده سنة ٥٧٠هـ " . (راجع : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤٩) . انظر ص ١٨٨ . (٢) يابن فى ص . (٣) فى ص ثلاثين . (٤) فى ص وأشهر .



سنة أربع عشرة وستمائة. فيها وصل الشيخ صدر^(١) الدين بن حَمَوَيْه من بغداد ، بحواب رسالة الملك العادل إلى الخليفة الناصر [لدين الله] . وفيها تتابعت أمداد القرنج في البحر من روما وغيرها إلى^(٢) عكا ، وفيهم عدة من ملوكهم — وقد نقضوا الصلح ، وعزموا على أخذ القدس ، وسائر بلاد الساحل وغيرها — فظن جمعهم . فخرج العادل من مصر بساكره ، وسار إلى لد . فبرز القرنج من عكا في خلق عظيم ، فرحل العادل على نابلس ، ونزل في بيسان . فقال له أبنه المظلم لما رحل : ” إلى أين يابيه ؟ ” . فسبّه [العادل بالمجنية] ، وقال : ” [بمن أقاتل ؟] أقطعت الشام بمالكك ، وتركت من ينفعني من أبناء الناس [الذين يرجعون إلى الأصول] ” ، وذَكَر كلاما في هذا المعنى^(٣) .

فقصده القرنج ، فلم يعطى لقادم ، لقلته من معه . فاندفع من بين أيديهم على عَقَبَةٍ قَيْقٍ^(٤) ، وكتب بتحصين دمشق ، ونَقَلَ الغلات من دَارِيَا^(٥) إلى القلعة ، وإرسال الماء على أراضي دَارِيَا وقَصْرِ^(٦) حَجَّاج والشَّاعُور^(٧) . ففرغ الناس وابتهلوا إلى الله ، وكثر ضجيجهم بالجامع . فزحف القرنج على بيسان — وقد اطمأن أهلها بنزول العادل عليهم — فانتبهوها

(١) في س. سد. انظر أما العدا (المختصر في أخبار البصر ، ص ٩٥ ، ١١٤ في Rec. Hist. Or. وكذلك Blochet : Op. cit. P. 311. N. 2 .

(٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 311. N. 3) تفصيلات من كتاب فرج الكروب لابن واصل ، عن تلك الحملة الصليبية ، وهي المعروفة في التاريخ بالملاسية . (٣) أضيق ما بين الأقواس من أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ ، في Rec. Hist. Or. V.) (٤) ينبر ضبط في س. ، وفيق بلدة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٣٢) بن دمشق وطبرية ، ويقال لها أَيْقٍ أيضا (Blochet : Op. cit. P. 312. N. 3.) (٥) ينبر ضبط في س. ، وهي قرية كبيرة من قرى دمشق بالنبطية ، والنسبة إليها داراني ، على غير قياس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .) (٦) يطلق لفظ قصر ، مضانا لاسم آخر . على كثير من المواضع حول دمشق ، مثل قصر أم الحناك ، وقصر بى عامر . ويصح قصر حجاج ، وهو ينبر ضبط في س. ، عند ظاهر باب الحامية ، وهو عملة كبيرة ، ترجع في نسبها إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١٠ .) انظر أيضا (Blochet : Op. cit. P. 312 N. 3.) (٧) ينبر ضبط في س. ، وهي عملة بالباب الصغير ، طاهر مدينة دمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ .)

وسائر أعمالها ، وبذلوا في أهلها السيف ، وأسروا وغنّبوا ما يحل وحقه . وانبتت سراياهم فيها هناك ، حتى وصلت إلى نوى^(١) . ونازلوا ياناس ثلاثة أيام ، ثم عادوا إلى مرج عكا ، وقد أنكروا في المسلمين أعظم نكاية . وامتلاّت أيديهم بالأسرى ، والسبي والثنائم ، وأتلفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف . فلم يكتثوا بالمرج سوى قليل^(٢) ، ثم أغاروا ثانيا ، ونهبوا صبيداء والشقيف ، ورجعوا . وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد القطر .

ونزل العادل بمرج الصفر ، ورأى في طريقه رجلا يحمل شيئا ، وهو يشي تارة ويقعد أخرى ، فقال له : "يا شيخ ! لا تعجل ، ارفق بنفسك" . فقال له : "يا سلطان المسلمين ! أنت لا تعجل ، أو أنا ؟ إذا رأيتك قد سرت من بلادك ، وتركتنا مع الأعداء ، كيف لا تعجل ؟" .

وعندما استقر العادل بمرج الصفر ، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه : فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه ، صاحب حمص ، [وهو ابن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين يوسف^(٣)] . ثم إن العادل جهز ابنه للعظم عيسى [صاحب دمشق] ، بطائفة من المسكر إلى نابلس ، كي يمنع الفرنج من بيت المقدس . فنازل الفرنج قلعة الطور ، التي أنشأها العادل ، وجدّوا في قتال أهلها ، حتى تمكنوا من سورها ، وأشرفوا على أخذها . فقدر الله أن بعض ملوكهم قُتل ، فأنصرفوا عنها إلى عكا^(٤) ، بعد ما أقاموا عليها سبعة عشر يوما . واضضت السنة والحال على ذلك ، من إقامة الفرنج بمرج عكا ، والعادل بمرج الصفر .

(١) بغير ضبط في س ، وهي بلدة من أعمال حوران ، وقبل من نصبتها ، بينها وبين دمشق مئزتان .

(٢) ناوقت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١٥ .

(٣) في س قتيلا . (٤) انظر (Lane-Poole : Saladin. Table II. in pocket) .

(٤) كان قائد الصليبيين في تلك الواقعة "ملك المنكر" ، وهو (André. II. Roi de Hongrie) ، وقد انصرف بساكره كما في المتن . أما "بعض ملوكهم" ، الذي قتل في تلك الملحّة ، فاسمه غير موجود في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ، وغاية ما مثاله "آه" "كند كبير" أي (grand comte) . وقد حاول ابن أخت ملك الجبر ، بعد اخصال الفرنج عن الطور ، أن يتولّى على جبل صيدا ، ففاجأه المسلمون هناك وأسروه ، بعد أن قتلوا معظم عساكره . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ — ١٦٥ ، في (Rec. Hist Or. V.

وفيها مات القاضي الأجل قاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي المبادي^(١) السعدي دمشقي الشافعي جمال الدين بن الحرستاني ، في رابع ذى الحجة ، ومولده بدمشق في أحد الربيعين ، سنة عشرين وخمسة . و [مات] الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الحكاري ، قتله الفرنج على حصن الطور ، فنقل إلى القدس ، ودفن بقرته . و [مات] الشجاع محمود ابن الدباغ ، مضحك الملك المادل ، وترك مالا جزيلا .



سنة خمس عشرة وستائة . فيها اجتمع رأي الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر ، والاجتهاد في تمسكها . فأقلعوا في البحر ، وأرسوا على دمياط ، في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول — الموافق ثامن حزيران — على برج جيزة^(٢) (١٥٠) دمياط ، فصار النيل بينهم وبين البلد . وكان إذ ذاك على النيل برج منيع ، في غاية القوة والامتناع ، فيه سلاسل من حديد ، عظام القدر والفظ ، تمتد في النيل لتفتح المراكب الواصلة في بحر الملح من عبور أرض مصر . وتمتد هذه السلاسل في برج آخر يقابله ، وكنا مشحونين بالمقاتلة ، ويعرف اليوم مكانهما في دمياط بين البرجين^(٣) .

(١) مضبوط في س بضم العين فقط . (٢) الجزيرة في اللغة الناحية وجانب الوادي (محيط المحيط ، والمقرئ : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٠٥) ، ولعل تلك التسمية راجعة إلى وقوع المعارك المسماة بهذا الاسم عند مجاز التهر .

(٣) تقدم ذكر اهتمام السلطان صلاح الدين يوسف بهذين البرجين ، وسلاسلهما (انظر ص ٧٢ ، لحشية ٣) ، وقد أفاض معظم المؤرخين في وصفها ، مناسبة استيلاء الصليبيين على أحد البرجين ، كما سيأتي فيقول أرواشنة (كتاب الروضتين ، ص ١٦٧ — ١٦٨ ، في (Rec. Hist. Or. V.) . " قلت وأذكر وأنا بدمشق ، حين بلغ الناس أخذ [الفرنج] برج السلسلة . و قدسقى [ذلك] على من يعرفه حقيقة شديدة ، منهم عينا أبو الحسن المخاوي ، ورأيت ضربة يدا على يد ، ويظلم أمر ذلك . وسمعت القتيبة عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه ، فقال : هو قتل الديار المصرية ، وصدق . فإني لا رأيته في سنة ثمان وعشرين [وستة] ... بأن لي صحة ما أشار الشيخ إليه . وذلك أنه برج عال ، مبني في وسط النيل ، ودمياط بمخاضه على حافة النيل من غربه ، وفي ناحيته سلسلتان ، تمتد إحداهما على لنيل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى البحيرة ، فيمنع (كذا) كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها ، إذا أريد ذلك ، حين قتال العدو . فهو قتل البلاد بالديار المصرية . إذا أوقفت السلسلتان امتنع على المراكب العبور (١٦٨) إليها ، متى لم يكن (كذا) السلسلة عبرت المراكب ، وبلغت إلى القاهرة ومصر ، وللقوس وأسوان ، وفاقه المستعان " . انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٠٨ — ٢١٧) والمقرئ : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٣ وما بعدها . هنا وقد اعتمد المقرئ في رواية هذه الحوادث ، في كتابه هنا ، وفي المواعظ والاعتبار ، على ابن الأثير ، اعتمادا كلياً ، وحرقياً تحريماً .

وصار الفرنج في غربى النيل ، فأحاطوا على مصكرم خندقا ، وبنوا بدائره سورا . وأخذوا في محاربة أهل دمياط ، وعلموا آلات وسمات^(١) ، وأبراجا^(٢) [متحركة] ، يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة ليلسكوه ، حتى يتمكنوا من البلد . فخرج الكامل بمن بقى عنده من المسكر ، في ثالث يوم من سقوط الطائر ، فحس خلون من ربيع الأول . وتقدم إلى والى الغربية بجميع سائر العربان ، وسار في جمع كثير . وخرج الأسطول ، فأقام تحت دمياط . ونزل السلطان [الكامل] بناحية المادلية^(٣) ، قريبا من دمياط ، وسير البهوت لجميع الفرنج من العبور . وصار يركب في كل يوم عدة مرار من المادلية إلى دمياط ، لتدبير الأمور وإعمال الحيلة في مكايده الفرنج .

وألح الفرنج في مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا بشيء ، وكسرت^(٤) مرهاتهم وآلاتهم ، وتغادى الأسر على ذلك أربعة أشهر . هذا و [الملك] العادل يجهز عساكر الشام شيئا بعد شيء إلى دمياط ، حتى صار عند الكامل من القنطرة ما لا يكاد ينحصر عدده .

وفي أثناء ذلك ورد الخبير بحركة الملك [النائب عز الدين] كيكائوس السلجوقي ، سلطان الروم ، إلى البلاد الشامية ، بموافقة الملك الصالح صاحب آمد وغيره من ملوك الشام ، وأنه وصل إلى منبج^(٥) ، وأخذ تلّ بائير . واتفق [كيكائوس] مع الملك الأفضل على بن صلاح الدين

- (١) جمع صمة ، وهى نوع من الفس الكبير . (انظر مايل ، وكذلك : Blochet : OP. cit. P. 315 ، حيث رُحِت إلى (gros navires) . وفي القرزى (لواءظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٦) أن الصليبيين هاجوا برح دمياط بعد أن " علموا برجا من الصوارى على بطة (كنا ، ولعل المقصود بطة) كبيرة ، وأقلعوا بها حتى أسندوها إليه ، وقاتلوا من به " . (٢) في سى وإبراج . (٣) يسى القرزى (نفس المرجع والجزء والصفة) هذا الموضع بالقرية المادلية ، والمقرعة فقط ، وواضح أنه لا علاقة بين هذه الناحية وبين بلدة القرعة الحالية ، الواقعة على بحيرة القرعة . انظر (P. Omar Toussoun : OP. Cit. I. 2. Pl. II. b.) (٤) في سى كسر . (٥) في سى منبج ، وبشير ضبط . ومسج مدينة قديمة ، تقع على مسافة ثلاثة فراسخ من القنطرة ، وعشرة فراسخ من حلب ؛ ومنها البحرى وأبو فراس الحمداى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ - ٦٥٦) . (٦) بشير ضبط في س ، وهو قلعة حصينة ، وكورة أيضا ، في شمال حلب ، بينها وبين حلب يومان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٤) .

[صاحب سيمياط] أنه يسلمه ما يفتحه من البلاد ، فلم يف [كيكاوس] ^(١) بما وعد ، وسلم ما فتنحه لنوابه . فتقاعد عنه كثير من الناس ، وأوقع العرب بطائفة من عسكره ، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا ، ونهبوا لهم شيئا له قدر ، فرجع إلى بلاده بنهر طائل .

هذا والعدل بمرج الصفر ، فيينا هو في الاهتمام بأمر الفرج ، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرج برج السلسلة بدمياط ، فتأوه وتأوها شديدا ، ودفق يده على صدره أسفا وحزنا ، ومرض من ساعته . فرحل من المرج إلى عالقين ^(٢) ، وقد اشتد مرضه ، فات في سابع جمادى الآخرة يوم الخميس ، فكم أصحابه موته ، وقالوا قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى ، فحمل في محفة ، وعنده خادم ، والطبيب راكب بجانب المحفة ، والشربذار يصلح الأشرطة ، ويحملها إلى الخادم ليشر بها السلطان ، يوم الناس بذلك أنه حي ، إلى أن دخل قلعة دمشق ، وصارت بها الخزانة والحرم وجميع البيوتات . فأعلم بموته ، بعد ما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله ، التي كانت معه ، وسائر رخته ^(٣) . وقوله ، ودقته (٥٠ ب) بالقلمة . فاخبط الناس حتى ركب

(١) أشيف ما بين الأنفوس بد صحاحه (Enc. Isl. Art. Kalkaus. I.)

(٢) بصر صبط في س ، وهي قرية بطاهر دمشق . (Le Strange : Palest Under Moslems . P. 391.)
(٣) تقدم أشباه هذا الاسم المركب ، عند الأعلام على الأستاذ دار والدوادار ، والبلحدار والجدار ، وغيرها . ومدلول وطبعة الصريدار طاهر ، وهو المندمة بغير إجماع السلطان ، أو الأمير . غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن تلك الطبعة كانت من وظائف الخدم ، أو الحرف الصناعيه . (القلقشندي . صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .) أما الأمير الذي يؤلى سقى السلطان على الموائد ، ويهيئ على يد السباط وشطرنج اللحم ، وسقى المعروب يد رفع السباط ، فاسمه السابق (نص للمرجع الجزء ، ص ٤٥٤) . وكانت هناك طبعة أخرى تملق طعام السلطان ، أو الأمير ، وهي طبعة الخاشنكير ، ويقوم صاحبها بدوق الماء كور والمعروب ، قبل السلطان أو الأمير ، خوفا من أن يدس عليه فيه سم أو عموه . وتتركب هذه الكلمة من لغتين فارسيين ، أحدهما جاشنا ومعناه الدوق ، والثاني كبر وهو بمعنى المتعاطى . (نص للمرجع الجزء ، ص ٤٦٠ .)

(٤) بنهر صبط في س ، وهو لوط فرسي معناه المتاع . و (Quatremère : Maml. I. I. P. 253)
أشلة لتوصيغ استعمال هذا اللفظ ، منها أن أميرة حجت " بتجمل زايد وورخت عظيم وبرك هابل " .
والخروانية م الذين يتولون العناية بمتاع السلطان ، أو الأمير ، في الأسفار . هذا وورخت الخادم المصان ، أبيه الرخت ، وهو — في القالب — البركتوان المتقدم ذكره (انظر ص ١٧٧) . والمصان المرخت ، التي عليه رخت جميل . (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)

المعظم ، وسكن أسره الناس ، ونادى في البلد : ” ترحموا على السلطان الملك العادل ، وادعوا لسلطانكم الملك للمعظم . أبقاه الله “ . فبكى الناس بكاء كثيرا ، واشتد حزنهم لتفقدته .

وكان مولده في المحرم سنة أربعين — وقيل سنة ثمان وثلاثين — وخمسة بدمشق .

وسمع من السلفى وابن عوف ، وعرفت مواقفه في جهاد العدو بنهر دمياط ، في سنة خمس وستين وخمسة ، في أيام الخليفة الماضد ، وفي مدينة عكا ، وملك دمشق في سنة اثنتين وتسعين وخمسة ، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة . وملك مصر ، في سنة ست وتسعين ، فكانت مدة ملكه ^(١) لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما . ورُزق في أولاده سعادة قلما يتفق مثالا للملك ، فلبثوا تسعة عشر ولدا ذكرا ، سوى البنات . وم : الملك الأوحده نعيم الدين أيوب ، صاحب خلاط ، وكان قصيرا في النفاية ، شهبا مقداما ، سفاكا للدماء ، مات في حياة أبيه ؛ والملك الفائز إبراهيم ، والملك المنير عمر — و[قد] توفيا أيضا في حياته — وترك عمر ابنا سمى بالملك المنير شهاب الدين محمود ، رباه عمه الملك المعظم عيسى ؛ والملك الجواد شمس الدين مودود ، ومات في حياته [أيضا] — وترك الملك الجواد [ولدا اسمه] مظفر الدين يونس بن مودود ، بقى عند عمه الملك الكامل بمصر ، ثم ملك دمشق وغيرها ، وكان جوادا شجاعا ؛ والملك الكامل ناصر الدين محمد ، صاحب مصر ؛ والملك المعظم شرف الدين أبو المزام عيسى ، صاحب دمشق ؛ وشقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب بانياس — وكان جوادا شهبا — والملك الأجد مجد الدين حسن ، ومات في حياة أبيه بالقدس ، ودفن في مدرسة بنيت له ، ثم نقل إلى الكرك ، والملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب الشرق وخلاط ، بعد أخيه الملك الأوحده ؛ والملك المنير شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ؛ وشقيقه الملك المنير مجير الدين يعقوب ، والملك القاهرة بهاء الدين تاج الملوك إسحاق ؛ والملك الصالح عماد الدين اسماعيل ، صاحب بصرى ، ثم دمشق ^(٢) ؛ والملك الفضل قطب الدين أحمد ، ومات بمصر في أيام أخيه الكامل بالتيوم ، ووصل في تابوت

(١) في س ملكها لها . (٢) في س ”ثم ملك دمشق“ .

إلى القاهرة ، في نصف رجب سنة ثمان عشرة وستائة ؛ والملك الأحمدي تقي الدين عباس ، وهو أصغرهم ، ولد في سنة ثلاث وستائة ، ومات آخرهم ، بدمشق ، في سنة تسع وستين (١٥١) وستائة ، في أيام الملك الظاهر بيبرس ؛ والملك الحافظ نور الدين أرسلان ، صاحب قلعة جسر ؛ والملك الظاهر بهاء الدين خضر ؛ والملك المنيف شهاب الدين محمود ؛ والملك الناصر صلاح الدين خليل .

ووزر [الملك العادل] ^(١) صنعة الملك أبو سعيد بن أبي المنين بن النحال مدة يسيرة ، وكان نصرانيا فأسلم على يده ، بعد عوده مع الأفضل علي بن صلاح الدين إلى مصر ، في سنة اثنتين وثمانين وخمسةائة . فلما مات [ابن النحال] استوزر [العادل] صاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميميري ، فتجبر وسطا ، وتمكن من السلطان ، واستولى عليه ، وعظم قدره ، وأوقع [ابن شكر] بمدة من الأكابر ، وصادر أكابر كتاب الدولة ، واستصفى أموالهم . وفتر منه القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل إلى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر [لدين الله] ، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل . وفتر منه علم الدين بن أبي الجباج ، صاحب ديوان الجيش ، والأسعد بن مئى صاحب ديوان المال ، إلى حلب ، فأكرمهما الملك الظاهر ، حتى ماتا عنده . وصادر بنى حمدان وبنى الجباب وبنى الجليس ، وأعيان الكتاب المستوفين ^(٢) ، والعادل لا يمارضه في شيء . هذا

(١) في س "ووزر له صليحة الملك أبو ...".

(٢) حم مستوفى ، بكسر القاء ، وهو حسبما جاء في القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦) من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته ، من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد تقدم أنه لما تضاعف منصب الوزارة منذ الأيوبيين ، تحول كثير من أعماله إلى النظار (انظر ص ٥٣ ، حاشية ٤) وأول هؤلاء ناظر الدولة ، أو ناظر الدواوين ، وكان أولا يباون الوزير في أصرفاته العامة ، وعنده تشمل سائر شئون الدولة بمصر والشام . ويأتى بعده مستوفى الصعبة ، وهو يشارك الوزير ويباونه أيضا في الأمور العامة ، مثل كتابة المراسم وتسجيلها . وبه في المرتبة مستوفى الدولة ، وهو مستوفى الصعبة في النوازل ، وربما اندمجت الوظيفة أحيانا . ويلاحظ أن هؤلاء الكتاب كانوا يجيئون على عامة الدواوين ، على أنه كان لسلك ديوان ناظر ، ونحته المستوفى والشاذ ، مستوفى الخناس في ديوان الخناس ، ومستوفى المرتجعات في ديوان المرتجعات . وقد غلبت طبيعة هذا الأخير على وظيفة ناظر المرتجعات التي أُنشئت ، وأصبح المستوفى بدورها هو المستوفى (G. Demembynes Op. cit. Index II) . هذا وقد بقي اسم المستوفى في بلاد فارس إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يطلق على كبار كتاب المالية . (Morier : Hajji Bada in England, pp. 17, 210.) . انظر أيضا القلقشندي ج ٤ ، ص ٣٩ ، ٣٤ .

وهو ينتصب على السلطان ، [واستمر على هذا الحال] إلى أن غضب [على السلطان مرة] ، في سنة سبع وستائة ، وحلف أنه ما بقي بمصر . فأخرجه السلطان [العادل] من مصر ، بجميع أمواله وحرمه ، فكان يثقل على ثلاثين جلا . وحسن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله ، فامتنع [واكتفى ^(١)] بإخراجه إلى آمد . وسار [صفى الدين] إلى آمد ، فأقام عند الصالح ابن أرتق . فأقام العادل من بعده القاضي الأعز غر الدين مقدم بن شكر ، ثم ضم عليه في سنة اثنتي عشرة وستائة ، وضر به وقيده ، وأخرجه من مصر ، ولم يستوزر بعده أحدا .

ومن أعجب الانتفاضات أن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عنه العادل منه : فأول ذلك أن أباه أقطمه حران والرها وميفارقين ، في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فسار إليها ، حتى [إذا] بلغ حلب رده أبوه ، وبث الملك العادل بدله . ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها العادل منه . ثم ملك مصر بعد ذلك ، فأخذها منه العادل . ثم ملك صرخند ، فأخذها منه العادل ، وعوضه قلعة نيم وسروج ، ثم استرجعها منه بعد ذلك .

فلما تمهدت [للملك ^(٢)] العادل [الممالك] قسمها بين أولاده ، فلك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن . ورأى [العادل] في أولاده ما يحب ، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء ، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى في أولاده (٥١ ب) ما رآه العادل ، فإنه اجتمع في كل منهم من النجابة والنبل ، والسكينة والمعرفة ، والفضيلة وطول الهمة ، ما لا مزيد عليه . ودانت لهم البلاد ، وملكوا خيار البلاد . وكان كثيرا ما يتردد [العادل] في ممالك أولاده ، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق ، ويشق بمصر . وكان أكلانهما ، يأكل خروفا ومشوايا بمفرده ؛ وله اقتدار زائد على الكساح ، ومُتّع في دنياه بأرغد عيش ، وتمكن من السعادة في سائر أحواله . وكان حميد السيرة ، حسن العقيدة ، كثير السياسة ، صاحب معرفة بدقائق الأمور ، قد حكته التجارب ، فهدت آراؤه ، ونجحت تدبيراته . وكان لا يرى محاربة أعدائه ، ويستعمل في مقاصده

(٢) في س " فلما تمهدت له ... " .

(١) انظر ص ١٧٦ .

الكايد والحدع . فهادته الفرخ لقوة حزمه وشدة تيقظه وغزارة عقله وقوة كيده ، ومكره ومدامته على الخداعة والمخاتلة ، وكثرة صبره وحلمه وأناته ، بحيث إنه كان إذا سمع ما يكره يقضى عنه تجاوزا وصفحا ، كأنه لم يبلنه . و [كان] لا يُخرج المال إلا عند الاحتياج إلى إخراج به ، وأمسكه . فتأنت ^(١) له بذلك أغراضه كما يجب ، وانقادت له الأمور مثل ما يختار . وكان يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها ، ويحب السنة ، ويكرم العلماء ، مع العظمة وقوة المهابة المتسكنة في القلوب . وله صنف الإمام فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس ، ويبحث به إليه من بلاد خراسان .

ومات [الملك العادل] عن خمس وسبعين - وقيل ثلاث وسبعين - سنة . وترك مالا كثيرا ، منه في خزائنه - التي استولى عليها ابنه المعظم - سبعمائة ألف دينار مصرية ، سوى ما كان له في الكرك ، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم .
وكتب [المعظم] إلى إخوته بموت أبيه ، فجلس الملك [الكامل] للعزاء ، في معسكره بظاهر دمياط ، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرخ .

السلطان الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، سادس ملوك مصر [من الأيوبيين] . استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه ، بهذه إليه في حياته ، وكانت سلطنته بعد السابع ^(٢) من جمادى [الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ، (١٠٥٢)] عند ما وصل إليه نعي أبيه ، وهو بالمزلة العادلية على محاربة الفرخ - وقد ملكوا البر الثرى ، واستولوا على برج السلسلة ، وقطعوا السلاسل المتصلة به ، لتعبر منها كبهم في بحر النيل ، ويتمكنوا من أرض مصر . فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما ، يمنع الفرخ من عبور النيل . فقاتل الفرخ عليه قتالا كثيرا حتى قطعوه ، وكان قد أنفق على هذا البرج والجسر ما ينيف

(١) في س ثقات . (٢) ما بين القوسين يابى في س ، ما خلا عبارة "من جمادى" ، فإنها مجبوبة بوفرة ملصقة فوالها ، ولسكنها في ب (٦٢ ب) .

على سبعين ألف دينار . فأسمه الكامل بقتريق عدّة من المراكب في النيل ، منعت القرمح من سلوكه ، فمدل القرمح إلى خليج هناك يعرف بالأزرق^(١) ، كان النيل يجري فيه قديما . فغروه حفرا عيقا ، وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح ، فبرت سفنهم فيه إلى ناحية بُوْرَة^(٢) ، على أرض حبيزة دمياط ، تجاه المَنْزلة التي فيها الكامل ، ليقاتلوه من هناك . فلما استقروا في بورة حاذوه ، وقاتلوه في الماء ، وزحفوا إليه غير مرة ، فلم ينالوا منه غرضا طائلا . ولم يضر أهل دمياط ذلك ، لتواصل الأمداد والميرة إليهم ، وكون النيل يحجز بينهم وبين القرمح ، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة ، وليس عليها حصر ولا ضيق البتة .

هذا^(٣) والعربان تتخطف القرمح في كل ليلة ، بحيث منّتهم ذلك من الرقاد ، خوفا من غاراتهم . فتكالب العرب عليهم حتى صاروا يحتفظونهم نهارا ، ويأخذون الخيم بمن فيها . فأمكن لهم القرمح عدّة كمناء ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا . وأدرك الناس الشتاء ، فهاج البحر على معسكر المسلمين ، وغرق الخيم ، فعظم البلاء ، واشتد الكرب . وألح القرمح في القتال ، ولم يبق إلا أن يملكوا البلاد . فأرسل الله سبحانه ريحاً قطعت مراسي مَرَمَة كانت للقرمح من مجائب الدنيا ، فمرت تلك المَرَمَة إلى البر الذي فيه المسلمون فلكوها ، فإذا هي مصفحة بالحديد ، لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع ، وفيها من السامير مازنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا .

وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا ، تستنجد أهل الإسلام على قتال القرمح ، ويستحثهم على إنقاذ المسلمين منهم وإغايتهم ، ويخوفهم من تغلب القرمح على مصر ، فإنه متى ملكوها لا يمتنع عليهم شيء من الممالك بعدها . فسارت الرسل في شوال ، أقدمت النجيدات من حاة وحلب^(٤) .

(١) انظر الحاشية التالية . (٢) مفسومة هكذا في س ، وهو الضبط الصحيح ، وهي بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، في الشمال الغربي من دمياط ، ومنها السك البوري المعروف بمصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٥٥ ؛ و ٢ و ٣ : OP. cit. P. 820. N. 2) . ومن هنا يتبين أن مجرى الخليج الأزرق بين بورة وشمال المَنْزلة المادلية . وفي جنوبي المَنْزلة المادلية موضع اسمه بيتان بورة . انظر (P. Omar Toussoun : OP. cit. I. 2. Pl. II. b.)

(٣) (٤٥٣) . ما بين الرقيين وورد بورة منفصلة بين المصنفين (٤٥١ ب ، ٤٤٦ أ) من س ، (انظر ص ١٦٧ ، حاشية ٦٦) ، وليس بالتي إشارة ، كما قد لاؤلف ، إلى موضع هذا الحامش . على أنه لا شك في تناسبهما ، فإنه موجود بنصه ، وعلى ترتيبه كما هنا ، ضمن حوادث حصار دمياط ، بالقرنيزي (الواظ والاعتبار ج ١ ، ص ٢١٦) .

إلا أنه لما قدم على المسكر موت العادل وقع الطمع في الملك الكامل ، وثار العرب بنواحي أرض مصر ، وكثر خلافهم واشتد ضررهم . واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري ، المعروف بابن المشطوب ، وكان أجمل الأمراء الأكابر ، وله لقيف من الأكراد الهكارية ، ينقادون إليه ويطيعونه ، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك ، معدودا بينهم كواحد منهم ، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود ، وسعة الكرم والشجاعة ، تنابه الملوك ، وله وقائع مشهورة في القيام عليهم . ولما مات أبوه ، وكانت نابلس إقطاعا له ، أرصد ثلثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس ، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها ؛ فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية . فاتفق [عماد الدين] مع جماعة من الأكراد والجند على خلع الملك الكامل ، وتمليك أخيه الفانز إبراهيم ، ليصير لهم التحكم في المملكة . ووافقه على ذلك الأمير عز الدين الحميدى ، والأمير أسد الدين الهكاري ، والأمير مجاهد الدين ، وعدة من الأمراء .

فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم ، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف ، وهم يحلفون لأخيه الفانز . فعند ما رأوه تفرقوا ، فغشى على نفسه منهم ، وخرج . فاتفق قدوم صاحب صفى الدين بن شكر من آمد ، فإنه كان قد استدعاه [الكامل] بعد موت^(١) أبيه . فتلقاه [الكامل] وأكرمه ، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء ، فشجبه وضمن له تحصيل المال وتدير الأمور . فلما كان في الليل ركب [الكامل] من المنزلة العادلية ، في الليل جريدة ، وسار إلى أششونم^(٢) فتلحق^(٣) ، فنزل بها . وأصبح السكر وقد فقدوا السلطان ، فركب كل أحد هواه ، ولم يرج واحد منهم على آخر . وتركوا ألقام وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم ، ولم يأخذ كل (ب ٥٢) أحد إلا [ما] خف حله . فبادر الفرنج عند ذلك ، وعبروا بر دمياط وهم آمنون ، من غير منازع ولا مدافع ، وأخذوا كل ما كان في معسكر المسلمين ، وكان شيئا

(١) بعض حروف هذه العبارة متأكدة في س ، ولكنه في ب (٦٣ ب) . (٢) يشير ضبط في س ، وكانت عاصمة الدولة والرتاحية ، وتقع شرق النصورة ، وجنوبي ذكرى الحالية . (راقت : معجم البلدان ،

لا يقدر قدره ، وذلك لبضع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . فكان نزول الفرنج قبالة دمياط في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة [وستائة] ، ونزلوا في البر الشرق — حيث مدينة دمياط — يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ست عشرة .

فنزّل الملك الكامل ، وهم بمفارقة أرض مصر ، ثم تثبت^(١) ، فتلاحق به العسكر . وبعد يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق — وهو بأشموم — في ثامن عشر ذى القعدة . فتقويت به شوكته ، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب ، فوعده بإزالته عنه . ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب ، واستدعاه لركوب معه للسيارة ، فاستمده حتى يلبس خفية وثيابه ، فلم يمهله وأجهله . فركب معه وهو آمن ، وسار به حتى خرج به من المعسكر وبعد عنه . فالتفت إليه [المعظم] ، وقال : ” يا عباد الدين اهد هذه البلاد لك ، أشتعي أن تهبنا لنا “ . وأعطاه نفقة ، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم ، كان قد أعدم لهذا الأمر ، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرّمل^(٢) ، ويحتفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام . فسا وجد [ابن المشطوب] سبيلا إلى الامتناع ، ولا قدر على المدافعة ، لأنه بمفرده بينهم . فساروا به على تلك الحالة إلى الشام ، فنزل عمارة عند [الملك] المنصور ، ومعه أربعة من خدمه .

ولما سار ابن المشطوب رجع للمعظم إلى أخيه الكامل ، وتقدّم إلى أخيه القانز بأن يمضى إلى الملوك الأيوبيين بالشام والشرق رسولا عن الملك الكامل ، بسبب إرسال عساكر الإسلام ، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرنج . وكتب الكامل إلى [أخيه] الأشرف [موسى] شاه أرمين^(٣) ، يستعنه على سرعة الحضور ، وصدر الكتابة بهذه الأبيات :

يا مُسعدى ! إن كنت حقا مُسحفي فانقض يسير تلبث وتوقف

(١) في س ثبت .

(٢) بنيرضيق س ، وعرف برمل الرائي أيضا ، وطلق هذا الاسم على الأراضي الصحراوية بين البادية والريش . (الفرزى . المواقف والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٢ — ١٨٣) . (٣) في س شاهارمن ، ويقصد المؤلف به الأشرف موسى الأيوبي ، صاحب مملكة خلاط ؟ وكانت هذه الإدارة الأرمينية الصغيرة قد آلت إلى الأيوبيين بعد زوال أسرة سيف الدين بكتر ، سنة ٦٠٤ هـ . انظر (Enc. Isl. Arts. Armenia & Begtimur) .

واخْتُ قُلُوبُكَ مُرْتَبِلًا أَوْ مَوْجِفًا بتجشم في سيرها وتصف
وَاطَّرَ الْمَنَازِلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تُنْفِخْ إلا على باب الملك الأشرف
وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ عَبْدٍ لَهُ متوقع لقدمه متشوف
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى حِمَاةٍ قُفِّلَ لَهُ عني بحسن^(١) [توصل وتلطف
(١٥٣) إِنْ تَأْتِ عِبْدُكَ عَنْ قَلِيلٍ تَلْقَهُ ما بين كل مهنة ومتقف
أَوْ تَبْطِ عَنْ انْجِبَادِهِ فَلْقَاؤُهُ يوم القيامة في عراض الموقف

فسار الفائز — وكان الفرض إخراجهم من أرض مصر — فضى إلى دمشق ؛ ورحل
إلى حماة ثم سار إلى الشرق . فانتظم أمر الكامل ، وقوى ساعده ، وترتبت قواعد ملكه ،
وسارعه العظيم .

هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر ، وأحذقوا بها وحصروها ، وضيقوا
على أهلها ، ومنسوا الأقوات أن تصل إليهم . وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقا ،
وبنو عليه سورا . وأهل دمياط بقاؤهم أشد قتال ، وأزل الله عليهم النصر ، ففتبوا^(٢) مع
قلة الأقوات هدم وشدة غلاء الأسعار . وأخذ الكامل في محاربة الفرنج ، وهم قد حاولوا
بينه وبينها ، ولم يصل إليها أحد من عنده سوى رجل من الجندارية . [وكان هذا الرجل
قد قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة ، [و] يسمى شمال ، فتوصل حتى صار يخدم
في الركاب السلطاني جابدارا . وكان يخاطر بنفسه ، ويسبح في النيل — وصراكب الفرنج به
محيلة ، [والنيل] قد امتلأت به شوائب الفرنج — فيدخل إلى مدينة دمياط ، ويأتى السلطان
بأخبار أهلها . فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها ، ووعدهم بقرب وصول التجعدات . فغفل بذلك
عند الكامل ، وتقدم تقدما كثيرا ، وجهله أمير جائدأره^(٣) وسيف نغمته ، وولاه القاهرة ،
وإليه تنسب خزنة شمایل^(٤) . وكان في دمياط من أهلها الأمير جمال الدين الكنانى ، وكتب
هذه الأبيات ، وأقامها إلى الملك الكامل في سهم نشاب ، وهى :

(١) مايبس القوسين محبوب بورة ملصقة فوقه فس ، ولكن في (١٦٤) . (٢) فس فبتوا .

(٣) مضبوطة مكنا في س . (٤) انظر الفرزى : اللواعظ والاعتبار — يولاق — ج ٢ ،

يا مالكي ادمياط تشر هُذمت شرقته كادت تبث أصوله
يقربك من أزمى السلام نجمة كالسك طاب دقيقه وجليله
ويقول عن بسد وإنك سامع حتى كأنك جاره ونزيله
يأيها اللك الذى ما إن يرى بين الملوك شبيهه وعديله
هذا كتاب موضع من حالتي ما ليس يمكنى لديك أقسوله
أشكو إليك عدو سوء أهدت بجميعه فرسانه وخيوله
فالبر قد منعت إليه طريقه والبحر عز لنصره أسطوله
فخصومه باد على أبراجه وحنينه وبكائه وعويله
ولو استطاع لأتم بابك لأننا لكنه^(١) سدت عليه سيوله

٥٢ ب) وسؤاله في أن تجيب دعاءه دين الإله وخلقه ورسوله^(٢)
فقد انتهت أداؤه وتحكمت علاته ونما عليه نحوه
وبقى له رفق يسير يرتجى أن يشقى لما دعاك عليه
فاحرس حماك بزمه تشفى بها داء لشك يرتجى تليله
فأله أعطاك الكثير بفضله ورضاه من هذا الكثير قليله
فالنز في نصر الإله ودينه ما سأل عند الملين قبوله
والنز ناظره إليك محدق ما إن يمل من الدموع هوله
ولئن قصدت عن القيام بنصره جفت نضارته وبان ذبوله
وروهت قوى القرآن فيه ورقت صلبانه وتلى به إنجيله
وعلا صدى الناقوس في أرجائه وخفى على سم الورى تهليله
هذا وحفك وصف صورة حاله حقا وجلته وفا تقصيله
وحكفك يابن الأكرمين بأنه أخى عليك من الورى تعويله

(١) هذا التقط غير واضح في س ، ولكنه في ب (٦٤). (٢) كما ورد البيت في س ، ب

حقق رجاء فيك يا من لم يجب أبدا لرجى جوده تأمليه
واذخر ليوم البعث فلا حالاً الله ضامن أجره وكفيله
فلما وقف السلطان على هذه الآيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد ، وخرجت
السنة والحال على ذلك .

وفيها استدعى الملكُ الناب كيكاس بن كيخسرو بن قلعج أرسلان ، ملك
الروم ، بالملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف — وكان بسمياط ،
ويغلب لللك الناب . فلما قدم عليه أكرمه ، وحل إليه شيئا كثيرا من المال والليل
والسلاح وغيره ، وتحالفا على السير إلى المملكة الحلبية وأخذها ، بشرط أن يدفعها
الملك الناب ، هي وسائر ما يفتحه ، إلى الملك الأفضل ، ليقم له فيها الخطبة والسكة ،
ويصير في طاعته . فلذا تم ذلك سارا إلى الشرق ، وأخذ حران والرها وغيرها . فسارا
بالمساكر وأخذوا قلعة رَغَبِيان^(١) ، فسلمها الأفضل ، ومال إليه الناس ، واجتمعوا
على الملك الناب ، لمحبتهم في الأفضل . ثم سارا إلى قلعة تل بآشر ، فحصرها حتى
ملكها ، فلم يسلها الملك الناب للأفضل ، وأقام فيها ثائبا من قبله . فنفر منه الأفضل
[وفترت^(٢)] همته ، وعلم أن هذا أول التندر وأعرض أهل البلاد أيضا عن [الملك الناب^(٣)] ،
واستمد أهل حلب ، واستدعوا (١٠٤) الملك الأشرف من بحيرة قدس ، وكان نازلا عليها
تجاه الفرنج . فقدم إليهم بمساكره ، وحضرت عرب طى وغيرها ، إلى ظاهر حلب .
فحسن الأفضل لللك الناب التوجه إلى منبج ، فسارا إليها . فواقع العرب مقدمة الملك الناب ،
فانهزمت ، وأسّر العربُ وأصحاب الأشرف كثيرا منهم . فرجع عند ذلك الملك الناب إلى
بلادته ، وسار الأشرف ، فاستولى على رعيان وتل بآشر .

وفيها مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن
عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، صاحب الموصل ، لثلاث بقين من ربيع الأول ؛ وكانت مدة

(١) بغير ضبط في س ، وهي بلدة بين حلب وبسمياط ، قرب الرات . (ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٢ ، ص ٧٩١) .

(٢) (٣٥٢) ما بين الأقواس محبوب بوزقة ملصقة فوقه في س ، ولكنه في ب (١٦٥) .

ملكه سبع سنين وتسعة أشهر . وقام من بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه ، وعمره عشر سنين ، فذهب أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، فأقرها الخليفة الناصر .

• • •

سنة ست عشرة وستمائة . فيها قدم الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب — صاحب حماة — إلى الملك الكامل ، نجدة في عسكر كثيف ، وسمه الطواشي مرشد المنصوري . فلقاه السلطان وأعظم قدره ، وأزله على ميمته ، وهي المنزلة التي كانت لأبيه وجده ، عند السلطان صلاح الدين يوسف ووصل الناصر إبراهيم ابن العادل إلى أخيه الأشرف موسى ، برسالة أخيهما الكامل للاستجداد على الفرنج ، فأكرمه وأمسكه عنده ، فإن الفرض إنما كان إخراجهم من أرض مصر .

وفيهما اشتد قتال الفرنج ، وعظمت نكباتهم لأهل دمياط ، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل . فنهكتهم الأمراض ، وغلت عنهم الأسعار ، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بمدة دنانير . وامتلات الطرقات من الأموات ، وعمدت الأفوات ، وصار السكر في عزة الياقوت ، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه ، وآلت بالناس الحال إلى أن لم يبق عندهم غير شيء يسير من القمح والشعير فقط . فتصور الفرنج السور ، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثني عشر يوما . وعندما أخذوا دمياط وضعوا السيف في الناس ، فلم يعرف عدد من قُتل لكفرتهم .

ورحل السلطان بعد ذلك بيومين ، ونزل قبالة طَلْحَا ، على رأس بحر اشموم [ورأس^(١) بحر] دمياط ، وخيم بالمنزلة التي (هـ ب) عُرفت بالمنصورة . وحصن الفرنج أسوار دمياط ، وجعلوا جامعا كنيسة ، وبنوا سراياهم في القرى يقتلون ويأسرون ، فغظم الخطب واشتد البلاء . وتَدَب السلطان الناس وفرقتهم في الأرض ، فخرجوا إلى الأفاق يتنصرون الناس لاستنفاذ أرض مصر من أيدي الفرنج . وشرع السلطان في بناء الدور والقنادق ، والحمامات والأسواق ،

(١) ما بين القوسين محبوب في س بورقة ملصقة فوقه ، ولكنه في ب (٦٥ ب) .

بمنزلة للنصورة . وجبّز الفرنج من حصل في أيديهم من أسارى المسلمين في البحر إلى عكا ، وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة . فنازلوا السلطان تجاه النصورة ، وصار بينهم وبين المسكر بحر أشموم وبحر دمياط ، وكانت الفرنج في مائتي ألف رجل وعشرة آلاف فارس . فقدّم السلطان الشواني تجاه النصورة ، وهى مائة قطعة . واجتمع الناس من أهل القاهرة ومصر وسائر النواحي ، ما بين أسوان إلى القاهرة . ووصل الأمير حسام الدين يونس ، والفتية تقي الدين طاهر الحلي ، فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر ؛ ونودى بالفتور العام ، والابقي أحد ، وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه . فقال [؟]^(١) :

”يهتدونا بأهل عكا أن يملكونا وأهل يافا
ومن لنا أن يلوا علينا فالروم خير من الرافا“

يعنى أهل الريف ، فإنه كان قد كثرت أساطهم ، وطمعوا في أسر السلطان ، واستخفوا به ، لشغله بالفرنج عنهم . وخرج الأمير علاء الدين جلدك ، والأمير جمال الدين بن صير ، لجمع الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحوف الشرقي^(٢) ، فاجتمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصر .

(١) لم يذكر المؤلف صاحب هذين البيتين ، وليس بالفرزى (الواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣ وما بعدها) ذكر لهما يافا ، في باب حصار دمياط .

(٢) قسم العرب ، بعد فتح مصر ، أرس دلتا النيل إداريا إلى قسمين ، وهما الحوف والريف . وكان الحوف يشمل جميع الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط ، من عين شمس إلى دمياط والقرما . وكان الريف عبارة عن بقية أراضي الدلتا إلى الإسكندرية . ثم عدل ذلك التقسيم في القرن الثالث الهجري ، وصارت أراضي دلتا النيل ثلاثة أقسام ، وهى الحوف الشرقي ، والحوف الغربي ، ووطن الريف . وكان الحوف الشرقي عبارة عن الحوف القديم ، ما خلا الأراضي الواقعة شمال بحر أبي صير ؛ والحوف الغربي هو الأراضي الواقعة غرب فرع رشيد ، ويشمل أيضا أراضي رشيد وشباس وما ، الواقعة شرق هذا الفرع . أما بقية الأراضي الواقعة بين فرعي النيل ، وكذلك الأراضي الواقعة شمال بحر أبي صير ، فسميت بطن الريف . وقد بقى هذا التقسيم إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، ثم تغير ذلك كله ، سنة ٦٩٧ هـ ، إلى ما يشبه الأقسام الإدارية الحالية . (الفتوشندى : صبح لأقصى ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ، و P. Omar Toussoun Op. cit. I. I. pp. ٢١٣ — ٢١٤)

وأُتزل السلطان على ناحية شَارِمْسَاح^(١) أثنى فارس ، في آلاف من العربان ، ليحولوا بين الفرنج وبين دمياط . وسارت الشوانى — وبمها حراقة كبيرة — إلى رأس بحر الهلة^(٢) ، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون ، فاقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر .

وقدمت النجندات [لذلك الكامل] من بلاد الشام . وخرجت أم الفرنج من داخل البحر تريد مدد الفرنج على دمياط ، فوافق دمياط منهم طوائف لا يحصى لم عدد . فلما تكامل جمعهم بدمياط خرجوا منها ، في حدم وحديد ، وقد زين لهم سوء حلهم أن يملكوا أرض مصر ، ويستولوا منها على ممالك البسيطة كلها . فلما قامت النجندات كان أولها قدوما الملك الأشرف موسى بن العادل ، وآخرها على الساقة الملك العظيم عيسى ، وفيما بينهما بقية الملوك : وم المنصور صاحب حماة ، والناصر صلاح الدين قليج أرسلان ، والمجاهد صاحب حمص ، والأبجد بهرام شاه صاحب بعلبك ، وغيرهم . فهاج الفرنج ما رأوا . وكان قدوم هذه النجندات في (١٥٥) ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة ؛ وتتابع قدوم النجندات حتى بلغ عدد فرسان المسلمين نحو الأربعين ألفاً . فغاربوا الفرنج في البر والبحر ، وأخذوا منهم ست شوانى وجلاسة^(٣) وبطسة ، وأسروا منهم ألقين ومائتى^(٤) رجل . ثم ظفروا أيضا بثلاث قطائع^(٥) ، فتضمضع الفرنج لذلك ، وضاق بهم القمام ، وبعثوا يسألون في الصاح ، كما سيأتى إن شاء الله .

(١) يشير صبط في س ، ومى قرية بالفتحية الحالية ، وتقع على فرع دمياط ، شمالى شرين ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ ؛ و P. Omar Toussoun . Op. cit. I. 1. P. 175. Pl. II. b.) انظر أيضا الخشبية التالية .

(٢) بحر الهلة ترعة متفرعة من بحر ملج ، الذى يخرج من فرع دمياط ، عند بلدة ميت عطار ، قرب بنها الحالية . وكان يخرج بحر الهلة جنوبى بلدة ملت ، ثم يسير نحو الشمال الغربى ، مارا بالهيام وبلقينة ، حتى يصب في فرع دمياط ، قبالة شارمساح على القاملى^(٣) الآخر : P. Omar. Toussoun .

Mem. Anc. Branches Du Nil. p. 98

(٣) واضح أن هذا اللفظ معرب كلمة (galeasse) الفرنسية . والجلاسة نوع من السفن الحربية الكبيرة ، كان شائع الاستعمال في البحر الأبيض المتوسط ؛ ويقابلها في الإيطالية (galeazza) ، ومرادفها في الإنجليزية قريب من هذا أيضا . (٤) في س وماجين رجلا .

(٥) جمع قطيعة ، ومى القنة من الجنود ، وفي (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) مثل من استعمال هذا اللفظ ، نصه : " فيث إليه الناصر بالقطائع والمجيش لفتاة " .

وفيها مات قطب الدين محمد بن حماد الدين زنكي بن مودود ، صاحب سنجار . وقام من بعده ابنه حماد الدين شاهنشاه^(١) ، ثم قتله أخوه الأجد عمر . ومات نور الدين أرسلان شاه ، صاحب الموصل . وقام من بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ ، بأمر أخيه ناصر الدين محمود ابن القاهرة عز الدين ، وعمره ثلاث سنين .

وفيها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس ، خوفاً من استيلاء الفرنج عليها ، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها ، إلا برج داود — وكان من غربي البلد — فإنه أبقاه . وخرج معظم من كان في القدس من الناس ، ولم يبق فيه إلا نفر يسير . ونقل المعظم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال ، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط . وفيها هدم المعظم أيضاً قلعة الطور ، التي بناها أبوه العادل ، وعنى آثارها . وفيها خرجت كتب الخليفة الناصر [لدين الله] إلى سائر الممالك ، بإنجاد الملك الكامل بدمياط .

وفيها مات عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قلیج أرسلان بن مسعود ابن قلیج أرسلان ، ملك قونية ، بعد ما تملك أرزن الروم^(٢) من عمه فطرل شاه بن قلیج أرسلان ، وملك أنكورية^(٣) من أخيه كيقيباد^(٤) ، فصار سلطان الروم . وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقيباد^(٥) .

وفيها ابتدا ظهور التتار — ومساكنهم جبال طنجاج^(٦) من أرض الصين ، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر — واستولوا على كثير من بلاد الإسلام . وكانوا لا يدينون بدين ،

(١) في س شاهنشاه .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي بلدة بأرمينية ، في الشمال الغربي من خلاط . واسمها الأصل في القدم (Theodosiopolis) ، ثم سماها العرب فالتيلا ، أيام الفتح الإسلامية الأولى ، وأطلقوا هذا الاسم أيضاً على الأراضي المحيطة بها . أما اسم أرزن الروم فيرجع إلى سنة ٤٤١ هـ ، حين هدم السلاجقة بلدة أرزن ، وهي قرب خلاط أيضاً ، فخرج أهلها الأرمن إلى فالتيلا ، وأطلقوا عليها أرزن الروم . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ؛ و Enc. Isl. Art. Erzerum) .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي أخرة الحالية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٩٠ — ٣٩١) .

(٤) في س كي قياد . انظر (Enc. Isl. Art. Kaikobad) . (٥) في س كيقيباد .

(٦) مضبوطة هكذا في س ، وهي اسم أطلقه الترك على شمال الصين ، وقد أخذوه من اليونانية ، ثم

استعاره العرب من الترك . انظر (Blochet : Op. cit. p. 330. N. 3.) .

إلا أنهم يعترفون بالله تعالى ، من غير اعتقاد شريعة . فملكوا الصين — وكان ملكهم يقال له جنكزخان^(١) — ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر ، فملكوا تلك البلاد ، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نكش^(٢) . ثم استولوا على بخارى وغيرها من بلاد الصبح .

سنة سبع عشرة وستمائة . أملت وانقضت ، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط ، في منزلة للنصورة . وفيها استولى التتر على سمرقند ، وهزموا السلطان علاء الدين ، وملكوا الري وهمدان وقزوین ، وحاربوا الكرج ، وملكوا فرغانة والترمذ^(٣) وخوارزم ، (هـ ب) وخراسان ومرو ونيسابور ، وطوس وهرات وغزنة .

وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردین وسنجار . وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه^(٤) بن أيوب بن شادي صاحب حماة — وكان إماما مقبلا في عدة علوم ، وله شعر جيد — في ذي القعدة ، عن خمسين سنة ، منها مدة ملكه ثلاثون^(٥) سنة . وكان ابنه الأكبر الملك المنظر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل ، بالنصورة على مقاتلة^(٦) الفرنج . فقام بمملكة حماة الملك الناصر قانج أرسلان بن المنصور ، وكان حمرا سبع عشرة سنة . فشق ذلك على أخيه المنظر ، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة ، فلما منه أنه يملكها ، فإنه كان ولي عهد أبيه . فأذن له [الملك الكامل] ، وسار فلقى الملك المعظم في القود ، فخونه من التتر إلى أخيه ، فأقام بدمشق . ثم رجع [المنظر] إلى الملك الكامل ، فأعطاه إقطاعا ، وأقام في خدمته .

وفيها كثرت مصادرة صاحب صفى الدين بن شكر أرباب الأموال ، بمصر والقاهرة ، من التجار والكتاب : وقَرَّرَ التبرع على الأملاك ، وهو مال جُبي من الناس . وأحدث [ابن شكر] حوادث كثيرة ، وحصل مالا جها .

(١) في س جنكس خان . (٢) على هذا الاسم تكللة لسبب خوارزم شاه نصبا : "ابن الب أرسلان محمد بن جنرى بك داود بن ميكائيل السلجوقي" ، ومي تكللة خاطئة ، إذ ليس تمة عائلة معروفة بين أجداد الخوارزمية وأجداد السلاجقة . (٣) في س الترمذ . (٤) في س هاشم شاه . (٥) في س ملين . (٦) في س مقابله .

وفيها قوى طمع الفرنج في ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين، ليدفوم عن منزلهم، ويستولوا على البلاد، فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط. وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فباع القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدّها على مصر.

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة. وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته وسماه بالينيس. وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة، فسار راجع بن قتادة مغاضباً له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش^(١) أمير الحاج المراقى. فبعت الشريف حسن لأقباش بعه بمال يسلمه راجعاً، فوعده راجع بأكثر من ذلك، فعزم [أقباش] على أن يسلمه مكة، [وتقدم لمقاتلة^(٢) أميرها]، فقتل [أقباش]، وفر راجع إلى الملك المسعود باليمن.



سنه ثمان عشرة وستمائة. فيها اشتدت قوة الفرنج، بكثرة من قدم إليهم في البحر. فتابع الملك الكامل الرسل في طلب التجذات، فقدمت عليه الملوكة كما تقدم. واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً، وقد اجتمع من الفرنج والمسلمين ما لا يعلم عددهم إلا الله. وكانت العامة تكرر على الفرنج أكثر ما يكر عليهم المسكر، وتقدم جماعة (١٠٦) من المسكر إلى خليج من النيل في البر النرى، يعرف ببحر الحلة، وقتلوا الفرنج منه. وتقدمت الشواوى الإسلامية في بحر النيل، لتقاتل شواوى الفرنج، فأخذوا منها ثلاث قطع برجالها وأسلحتها

(١) مضبوط على منطوقه في (Blochet : OP. cit. P. 336). (٢) عبارة للفرزى هنا على حوادث مكة متضمنة، وقد أضيف ما بين الأقواس من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٦١ - ٢٦٢) حيث توجد تفاصيل كثيرة. (٣) في س. بير.

[هذا] والرسول تتردد من عند الفرنج في طلب الصلح بشروط : منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية ، وجبله واللاذقية ، وسائر مآتمه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل ، فأجابهم الملوك إلى ذلك ، ما خلا الكرك والشوبك . فأبى الفرنج ، وقالوا : " لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله " ، فرضى الكامل . فامتنع الفرنج ، وقالوا : " لا بد أن تعطونا خمسمائة ألف دينار ، لنعمر بها ما خربتم من أسوار القدس ، مع أخذ ما ذكر من البلاد ، وأخذ الكرك والشوبك أيضاً " .

فاضطرت المسلمون إلى قتالهم ومصارتهم وعبر جماعة من المسلمين في بحر الحلة إلى الأرض التي عليها معسكر الفرنج ، وقد حووا مكانا عظيما في النيل . وكان الوقت في قوة الزيادة ، فإنه كان أول ليلة من توت ، والفرنج لا معرفة لهم بحال أرض مصر ، ولا بأسر النيل فلم يشعر الفرنج إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التي هم عليها ، وصار حائلا بينهم وبين دمياط ، وأصبحوا وليس لهم جهة يسلكونها ، سوى جهة واحدة ضيقة . فأمر السلطان في الحال بنصب الجسور عند بحر أشموم طناع ، فنهبا الفراغ منها ، وعبرت المساكن الإسلامية عليها ، وملك الطريق التي تسلكها الفرنج إلى دمياط ، فأنحسروا من سائر الجهات . وتذر الله سبحانه بوصول مرسة عظيمة في البحر للفرنج ، وحوها عدة حركات تحميها ، وسائرها مشحونة بالميرة والصلاح ، وسائر ما يحتاج إليه . فأوقع بها شوائب الإسلام ، وكانت بينهما حرب ، أنزل الله فيها نصره على المسلمين ، فظفروا بها وبما معها من الحركات .

ففت ذلك في أعضاد الفرنج ، وألقى في قلوبهم الرعب والقلق ، بعد ما كانوا في غاية الاستظهار والعتق على المسلمين^(١) ، وعلوا أنهم مأخوذون لاحتالة . وعظمت نكاية المسلمين بهم برميهم بإيام السهام ، وحملهم على أطرافهم^(٢) . فأجسروا أسهمهم على مناهضة المسلمين ، فلنا منهم أنهم يصلون إلى دمياط ، فخرّبوا خيامهم وبجانيقهم ، وعزموا على أن يحيطوا حطمة واحدة .

(١) في س " ... في غاية الاستظهار على المسلمين والعتق " .

(٢) كذا في س ، ب (١٦٨) ، وبالبارة شيء من التوضيح لكثرة الضمائر ، ولذا أورد ما يقابلها في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، س ٢١٥) لتوضيح ، ونسب : " وعساكر المسلمين محيطة بهم ، يرمونهم بالنشاب ، ويحيطون على أطرافهم " .

فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، لكثرة (٥٦ ب) الوحل والمياه التي قد ركبت الأرض من حولهم . فمجبوا عن الإقامة لقلة الأزواد عندهم ، ولاذوا إلى طلب الصلح ، وبشوا بأنون الملك الكامل — وإخوته الأشرف والمظفر — الأمان لأنفسهم ، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض . فاقضى رأى الملك الكامل إجابتهم ، واقضى رأى غير من إخوته مناهضتهم ، واجتثاث أصلهم أئبته . لخاف الملك الكامل إن قتل ذلك أن يمتنع من بقى منهم بدمياط أن يسلمها ، ويحتاج الحال إلى منازلها مدة ، فإنها كانت ذات أسوار متينة ، وزاد الفرنج عند ما استولوا عليها في تحصينها ، ولا يؤمن في طول محاصرتها أن يند ملوك الفرنج نجدة لمن فيها ، وطلبا للتأثر من قتل من أكابرهم . هذا وقد ضجرت عساكر المسلمين ، وملت من طول الحرب ، فإنها مقيمة في محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهر^(١) .

وما زال الكامل قائما في تأمين الفرنج إلى أن وافقه بقية الملوك ، على أن يبعث الفرنج برهائن من ملوكهم — لا من أمراءهم — إلى أن يسلموا دمياط . فطلب الفرنج أن يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة ، إلى أن تعود إليهم رهائتهم . فتقرر الأمر على ذلك ، وحلف كل من ملوك المسلمين والفرنج . في سابع شهر رجب . وبعث الفرنج بمشرين ملكا من ملوكهم رهنا ، منهم يوحنا صاحب عكا^(٢) ، ونائب البابا^(٣) . وبعث الملك الكامل إليهم بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة ، ومعه جماعة من خواصه . وعند ما قدم ملوك الفرنج جلس لهم الملك الكامل مجلسا عظيما ، ووقف الملوك من إخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر البرمؤن ، في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب ، فقال

(١) في س وأشهر .

(٢) يقصد المؤلف (Jean de Brienne, roi titulaire de Jérusalem) ، وهو قائد هذه الحملة الصليبية في أولها . (Rec. His. Or. II, 1, P. 124. N. 4) . نائب البابا في تلك الحملة هو (Cardinal Pélage) . نفس المرجع والجزء والصفحة (N. 6) . (٣) بغير ضبط في س ، ووجد في (P. Omar Toussoun : Op. cit. I, 1, Pl. II, b.) ذكر لبرمون البحرى والبرمون القليل ، وكلاما شمالي بحر تيس ، بين النصوص وشريين .

القرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبها ذلك الناموس . وقدمت قسوس القرنج ورجالهم إلى دمياط ، ليسلموها إلى المسلمين ؛ فقتلها المسلمون في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب . فلما تسلمها المسلمون قدم في ذلك اليوم من القرنج نجدة عظيمة ، يقال إنها ألف مركب ، فعدّ تأخرهم إلى [ما] بعد تسليمها من القرنج صنماً جليلاً من الله سبحانه . وشاهد المسلمون عند [ما] تسلّموا دمياط من تحصين القرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة أئمة^(١) .

وبعث السلطان بمن كان عنده في الرهن من القرنج ، وقدم الملك الصالح ومن كان معه . وتقررت الهدنة بين القرنج وبين المسلمين مدة ثمانى سنين ، على أن كلا من الفريقين يطلق ما عنده من (١٥٧) الأسرى . وحلف السلطان وإخوته ، وحلف ملوك القرنج ، على ذلك . وتفرق من كان قد حضر للقتال ؛ فكانت مدة استيلاء القرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً . ثم دخل لللك الكامل إلى دمياط بصاكره وأهله ، وكان لدخوله مسرة عظيمة وإتباع زائد . ثم سار القرنج إلى بلادهم . وعاد السلطان إلى قلعة الجبل ، في يوم الجمعة ثمانى عشر شهر رمضان . ودخل الوزير صاحب صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر في البحر ، وأطلق من كان بمصر من الأسرى ، وكان فيهم من أسر من الأيام الصلاحية . وأطلق القرنج من كان في بلادهم من أسرى المسلمين .

واتفق^(٢) أنه لما رحل القرنج اجتمع في ليلة عند الملك الكامل أخواه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس ، فأمر الأشرف جاريته ست القمخر ، ففتت على عودها : —

ولما طنى فرعون عكا بينيه وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض
أنى نحوم موسى وفي يده العصا فأغرقتهم في اليم بضاً على بعض

(١) كان من شروط الصلح أن تكون هدنة بين المسلمين والمسيحيين لمدة ثمانى سنين ، لا يبتغى منها سوى أصحاب النيجان من ملوك أوروبا ، فإن لم أن يتغضوا إذا شاءوا . ولقد كانت الحملة التي وصلت دمياط ، بعد إضفاء شروط الصلح ، من عند فردريك (Frederic II) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . وكان يحق لناثدها أن يكسر الهدنة ، دون أن يحل بفروط الصلح ؛ غير أن وجود الرهائن لدى الكامل أحاط الصليبيين من عواقب ذلك ، فلموا صياط حسب الشروط (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 224).

(٢) بقالة هذا الخبر ، بهامش الصفحة في س ، فقط " لطيفة " ، بخط عارف .

فطرب الأشرف ، وقال لها : ” كَرِّري “ . ففق [ذلك] على الملك الكامل ،
وأمرها فسكرت ، وقال لجاريته : ” غَنِّ أنتِ “ . فغنت على المود : —

يا أهل دين الكفر قوموا لتظنوا لما قد جرى في وقتنا وتجدوا
أعباد عيسى إن عيسى وقوبه وموسى جميعاً ينصرون محمداً

فأجيب الكامل بها ، وأمرها بخمسة مائة دينار ، ولجارية أخيه الأشرف بخمسة مائة دينار .
فتنهض القاضي الأجل هبة الله بن محاسن ، قاضي غزنة ، وكان في جهلهم ، وأنشد : —

حيانا إله الخلق فتحا لنا بنا مينا وإنعاماً وحرّاً مجدداً
تهل وجه الدهر بمد قطوبه وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا
ولما طوى البحر الخضم بأهله^(١) الد طعنة وأضحى بالمركب مزبدا
أقام لهذا الدين من سلّ عزمه صقيلا كما سل الحسام مجربدا
فلم تر إلا كل شيو^(٢) تجدل^(٣) ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصران^(٤) محمداً

ويقال إن هذا المجلس كان بالصورة . ولما استقر الملك الكامل على تخت ملكه
سارت الملوك إلى ممالكها ، وعت بشارة أخذ (٥٧ ب) المسلمين دمياط آفاق الأرض . فإن
التار كانوا قد دسروا ممالك الشرق ، وكادت مصر مع الشام بتأصل شافة أهلها الفرنج ،
حتى من الله بحميد صنعه وخفي لطفه ، ونصّر عباده المؤمنين ، وأيدهم بمجنده ، بد ما ابتلى
المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديداً .

وقدمت على الملك الكامل تهاى الشراء بهذا الفتح ، فكان أولم إرسالاً شرف
الدين بن عنين ، بكلمته التي أولها : —

(١) في س بإهليه . (٢) الثار ، والثلا ، الجمد أو المض من أعضائه . (محيط المحيط) .

(٣) في س مجدل . (٤) كذا في س ، وقد تقدمت بصورة الجمع ، في البيت عينه ، سطر ٤ .

سلوا صهوات الخليل يوم الوغى عنا
 إذا جهلت آياتنا والقنا الدنا
 غداة التقينا دون دمياط جحلا
 من الروم لا يحصى يقينا ولا غنا
 قد اجتمعوا رأيا وديننا ومهمة
 وعزما وإن كانوا قد اختلفوا سنا
 تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت
 جموع كأن الموج كان لم سفنا
 وأطعمهم فينا غرور فأرقلوا
 إلينا سريعا بالجهاد وأرقلنا
 فما برحت سمر الرماح تنوشهم
 بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
 سقيناكم كأسا نفت عنهم الكرى
 وكيف ينال الليل من عدم الأمننا
 لقد صبروا صبورا جيلا ودانوا
 طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنى
 بدا الموت من زرق الأمسة أحرا
 فألقوا بأيديهم إلينا فأحنا
 وما برح الإحسان مناسجية
 نورثها من صيد آياتنا الابنا
 وقد جربونا قبلها في وقائع
 تملأ غمر القوم منا بها الطمنا
 أسودوغى لولا وقائع سمرنا
 لما بسوا قيدا ولا سكنوا سجننا
 وكم يوم حرّ ما وقينا هجير
 وكم يوم نعيم الملك في وسطه الشقا
 فإن نعيم الملك في وسطه الشقا
 يسير بنا من آل أيوب ماجد
 كرم الثنا عار عن الماربائل
 سرى نحو دمياط بكل مُتَمَيِّدَع
 مآثر مجد خدرتها سيوفه
 وقد عرفت أسيفنا ورقابهم
 إمام يرى حسن الثنا للتمن الأسمى
 مآثر مجد خدرتها سيوفه
 وقد عرفت أسيفنا ورقابهم
 منحنائهم منا حياة جديدة
 فاشوا بأعناق مقلدة منا
 ولو ملكونا لاستباحوا دمانا
 ولو لنا ولكنا ملكتنا فأسجننا

وقال :

كما بما ضمت أباطح مكة وبين حواه من الحبيج الوقف
(١٠٨) لولم يقم موسى بنصر محمد لرق على درج الخطيب الأسقف
لولاء ما ذل الصليب وأهله في ثغر دمياط وعز المصنف
ووردت أيضا قصيدة القاضي الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي القومى ، وغيره
من الشعراء .

وفيها تلك التتر مراغة وهندان وآذريجان وتيريز^(١) . وفيها مات الملك الصالح
ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان^(٢) بن سقمان بن أرتق الأرتقى ، صاحب حصن كيفا ؛
وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود . وفيها ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى منطرة
الصاحب صفى الدين بن شكر - التى على الخليج بمصر - فى ذى القعدة ، وتحدث معه
فى نفى الأسراء الذين وافقوا الفاتح . وكاوا فى جيزة دمياط لمارتها ، فكتب لهم بالتوجه من أرض
مصر إلى حيث شاءوا ، ففوضوا بأجدهم من الجيزة إلى الشام ، ولم يتعرض [الملك الكامل] لشيء
من موجودهم ، وقرق أخبازهم على ماليكه . وفيها مات أمين الدين صرتع بن الشمار ، وإلى
مصر ، فى يوم الجمعة ثالث محرم . ومات متولى تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد عبد الواحد
ابن أبى حفص عمر بن يحيى بن أبى حفص عمر بن ونودين^(٣) الهنتاني^(٤) ، فى يوم الخميس أول
المحرم ، و[كان] قدولى [تونس] من قبل الناصر أبى عبد الله محمد بن يعقوب النصور بن
يوسف القسرى^(٥) بن عبد المؤمن ، ملك اللوحدين ، سنة اثنتين وستائة . و[كان] أبو محمد قد
قدم أكبر بنيه ، الشيخ أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد ، فقام بأمر تونس ، حتى قدم
أخوه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ، متوليا إفريقية من قبل المادل عبد الله بن

(١) فى س توريز ، وينير ضبط ، وإبدال الباء واوا هو التطق " الجارى على أئنة العامة " .

اللقششى : صحيح الأعشى ، ج ٤ ، ٢٥٧ (٢) فى س قرا أرسلان .

(٣) مضبوطة مكنا فى س (انظر ص ٦٢ ، حاشية ١) . (٤) بغير ضبط فى س . انظر

(٥) مضبوطة مكنا فى س . (Enc. Isl. Art. Hafside)

المنصور يعقوب ، [ملك الموحدين] ، في خامس رمضان منها ، فاستمر [أبو محمد عبد الله] حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد . [هنا] والأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص هو أول من قام من الحفصيين بإسرة تونس ، وهو جد ملوك تونس الحفصيين ،

سنة تسع عشرة وستمائة . فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر ، فأقام بها عند [أخيه] السلطان [الملك الكامل] مدة ، ثم عاد في رمضان . وفيها أوقع التتر بالكرونج . وفيها قدم الظفر موسى على أخيه الكامل بمصر . و [فيها] قدم الملك المسعود يوسف ابن الكامل من اليمن ^(١) إلى مكة في ربيع الأول ، وقد رحل عنها الشريف حسن ابن قتادة ^(٢) ، وقدم معه راجع بن قتادة [إلى] مكة . فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم ، وما أخذ لهم من الدور بمكة والوادي ، ثم عاد إلى اليمن بعد ما حج ، ومنع أعلام الخليفة من التزدم ، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة . وبدأ منه بمكة ما لا يحمد ، من رمى حمام الحرم بالبندق من فوق زسهم ، ونحو ذلك . فهم أهل العراق بقتاله ، فلم يقدروا على ذلك مجزأ عنه . واستناب [الملك المسعود] بمكة الأمير نور الدين حر بن علي ابن رسول ^(٣) ، ورتب معه ثلثمائة فارس — وكان الشريف حسن بن قتادة قد نزل بفتح . وولى [الملك المسعود] أيضاً راجع بن قتادة السريين ^(٤) وحل ^(٥) ونصف الخلف ^(٦) . فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة ، وكسر ابن رسول ، وملك منه مكة .

(١) تولى الملك المسعود ، واسمه صلاح الدين يوسف ، بلاد اليمن سنة ٦١٢ هـ (١٢١٠ م) ، بعد الظفر سليمان . (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 79, 98-99.) (٢) انظر ص ٢٠٦ .

(٣) المعروف أن الملك المسعود أسند ولاية مكة في تلك السنة ، إلى علي بن رسول ، والد نور الدين عمر بن علي بن رسول ، المذكور هنا . (Lane-Poole Muh. Dyns p. 99.) (٤) يشير ضغط في س ، وهي بلد قريب من مكة ، على ساحل البحر ، قرب جدة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٩) .

(٥) مضبوطة هكذا في س ، ويسمى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٧) الحلال ، وهي بلدة على الحدود ، بين اليمن والحجاز ، ويقربها جبل حل وقيالته مسمى حل . (Enc. Isl. Art. Hall.)

(٦) كذا في س ، يشير ضغط ، ولعل القرزي قصد الخلفة ، وهي موضع أسفل مكة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤٣) . أما الخلف فهو مهادف الكورة ، وتسمى كوروات اليمن الخلف ، وقد ذكرها ياقوت (نقش المرج والجزء ، ص ٤٣٤ — ٤٤٠ ج ٦ ، فهرس) ، وعندها تسعة وعشرون ومائة .

وفيه مات الأمير عماد الدين أبو المباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن على ابن أحمد الحكاري ، المروف بابن المشطوب ، أحد الأمراء الصلاحية ، في الاعتقال بمرجان ، في ربيع الآخر .

• • •

سنة عشرين وستمائة . فيها أخذ المظلم عيسى المرة وسَلَمِيَّة^(١) ، ونازل حماة . فشق ذلك على أنعيه الأشرف — وكان بمصر — وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك . فيمت [السلطان الكامل] إلى المظلم يسأله في الرحيل عن حماة ، فركبها وهو حنق . وفيها حجج^(٢) الملك الجواد^(٣) والملك الناصر من القاهرة ، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل في طالع عرفة^(٤) . وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده ، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسلطنة حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي . فوصل إلى حلب في شوال ، وتلقاه العزيز — وعمره عشرين — فأفاض عليه الخلع الكاملية ، وحل الناشية^(٥) بين يديه ، وأقام عنده أياما ، ثم (٥٨ ب) سار إلى حران . وفيها عم الجراد بلاد العراق والجزيرة ، وديار بكر والشام . وفيها أوقع التتر بالروس . وفيها شق سهم الدين عيسى والى القاهرة نفسه — وهو معتقل بدار الوزارة — ليلة الخميس سادس شوال .

(١) بشر ضبط في س ، وهي طيدة من ناحية الرقة ، من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين ، " ولا يمر بها أهل الشام إلا بَسَلَمِيَّة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٢٣) .
(٢) يوجد فوق هذين القطعين في س كلمة " حد " . (٣) اسمه يونس ، وهو ابن مودود ابن العادل بن أيوب . (أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١١٤ ، في Rec. Hist. Or. I.) .
(٤) يلى هذا في س بيان ، فمر سطر تهريبا ، فيه آثار كثرة ممحوة عوا تاما .
(٥) أصل الناشية الجبل أو المطاء المزركش ، الذي يوصع على ظهر العرس ، فوق البردة . وكان سلاطين الأيوبيين — والمماليك بعدهم — يخرجون في المواكب وبين أيديهم عاشية ، وبها يقول النافقندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧) ما نصه : " وهي عاشية سرج من أديم محروزة بالذهب ، وبها التاطر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه (السلطان) عند الركوب في المواكب الحفلة ، كالمبادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب حارية ، وانشا لها على يديه ، يلقها بيننا وشمالا ، وهي من خواص هذه السلطنة " .
انظر أيضا (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

سنة إحدى وعشرين وستمائة . فيها ملك التتر قُم^(١) ، وقاشان^(٢) ، وهذان . وفيها اختلف الحال بين مظفر غازي ، صاحب إربل ، وبين أخيه الأشرف . فخرج المظفر من دمشق يريد محاربة الأشرف ، فبعث إليه الكامل يقول له : "إن تحركت من بلدك سرتُ وأخذته منك" . فخاف وعاد إلى دمشق . وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد ، المعروف بفخر الدين مقدم بن شكر ، في آخر شعبان بالقاهرة . وفيها أخذ عسكر مصر ينبع من بني حسن ، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال ، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين .

سنة اثنتين وعشرين وستمائة . فيها فرّ الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود^(٣) من مصر في البحر ، خوفاً من عمه الملك الكامل ، ولحق به المظفر . وفيها تخوف الكامل من أسمراته ، ليلهم إلى أخيه الملك المظفر . فقبض على جماعة ، وبعث إلى الطرقات من يحفظها ، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق والأمان .

وفيها عاد السلطان جلال^(٤) الدين بن خوارزم شاه [علاء الدين محمد بن تمشك] إلى بلاده ؛ وقوى أمره على التتر ، واستولى على عراق العجم ، وسار إلى ماردين وأخذها ، وسار إلى خوزستان . وشاقق [جلال الدين] الخليفة الناصر [لدين الله] ، وسار حتى وصل بقم^(٥) ، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ ، فاستعد الخليفة للحصار . ونهب جلال الدين البلاد ، وأخذ

(١) بغير ضبط في س ، وهي من بلاد الفرس ، بالعراق المجى ، بين إسفهان وسلاوة . وكان اسمها في الأصل كُشْتَدَان ، فأسقط بين حروفها ، وعربت إلى قم . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ؛ و (Enc. Isl. Art. Kumm) . (٢) بغير ضبط في س ، وهي بالعراق المجى أيضاً ، على مسيرة ثلاثة أيام من إسفهان ، وتذكر عادة مع قم ، التي تبعد عنها اثني عشر فرسختا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٥ ؛ و (Enc. Isl. Art. Kashān) . (٣) في س محدود . (انظر الصفحة السابقة ، شافية ٣) . (٤) في س جلال الدين ، بسائر الصفحة في س ، وقد صححت بغير تبني بعد هذه المرة . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٠٦ وغيرها) . (٥) بغير ضبط في س ، ويقال لها باعقوباً أيضاً ، وهي من أعمال طريق خراسان ، وتبعد عن بغداد عشرة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٧٧) .

منها ما لا يقع عليه حصر، وفصل أشنع ما يفعله التتر. فكانت الملك المعظم، واتفق معه معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية. فسير السلطان جلال الدين ابن القاضى مجد الدين - قاضى الملك - فى الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فتظاهر بأنواع التسوق. وسار جلال الدين إلى عراق السج، فلك هذان وتبرز^(١)، وأوقع بالكرج.

وفى مات الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط، فجاء^(٢) بسميساط فى صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس - وقيل ست - وستين وخمسة^(٣). وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده. وسمع [الأفضل] من ابن خوف وأن يرى. واستقل بملكمة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينتظم له أمر لقله حظه، وأخذها منه أخوه المزيز عثمان، صاحب مصر. ثم صار [الأفضل] أتابكا للمنصور ابن المزيز (١٠٩). بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه [المادل]، وأشرف على أخذها منه؛ فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفى أثره عمه المادل، فانتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرغد. ثم قصد [الأفضل] دمشق ثانيا، مع أخيه الظاهر غازى صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع فى حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكائوس السلجوق ملك الروم، فلم يتم لها أمر. وعاد [الأفضل] إلى سميساط، فلم يزل بها يتجرج النصص حتى مات كدا. وكان فاضلا أدبيا حليما، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح، جامعا أمددة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ. وشمره جيد: كتب إلى الخليفة الناصر [لدين الله] - لما انتزع منه دمشق أخوه المزيز عثمان وعمه المادل أبو بكر - فى سنة اثنين وتسعين وخمسة، كتابا يشكو إليه اختصاصهما ميراثه من أبيه، وأوله:

مولاي ! إن أبأ بكر وصاحبه عثمان قد أخذوا بالسيف إرث على
فانظر إلى حظ هذا الإسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

(١) فى س توريز . (٢) هذا اللفظ عطوس بعدادى س، ولكنه فى (٧٠ ب) .

(٣) ولد الأفضل على سنة ٥١٦ هـ . (Lane-Poole : Saladin. Table II, in Pocket) .

وله أيضا في معناه :

أما آن للسعد الذي أنا طالب لإدراكه يوما يرى وهو طالبي
تري [هل] يرى الدهر أيدي شيعتي تمسكن يوما من نواصي التواصب
فأجابه الخليفة بقوله :

وإني كتابك يا بن يوسف ملنا بالود يخبر أن أحلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن بسعد الذي له يثرب ناصر
قأبشر فإن غدا يصكون حسابهم واسبر فناصرك الإمام الناصر
ومن شره :

أيا من يسود شره بخضابه لعماء من أهل الشيعة يحصل
ها فاختضب بسواد حلى مرة ولك الأمان بأنه لا ينصل^(١)
وقام من بعده بسميط أخوه الملك الفضل قطب الدين موسى شقيقه ، فاختلف عليه
أولاد الأنفل .

وفها مات الخليفة الناصر لدين الله أحد بن المستضى بأمر الله الحسن بن المستجد
بالله يوسف ، في ثاني شهر شوال ؛ ومولده في العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين
وخمائة . وله في الخلافة سبع وأربعون سنة ، غير ستة وثلاثين يوما . وكانت أمه أم ولد ،
يقال لها زمرد ، وقيل نرجس^(٢) . وكان شهيدا أبي النفس ، حازما متيقظا ، صاحب فكر
صائب ، ودهاء ومكر . وكان مهيبا^(٣) ، وله أصحاب (٥٩ ب) أخبار — بالعراق وفي الأطراف —
يطالعونه بجزئيات الأمور وكيائنها . فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته ، حتى أن أهل
العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع أسرته ، لما يظن أن ذلك يطلع عليه الخليفة ،

(١) البارة الآية مكتوبة بهامش الصفحة في س ، بخط مخالف ، ونصها : " هذان البتان ...
الأنفل " ، والبيان مكان أخطاء تصفرت قراءتها . ويلاحظ أن خط هذه البارة يشبه كثيرا خط كاتب
الجملة " ملك محمد القرزي " ، الواردة بصفحة العنوان . (انظر ص ٥ ، حاشية ٥) .

(٢) لم يترجم (Blochet : Op. cit. P. 361) يد هذا القبط شيئا مما هنا من أخبار الناصر لدين الله ،
مع وروده بمخطوطة اللوك التي ترجم منها . (٣) في س مهاب .

فيما أقب عليه . وعمل شخص دعوة ببغداد ، وغسل يده قبل أضيافه ، فلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره ، فكتب في الجواب : ”سوء أدب من صاحب البلد ، ونفول من كاتب المطالمة“^(١) . وكان ردى السيرة في رعيته ، ظلماً عسواً : خرب العراق في أيامه ، وتفرق أهله في البلاد ، فأخذ أملاكهم وأموالهم . وكان يحب جمع المال ، ويباشر الأمور بنفسه ، ويركب بين الناس ويجمعهم ، مع سفكه للدماء ، وفعله للأشياء التضادة : فيفتصب الأموال ويتصدق . وشغف برمي الطير بالبندق ، وكيس سراويلات الفتوة ، وحل أهل الأمصار على ذلك^(٢) ؛ وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الخوى في ذلك رسالة بدسية . وصنف الناصر [الدين الله] كتاباً في مروياته ، سماه روح العارفين ، وأسمه [للقهقهة بمصر^(٣) والشام] ، وله شعر . وفي خلافته خرب التتر بلاد للشرق ، حتى وصلوا إلى همدان ؛ وكان هو السبب في ذلك : فإنه كتب إليهم بالصبر إلى البلاد ، خوفاً من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه ، لما هم بالاستيلاء على بغداد ، وأن يجعلها دار ملكه ، كما كانت السلجوقية . ولم يمت [الخليفة الناصر لدين الله] حتى عمى ، وقيل كان يبصر بإحدى عينيه . وقام من بعده في الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله^(٤) أبو^(٥) نصر محمد — بهمد من أبيه — يوم مات أبوه ، وعمره ما بينف على خمسين سنة . وكان يقول ”من يفتح دكانه المصر متى يفتح“^(٦) . ولما ولي

(١) في هامش الصفحة قس س البارة الآية : ”انظر إذا تقدم الشخص أضيافه لغسل يده“ ، ومي بخط مخالف . (٢) انظر ص ١٧٧ ، سطر ٤ . (٣) انظر ص ١٨٠ ، سطر ١٥ . (٤) لهذه التسمية سبب ، وهو — كما ساء في ابن الأثير (الكمال في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٧) — أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد خلع ولده أبا نصر محمد ، وهو أكبر ابنه ، من ولاية المهدي ، وولى بدله ولده الصغير علياً ، لشدة حبه له . ثم حدث أن علياً توفي سنة ٦١٢ هـ ، انظر ص ١٨١ ، سطر ٧) ، فاستمر الخليفة إلى إعادة أبي نصر محمد إلى ولاية المهدي . فلما توفي الناصر ، وأصبح أبو نصر خليفة ، لقب نفسه بالظاهر بأمر الله ، ولقد بذلك أن أباه أراد صرف الأمر عنه ، فظهر وولى الخلافة بأمر الله . (٥) في س أبي . (٦) أنشأ ابن الأثير (الكمال في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٩) في ذكر أعمال الخليفة الجديد ، وما قال : ”ولما ولي [الظاهر بأمر الله] الخلافة أظهر من العدل والإحسان ما أماد به عهد السرور ، فلو قيل إنه لم يل الخلافة بعد عمر ابن عبد العزيز مثله لكان القائل (كنا) صادقاً : فإنه أعاد من الأموال المصوبة ، في أيام أبيه وقبله ، شيئاً كثيراً ... (٢٨٧) ... ومن حسن نيته فلأن أن الأسفار في المواصل وديار الجزيرة كانت غالية ، فرخصت الأسفار . وأطلق حل الأمثلة إليها ، وأن يبيع كل من أراد البيع لفئة ... وأمر أن يباع من الأهرار التي له طعام أرخص مما يبيع غيره ، ففعلوا ذلك ، فرخصت الأسفار عندهم أيضاً ، أكثر مما كانت أولاً ... ولقد سمعت كلمة أعجبتني جداً ، وهي أنه قيل له في الذي يخرج به ويطلقه من الأموال ، التي لا تسمح هس يبضها ، فقال لهم : ”أنا صنعت الزكأن بعد العصر ، فأزكوني أنزل الخير ! فكيف أعيش ؟“ .

أظهر المدل ، وأزال عذّة مظالم ، وأطلق أهل السجون ، وظهر للناس ، وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا :

وفيهما وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة ، ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب ، فقدم على أبيه الكامل بقلمة الجبل ، ومعه هدايا جليلة . وفيها مات الوزير صاحب صفى الدين عبد الله بن أبي الحسن على بن الحسين بن عيد الخالق بن الحسين بن الحسن ابن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن علي الشيبى ، أبو محمد المعروف بابن شكر ، الفقيه الدمشقى^(١) السالكى ، في يوم الجمعة ثامن شعبان - وقيل شوال - بالقاهرة ؛ ودفن برابطة منها . وكان مولده بدمية ، إحدى قرى مصر البحرية ، في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسة ؛ وسمع من ابن عوف وغيره ، وحديث . وكان جبارا (١٦٠) جباها عاتيا ، عانيا بتقدمة الأراذل وتأثر الأمائل ؛ أقترَ خلقا كثيرا .

وفيهما قدم الشريف قاسم الحسنى أمير المدينة ، بمسكر إلى مكة ، وحصرها نحو شهر ، وبها نواب الملك الكامل ، فلم يتمكن منها ، بل قُتل .



سنة ثلاث وعشرين وستمائة . فيها تأكدت الوحشة بين العظم وبين أخويه الكامل والأشراف . وفيها بعث الخليفة الظاهر بأمر الله التشاريف للملك بنى أبوب ، على يد محي الدين أبى المظفر بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى^(٢) : فبدأ بالأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية ، فأفاض عليه الخلع الخليفية ؛ ثم بالمرزغيات الدين محمد ابن الظاهر صاحب حلب ، فأفاض عليه فرجية واسعة السكم سوداء ، وحماء سوداء مذهبة ،

(١) بشرى صبط فى س ، والنسبة إلى دمية ، وهى إحدى قرىين متقابلتين على النيل ، تسمى كل منهما دمية ، قرب دباط . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٦٠٧) . (٢) اشتهر فى عالم التأليف من أسرة ابن الجوزى اثنان ، وهما : عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج جلال الدين ابن الجوزى ، الحنبلى الفقيه المورخ ، صاحب كتاب المنتظم والمختصر فى التاريخ ، مات بقم سنة ٥٩٧ هـ ، (Enc. Isl. Art. Ibn al-Djawzi) وسبط ابن الجوزى ، واسمه شمس الدين أبو الفخر يوسف بن كزوغلو ، وهو ابن بنت عبد الرحمن المذكور ، ولد بقم سنة ٥٨٢ هـ ، وتوفى بدمشق سنة ٦٥٤ هـ ، وهو صاحب كتاب مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . (Enc. Isl. Art. Ibn al-Djawzi , Şibt) .

وثوباً^(١) مطرزا بالذهب أيضا ؛ ثم ألبس المعظم عيسى ، صاحب دمشق ، بدمشق . وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلق للملك الكامل ، ولأولاده الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود ، وللمصاحب صفى الدين بن شكر . فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة ، ولبس الخلع الخليفة هو وولده^(٢) . وكان الصاحب صفى الدين قد مات ، فألبس [الكامل] الخلعة التي باسمه للقاضي غفر الدين سليمان بن محمود بن أبي غالب أبي الربيع الفمقي ، كاتب الإنشاء . وعبر [الكامل] من باب النصر ، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل ، فكان يوما مشهودا .

وفيهما قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفى الدين بن شكر ، وأحاط بجميع موجوده ، واعتقل ابنه تاج الدين يوسف ، وعز الدين محمد ، في قاعة سهم الدين ، بدرب الأسواني^(٣) من القاهرة . ولم يستوزد [الكامل] بعد ابن شكر أحدا .

وفيهما سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن . وفيها كثروا^(٤) الملك الكامل من عسكره ، فإن المعظم أرسل إليه في جملة كلام : ” وإن قصدتني لا آخذك إلا بسكر “ . فوقع في نفسه انطوف ممن معه ، وهم أن يخرج من مصر ؛ فلم يحسر . وخرج المعظم فنازل حصص ، وخرب قرأها وصزارعها ، ولم ينل من قلعتها شيئا ، لامتناعها هي والمدينة عليه . فلما طال مقامه على حصص رحل عنها ، لما أصاب عسكره ودوابه من اللوت . وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة ، فسر به سرا عظيما ، وأكرمه إكراما زائدا .

وفيهما مات الخليفة الظاهر بأمر الله [أبو نصر] محمد بن الناصر ، في رابع عشر شهر رجب ، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام ؛ وكان حسن السيرة كثير المعروف . واستقر في الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ، وعمره عشرون سنة ؛ فوردت عليه رسل ملوك الأطراف . وبث الملك الكامل (٦٠ ب) في الرسالة معين الدين حسن

(١) في س : والثوب المطرز . (٢) في س : ولده . (٣) يقول القرزى

(المواعد والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧) ، في باب ذكر الدروب والأزفة ، في حرب الأسواني ” ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني ، المعروف بابن عتاب “ ، غير أنه لم يذكر شيئا عن قاعة سهم الدين .

ابن شيخ الشيوخ [صدر الدين] بن حويه^(١)؛ فلما قدم بغداد قال نياية من الملك الكامل ، وهو بين يدي الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد القتي : "عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات ، التي يستشفى بتقريب زراها ، ويستكنى بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها ، ويوالى شكر الله تعالى على إمالة ليل الغراء ، الذي عم مصابه ، بصبح الهناء الذي تم نصابه ، حتى ترحل عن شمس المهدى شفق الإشفاق ، فجل كلتها العليا ، وكلة معادها السفلى ، وزادها شرفاً في الآخرة والأولى" . وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد ، ملك الروم ، بتقديمه جليلة إلى الملك الكامل .

سنة أربع وعشرين وستمائة . فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق ، بعد ما حلف المظفأه يماضده على أخيه الملك الكامل ، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص ، والناصر صاحب حماة . وفيها سافر رسول [علاء الدين كيقباد] ، ملك الروم ، من مصر إلى مخدمه . وفيها تأكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المظفأه والأشرف ؛ وخاف [الكامل] من اتقاء أخيه للمظفأه إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، فبعث الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ [صدر الدين]^(٢) بن حويه [إلى ملك]^(٣) الفرنج ، يريد منه

(١) تقدم ذكر شيخ الشيوخ صدر الدين بن حويه ، في أخبار الملك العادل ، تحت سنة ٦١٤ هـ ، (انظر ص ١٨٦) ، وقد توفي بالموصل سنة ٦١٧ هـ ، وترك من الأولاد أربعة ، عرف كل منهم بأبي الشيخ ، وهم فخر الدين وعماد الدين وكال الدين وسعيد الدين . وذكرهم القرطبي فيما نيايل ، عند ذكر وفاة السلطان الكامل ، فترجم لهم ، وقال إن أهم — وهي أبة القاضي شباب الدين بن عمرو ، أرضعت الملك الكامل ، فهم إخوته من الرضاعة . انظر أيضاً أبا القضاة (المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٥ ، ١١٤ ، في ١. Rec. Hist. Or.) .

(٢) انظر الحاشية السابقة . (٣) يقصد القرطبي بملك الفرنج فردريك الثاني (Frederic II) ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . وكان هذا الإمبراطور قد نذر يوم تويجه ، سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) ، أن يرافق الحملة الصليبية ، للمروقة في التاريخ الأوروبي بالحامسة ، والتي كان نمرضاها الديار المصرية . غير أن أمورا داخلية حالته ، فلم يستطع الوفاء ، وسارت الحملة بقيادة (Jean de Brienne) ، وحاصرت دمياط (انظر ص ١٨٨ ، وما بعدها) . على أن الإمبراطور لم يأل جهداً في بث الدعوة للحملة في أنحاء بلاده ، بل أرسل نجدة ألمانية سنة ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) ، شاع أنه سيرافقها ، ولكنه لم يفعل . وهذه الحملة هي التي وصلت الشواطئ المصرية بعد إمضاء شروط الصلح بين الملك الكامل والصليبيين ، (انظر ص ٢٠٨ ، وما بعدها) . ولقد كان سلوك الإمبراطور مجلبة لغضب البابوات ، الذين تاقبوا على كرسى =

أن يقدم إلى عكا ، ووعده أن يعطيه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل ، ليشغل سر أخيه ^(١) للمظن ؛ فتجهز الإمبراطور ^(٢) ملك الفرنج لقصد الساحل .

وبلغ ذلك المظن ، فكتب إلى السلطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل ، ووعده أن يخطف له ، ويضرب السكة باسمه ، فيسير إليه [جلال الدين] خلعة لبسها ، وشق بها دمشق ، وقطع الخطة للملك الكامل . فبلغ ذلك الكامل ، فخرج من القاهرة بصاكره ، ونزل بلبس في شهر رمضان . فبحث إليه المظن : "إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدى أتصدق بألف دينار ؛ فإن جميع عسكري معي ، وكتبهم عندي ، وأنا آخذك بعسكري" . وكتب [المظن مكاتبة] بهذا في السر ، ومعه مكاتبة في الظاهر [قيلها] : "بأنى مملوكك ، وما خرجت عن محبتك وطاعتك ، وحاشاك أن تخرج وتقابلنى ، وأنا أول من أئجذك ، وحضر إلى خدمتك ، من جميع ملوك الشام والشرق" . فأظهر الكامل هذا بين الأسراء ، ورجع من العباسية إلى قلعة الجبل ، وقبض على عدة من الأسراء (١٦١) وبمايك أبيه ، لمكاتبتهم المظن : منهم غر الدين العنبا الحنبلى ^(٣) ، وغر الدين الطن ^(٤) القيوى

== البابوية روما ، فأراد الإمبراطور ، سنة ١٢٢٧ م (٦٢٤ هـ) ، أن يستلب رضا البابا الثام إذ ذاك ، وهو (Gregory IX) ، فأبحر من جنوى إيطاليا ، على رأس حلة صليبية ضخمة . غير أنه اضطر إلى المود قبل أن تبرح سفنه المياه الإيطالية ، بسبب حى انتابته . فاعتبر البابا المرس غارما ، وأعلن سخطه على الإمبراطور ، وصب جام غصه عليه ، باعلان حرمانه من الكسبة . (Excommunication) . بل إنه لما شى الإمبراطور ، وعزم عزمًا أكيدا على القمامب إلى الشام ، منعه البابا من الرحيل منها . ورغم ذلك أبحر الإمبراطور ، وعلى رأسه حرمان الكسبة ، وحثته من المروفة فى التاريخ الأوروبى بالسافسة . ووصل الإمبراطور عكا ، فى سبتمبر سنة ١٢٢٧ ، (شوال سنة ٦٢٤ هـ) . انظر (Stevenson : Crusaders in The East. pp. 307-310) . هناك جاءه غر الدين بن سويه ، رسولاً من عند الكامل ، وسأق بقة أخبار السلطان والإمبراطور فيها على .

(١) عبارة السلوك هنا مشابهة لما فى أبى القداء (المختصر فى أحار البصر ، ص ١٠٢ ، فى (Rec. Hist. Or. 1) ، وهذا يرجح الظن بأن القرزى اقتبس هنا من أبى القداء ، مباشرة أو عن طريق غير مباشر .

(٢) فى س الأبرطوز ، وهذه قراءة غريبة للمظ (Imperator) أنلايى ، أو ما يرافده فى الفئات الأوربية الحديثة ، ولعل التثوية مقصود . أما الصينة المالية فى كتب المؤرخين المسلمين لهذا اللفظ فهى "الأنبور" ، وهى قريبة من متلوقة فى القرنية والإنجليزية .

(٣) مضبوط فى س ، بقم الماء ، وكسر الباء ، فقط . واسمه فى السنى (عقد الجمان ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٤١) غر الدين الطينا .

(٤) كذا فى س . واسمه فى السنى (هس الرجى والجزء والنسم والمصفحة) غر الدين القيوى .

— وكان أمير جانداره ؛ وقبض أيضا على عشرة^(١) أسراء من البحرية^(٢) العادلية ، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم ؛ واتفق في السكر ليسير إلى دمشق .

وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنوية وتحف غريبة إلى الملك الكامل ؛ و[كان فيها] عدة خيول ، منها فرس الملك ، بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر . فتلقاء الكامل بالإفامات ، من الإسكندرية إلى القاهرة ؛ وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه ، وأكرمه إكراما زائدا ، وأنزه في دار الوزير صفى الدين بن شكر ، واهتم الكامل بتجهيز هدية سنوية إلى ملك الفرنج : فيها من تحف الهند واليمن ، والوراق والشام ، ومصر والمج ، ما قيمته أضعاف ما سيره ؛ وفيها سرج من ذهب ، وفيها جوهر بعشرة آلاف دينار مصرية . وعين الكامل للسير بهذه الهدية جمال الدين^(٣) بن منقذ الشيزرى .

وفيها وصل رسول الأشكرى^(٤) في البحر إلى الملك الكامل . فزار المعظم من دمشق لتخريب القدس ، فخرّب قلاعاً وعدة صهاريج^(٥) بالقدس ، لما بلغه من حركة ملك الفرنج . وفيها جهز الملك الكامل كال الدين ومعين الدين ، ولدى شيخ الشيوخ ابن حويه — ومعهما الشريف شمس الدين الأرموى ، قاضى السكر — إلى المعظم . و[أمر السلطان الكامل] أن يسير الكمال بجواب المعظم إلى [الملك] المجاهد [أسد الدين شيركوه] بمحمص ، ويعرفه الحال ؛ و[أن] يتوجه للمعين إلى بشداد ، برسالة إلى الخليفة ، فتوجهها في شعبان . وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصارى . وفيها [خُتن الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل في تاسع شوال .

(١) في س عشر . (٢) ورود لفظ "البحرية" هنا يوجب الالتفات ، فالعروف أنه لم يطلق على أجداد السلاطين الأيوبيين إلا بعد أن أسس الملك الصالح أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧ هـ) جيشاً جديداً من المالك ، أسكنهم قلعة الروضة على بحر النيل ، " وسماهم بهذا الاسم " . (الفقهني : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٦٤ و Enc. Isl. Art. Bahri) (٣) انظر ص ١٢٥ هـ لحاشية ٤ . (٤) إمبراطور الدولة البيزنطية في نقيّة تلك السنة هو (John III Ducas Vatatzes) ١٢٢٢ — ١٢٥٤ م ، ١١٩ — ١٢٠٢ هـ . (Camb. Med. Hist. IV. pp.427-428) . انظر أيضاً ص ١٢٩ هـ ، حاشية ٢ . (٥) انظر مدى التخريب الذي أحدثه المعظم بالقدس في (Enc. Isl. Art. El-Kuds) .

وفيها مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل ، صاحب دمشق ، يوم الجمعة
سلخ ذى القعدة بدمشق ؛ ودفن بقلعتها ، ثم نقل إلى الصالحية . ومولده بدمشق ، في سنة
ثمان وسبعين وخمسة^(١) . وكان قد خافه الملك الكامل ، فسرّ بوته . وكان كريما شجاعا ،
أديبا ليئا ، فقيها متفاليا في التصب لمذهب أبي حنيفة — رحمه الله — ، وشارك في النعمو
وغيره . وقال له أبوه [سرة] : "كيف اخترت مذهب أبي حنيفة ، وأهلك كلهم شافعية ؟"
فقال : "يا خوند^(٢) ! أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم ؟" وصنف كتابا سماه
المسهم المصيب ، في الرد على الخطيب [البندادي] ، أبي بكر أحمد بن ثابت ، فيما تكلم به
في حق أبي حنيفة ، في تاريخ بغداد . وكان مقداما ، لا يفكر في عاقبة ، جبارا مطّرحا للملابس ،
وهو الذي أطعم الخوارزمي في البلاد . وكانت^(٣) مدة ملكه — بدأ به — ثمانى (٦١ ب)
سنتين وسبعة أشهر غير ثمانية أيام . فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود ، وعمره إحدى وعشرون^(٤)
سنة . وسير^(٥) [الناصر] كتبه إلى عمه الملك الكامل ، فجلس [الكامل] للعزاء ، وسير
إليه الأمير علاء الدين بن شجاع الدين جلدك المظفرى التقوى بالخلمة وسنجد السلطنة ، وكتب
معه بما طلب^(٦) قلبه . فلبس [الناصر] خلعة الكامل وركب بالسنبق . ثم أرسل إليه
الكامل يريد منه أن يترك له قلعة الشوبك ، ليحصلها خزانة له . فامتنع من ذلك ، وبهذا
وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل .

وفيها أسر الملك الكامل بتخريب مدينة تنيس ، فخربت أركانها الحصينة وعمازها
المكيّة ، ولم يكن بديار مصر أحسن منها ، واستمرت من حينئذ خرابا .

وفي شهر رجب من هذه السنة دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد
ابن أبي حفص ، وتلقب بالسلطان السعيد . فلم ينازعه أحد في مملكة إفريقيه ، وكان قد
ضعف أمر بني عبد المؤمن .

(١) البارة الآتية واردة بهامش الصفحة في س ، وهي بخط مخالف ، ونصها : " مات الملك المعظم
عيسى رحمه الله تعالى عليه " : (٢) أمط ترك أو طرسى ، وأمله خداوند بضم الماء ، ومثناه السيد
أو الأمير ، ومخاطب به الذكور والإناث على السواء . والموتدق اصطلاح عشائر لبنان من كان في الرتبة
دون الأمير ، وفوق الشيخ أو المقدم . (عيط المحيط ؟ و . (Dozy : Supp. Dict. Ar .
(٣) في س وكان . (٤) في س عشرين . (٥) في س فسير . (٦) في س طلب .

* * *

سنة خمس وعشرين وستمائة . فيها سار الملك الكامل شيخ^(١) الشيوخ ابن حويه بالغلع ، إلى ابن أخيه الناصر داود بن العظم ، بدمشق . فغل الرسول الفاشية بين يديه ، ثم حملها عمه^(٢) : [الملك] العزيز [عثمان صاحب بانياس] ، و [الملك] الصالح [عماد الدين إسماعيل ، صاحب بصرى^(٣)] . و [فيها] جزم [الملك الكامل] أيضا بالغلع للجهاد ، صاحب حمص .

وفيه استوحش الملك الكامل من ابن أخيه الناصر داود ، وعزم على قصده ، وأخذ دمشق منه . وعهد [الكامل] إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده [بدار مصر] ، وأركبه بشعار السلطنة ، — وشق [الصالح] القاهرة ، وحلت الفاشية بين يديه ، تداول حملها الأسراء بالنوبة — وأنزله بدار الوزارة ، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة . وفيها علم الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه — صاحب بلبك — وتعدى ، وأخذ أموال أهل بلبك وأولادهم . فقام عدة من جنده مع العزيز خن الدين عثمان بن العادل في تسليمه بلبك ، فسار [العزيز] إليها ونازلها . فقبض الأجد [على] أولئك الذين قاموا معه ، وقتل بعضهم ، واعتقل باقيهم . ثم إن الناصر داود ، صاحب دمشق ، بث إليه من رجليه عن بلبك قهرا ، فنضب وسار إلى الملك الكامل ، ملتجئا إليه . فسر به [الكامل] ، ووعده بانتراع بلبك من الأجد وتسليمها إليه .

وفيها علم الناصر داود أهل دمشق ، وأخذ أموالهم ، واشتغل بالهوى ، وأعرض عن مصالح الدولة . فشق ذلك على الكامل ، وجعله سببا يؤاخذ به ، وتجهز في شهر رجب للسير لمحاربه ، واستأنب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأقام معه الأمير خن الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، ليحصل الأموال ويدير أمور المملكة . وخرج [الكامل] من القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان — في عساكره التوافرة — ومعه المظفر تقي الدين محمود

(١) يتقدم القرطبي واحدا من أبناء شيخ الشيوخ صدر الدين بن حويه . (انظر ص ٢٢١ ، ملاحظة ١) .

(٢) في س إمامه . (٣) أخيف ما بين الأقواس من المعنى (عقد الجبل ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٥٨) .

ابن النصور ، وقد وعده أن يسلمه حماة ، [وكانت يد أخيه^(١) قلعج أرسلان] ؛ وللك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل ، وكان قد رباة عمه الملك الكامل بعد موت أبيه ، وأقطعه البحيرة من ديار (١٦٢) مصر .

فلما بلغ الناصر خروج عمه لم يمل إلى استعطافه ، والتجأ إلى عمه الأشرف . فسار الكامل بالسكر والعربان إلى تل العجول ، وبثت منها إلى نابلس والقدس وأعمالها . وسير [الكامل] الأمير حسام الدين أبا علي بن محمد أبي علي المذبذبانى - أحد أصحاب المظفر تقي [الدين] محمود - إلى القاهرة ، فاستخدمه الملك الصالح ، وجعله أستاذاره . فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس .

وبلغ ذلك الناصر ، خلف عسكره ، واستمد للحرب . وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى ، والأمير عز الدين أيوب من صرخد ، [وأحمله ملوك^(٢) أبيه المظفر] ، فقويت بهما نفسه . وسير [الناصر] يستدعى عمه الأشرف من البلاد الشرقية ، مع الأمير عماد الدين بن موسك ، وغفر القضاة نصر الله بن بصافة ؛ وأردفهما بالأشرف بن المقاضى التاضل . فأجاب [الأشرف] إلى معاوته ، واستناب في بلاده الملك الحافظ بن العادل ، وسار [إلى دمشق] . فلقاه [قلعج أرسلان] صاحب حماة ، من سلفية ، بأموال وخيول ؛ وتلقاه [أسد الدين شيركوه] ، صاحب حمص ، وأولاده . وقدم [الأشرف] إلى دمشق ، فلقاه الناصر في أخريات شهر رمضان ، وزين دمشق قدومه ؛ فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير ، وهو مشدود الوسط بمنديل^(٣) . وقد سر الناصر به سرورا كبيرا ، وحكمه في بلاده وأمواله . فأعجب^(٤) الأشرف بدمشق ، وعمل في الباطن على انتزاعها لنفسه من الناصر . ثم قدم [إلى خدمة الأشرف^(٥) بدمشق] المجاهد

(١) انظر ص ٢٠٥ ، سطر ٩ ، وما بعده .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٦) .

(٣) عبارة المقرئى هنا تشبه كثيراً ما يابلها في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٠٣ ، في (Rec. Hist. Or. I.) . (٤) في ص ١٠٣ .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٠٣ ، في (Rec. Hist. Or. I.) .

أسد الدين شيركوه بن محمد ، صاحب حمص . وسار العزیز بن للمادل إلى خدمة الملك الكامل ، وهو في الطريق ، فسر بقدمه ، وأعطاه شيئاً كثيراً .

وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين علي بن قلیج ، يشفع في الناصر ، وبطلب منه إبقاء دمشق عليه ، ويقول : " إنا كلنا في طاعتك ، ولم نخرج عن موافقتك " ؛ فأكرم الملك الكامل الرسول . ثم سار الأشرف — ومعه الناصر — من دمشق ، يريدان ملاقاته الملك الكامل والتراعى عليه ، ليصلح الأمر بينهما . فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه ، ورحل من نابلس يريد الموصل إلى القاهرة . فزل الأشرف والناصر بتابلس ، فأقام بها الناصر ، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل . فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل المجلول ، فقام إلى لقائه ، وقدم به إلى معسكره . ونزلا فكان الاتفاق بينهما على انزعاج دمشق من ابن أخيها الناصر داود ، وأن تكون الملك الأشرف وما معها إلى عقبة نيق ؛ ويكون للكامل (٦٢ ب) ما بين عقبة نيق وغزة من البلاد والحصون ، وهو الفتح الصلاحي بأسره ؛ ويكون للناصر — عوضاً من دمشق — حران والركة وسروج ورأس عين ، وهي ما كان مع الأشرف ؛ وأن تُنزع بعلبك من الأجد بهرام ، وتعطى لأخيها العزیز عثمان ؛ و [أن] تُنزع حماة من الملك الناصر قلیج أرسلان بن المنصور ، وتعطى للظفر تقي الدين محمود بن المنصور ؛ وأن تؤخذ من المظفر سالية ، وتضاف إلى المجاهد صاحب حمص . وفيها مات طاغية الملل والتتر جنكيزخان ^(١) ، بالقرب من صارو والیق ^(٢) ، وحمل ميتاً

(١) في س جنكس قان .

(٢) كذا في س بنير شط ، وليس في المراجع المتداولة في هذه المواضع ما يخبر بهي عن هذا البلد . على أنه ورد في (Enc. Isl. Art. Bālik) أن قنط بالی ترك قديم ، معناه بلد ، وأنه كثيراً ما يضاف إلى اسم أكثر ، مثل خان بالی وبشالی ، وهذا الثاني اسم بلد في التركستان الصيني ، ومعناه المدن الخمس (Pentapolis) ، انظر (Ibid. Art. Biebbālik) . راجع أيضاً القفطندي (سج الأعصى ، ج ٤ ، ص ٤٧٩ — ٤٨٠) ، إذ يقول إن خان بالی عاصمة الصين ، ولها بأقصى الشرق عند بلاد الخطا ، ولها عبارة عن مدينتين ، قديمة وجديدة ، والجديدة منها اسمها جلدو . ويقول القفطندي أيضاً (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٨١ ، ٤٨٤) إن يلاو الصين بلد اسمها جلق ، وأنه قاعدة بلاد الخطا . أما عن مكان وفاة جنكيزخان فلم يعرف أنه مات قرب بلدة (Tsin-tou) ، في أرض مملكة (Hsia) ، وهي مقاطعة (Kan-su) ، بالصين الحالية . بالصين الحالية (Lamb : Genghis Khan : pp. 192-194. & Enc. Isl. Art. Chugiz-Khan.)

إلى كرسى ملك الخطايا^(١). ورتب بدمه ابنه الأصغر عوضه خانا كبيرا^(٢)، على كرسى ملكة الخطايا؛ وأخذ إخوته الثلاثة بقية الأقاليم.

وفيهما خرج القنار إلى بلاد الإسلام، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين [خوارزم شاه]، كسرها غير مرة، ثم ظفر أخيرا بهم، وهزمهم. فلما خلا سره منهم سار^(٣) إلى خلاط — من بلاد الأشراف — فنهب وسبي الحرير، واسترق الأولاد، وقتل الرجال، وغرب القرى، وقتل ما لا يفعله أهل الكفر. ثم عاد إلى بلاده، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك، ورحل أهل سروج إلى منبج. وكان [قد] هزم على قصد بلاد الشام، لكن صرفه الله عنها.

وفيهما قدم الإمبراطور^(٤) ملك الفرنج إلى عكا، باستدعاء الملك الكامل له، كما تقدم، ليشغل سر أخيه المغظم، فاتفق موت المغظم. ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بث رسوله إلى الملك الكامل، وأمره أن يقول له: "الملك يقول لك كان الجيد والصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء، ولا أجي^(٥) إليهم. والآن قد كنتم بذلتهم لثاني — في زمن حصار دمياط — الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما قبلنا. وقد فضل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادتها إليكم. ومن ثاني؟ [إن] هو إلا أقل غلغلي، فلا أقل من إعطائي ما كنتم

(١) يغير ضبط في س، والخطا اسم يطلق على بلاد متاخمة للصين، يسكنها جنس من الترك. (القاتلندي: صبيح الأعشى، ج ٤، ص ٤٨٣). ويطبق اسم الخطا أيضاً على بلاد الصين حبيها في القرون الوسطى. (Enc. Isl. Art. Khitai). وقد دُفن جنكيزخان بالتركتان الصيني، في بلدة برخان خلدون (Burkhan-Khaladun)، عند منابع نهرى (Onon & Kerulen)، وهي وطنه الأسلي. (Enc. Isl. Art. Gengiz-Khan; Lamb: Op. cit. pp. 243-244.)

(٢) في س فان كبير. وقد ترك جنكيزخان إمبراطورية متباعدة الأطراف، تمتد من بحر قزوين إلى شواطئ الصين. وقسمها في حياته بين ثلاثة من أولاده، ومم نولى وجوش وشغلاى. أما راجهم — وهو أسنرم، واسمه أوغلاى، — فقد آلت إليه أملاك آية الأملية، وذلك حسب العرف المولى، وكانت عبارة عن بلاد التركتان الصيني، التي ورثها جنكيزخان عن آية يوجان. (Enc. Isl. Art. Gengiz Khan)

(٣) في س وسار. (٤) في س الانبرطور.

(٥) في س اخي.

بذلتموه له". ضمير الملك الكامل، ولم يمكنه دفعه ولا محاربته، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق؛ فراسله ولاطفه، وسفر بينهما الأمير عز الدين بن الشيخ. وشرع التفرج في حارة صيدا - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج، وسورها خراب - فمروها وأزالوا من فيها من المسلمين. وخرجت السنة والكامل على تل المعول، وملك التفرج بسكا، والرسل تترود بينهما.



سنة ست وعشرين وستمائة. فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق، ووصلت نجدة من حلب إلى النّور. و[فيها] قفز[الأمير عز الدين^(١)] أيدس المظلي إلى الملك الكامل عليه، وعاد إلى دمشق. فبلغ الأشرف وهو بتل المعول ذلك، فسار ليدركه، فوافاه بقصير ابن معين الدين من النور، تحت عقبة فيق. وأعلمه [الأشرف] - بحضور الملك الصالح إسماعيل، والملك المنيث، والأمير عز الدين أبيك المظلي - أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما، وأنه اجتهد وحسن "على أن يرجع عنك فامتنع، وأبى إلا أن يأخذ دمشق. وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم، وصاحب الديار المصرية، ولا يمكن الخرج عما بأسره به. وقد وقع الاتفاق على أن نسل إليه دمشق، ونمّوض عنها من الشرق كذا"؛ وذكر ما وقع الاتفاق عليه.

فلما فرغ [الأشرف] من كلامه قام الأمير [عز الدين] أبيك، [وهو أكبر أمير^(٢) مع الناصر دلاو]، وقال: "لا كيد ولا كرامة، ولا نسل من البلاد حبرا واحدا؛ ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم، ومنا السأكر المتوافرة". وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا، وقوّضت الخيام، وسارا^(٣) إلى دمشق؛ وتختلف عن الناصر عنه الصالح، وابن عمه المنيث.

(١) انظر ص ٢٣٣، ص ٤. (٢) أخيف ما بين الفوسين بعد مهاجرة ابن الأمير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٦). وعز الدين أبيك هو أول سلاطين المماليك البحرية بمصر، بعد شجر الدر. (أبو شامة: كتاب الروضتين، ص ٧٠٠، ق. Rec. Hist. Or. V.).

(٣) في س ساروا.

ولما وصل الناصر إلى دمشق استمد الحصار ، وقام معه أهل البلد ، لحيتهم في أبيه . وسار
الأشرف بمن معه ، وحاصر دمشق ، وقطع عنها أنهارها^(١) — باناس^(٢) ، والتقنات^(٣) ،
[وبريد^(٤) وثورا] — فخرج إليه السكر وأهل البلد وحاربوه .

وفي أثناء ذلك كثر تردد الأمير غر الدين بن شيوخ الشيوخ ، والشریف شمس الدين
الأرموي قاضي السكر ، بين الملك الكامل وبين الإمبراطور^(٥) فردريك ملك الفرنج ، إلى
أن وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين ، ويقيها على ما هي من الخراب ،
ولا يعمد سورها ؛ وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين ، لا يحكم فيها للفرنج ؛ وأن الحرم
— بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى — يكون بأيدي المسلمين ، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة
فقط ، ويتولاه قوام من المسلمين ، ويقومون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة ؛ وأن
تكون القرى التي فيها بين عكا وبين يافا ، وبين لدة وبين القدس ، بأيدي الفرنج ، دون
ما عداها من قرى القدس . وذلك أن الكامل تورط مع ملك الفرنج ، وخاف من غائكه ،
عجزا عن مقاومته . فأرضاه بذلك ، وصار يقول : ” إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدب
خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الإسلام قائم ، ووالى المسلمين متحكم في الأعمال
والضياع “ . فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما ، مدة عشر سنين وخمسة أشهر
وأربعين يوما ، أولها ثامن (٦٣ ب) عشرى شهر ربيع الأول من هذه السنة . واعتذر ملك
الفرنج للأمير غر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه ، ما كلف السلطان شيئا من ذلك ،
ما له غرض في القدس ولا غيره ، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج

(١) في س نهر (انظر حاشية ٣) . (٢) نهر من نهيرات دمشق ، وهو ثالث فروع
نهر بردى السبعة (انظر حاشية ٣) ، ويخرج منه عند بلدة دمر ، وعلى منتهى إقليم باناس . (ياقوت :
معجم البلدان ، ١٦ ، س ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٥٥٦) . ويسمى هذا النهر أيضا نهر باناس . (Le Strange :
Palest. Under Moslems. p. 266) .

(٣) رابع فروع بردى ، ويسمى أيضا نهر القناتة . أما فروع بردى الأخرى ، فهي نهر يزيد ،
ونهر ثورا ، ونهر مزه — أو المزه — ، ونهر بردى ، وهو الساج . (Le Strange : Op. cit. pp. 265-267) .

(٤) أنضيف ما بين القوسين بدرجة أبي شامة (كتاب الروضتين ، س ١٨٦ ، في ٧٠ . Rec. Hist. Or.) .

(٥) في س الأبرطوز .

وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر ؛ وبث السلطان فنودى بالقدس بخروج المسلمين منه ، وتسليمه إلى الفرنج . فاشتد البكاء ، وعظم الصراخ والمويل ؛ وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل ، وأدّوا على بابه في غير وقت الأذان . فزّ عليه ذلك ، وأمر بأخذ ما كان معهم من الشُّتور والقناديل الفضة والآلات ، وزجرهم . وقيل لم : ” أمضوا إلى حيث شئتم “ . فغظ على أهل الإسلام هذا البلاء ، واشتد الإنكار على الملك الكامل ، وكثرت الشناعات عليه في سائر الأمطار .

وبث الإمبراطور^(١) بعد ذلك يطلب تبنيين وأعمالها ، فسلمها الكامل له . فبث يستأذن في دخول القدس ، فأجابه الكامل إلى ما طلبه ، وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته ، فسار معه إلى المسجد للقدس ، وطاف معه ما فيه من المزارات^(٢) . وأجيب [الإمبراطور] بالمسجد الأقصى وبقية الصخرة ؛ وصعد درج النبر ، فرأى قيسا بيده الإنجيل ، وقد قصد دخول المسجد الأقصى ، فزجره وأنكر مجيئه ، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه ، ” فإنما نحن عمالك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده ، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس ، على سبيل الإنعام منه ، فلا يتمدى أحد منكم طوره “ ، فأنصرف القس وهو يرعد خوفاً منه . ثم نزل الملك في دار ، وأمر [شمس الدين] قاضي نابلس المؤذنين ألا يؤذّوا تلك الليلة ، فلم يؤذّوا البتة . فلما أصبح قال الملك للقاضي : ” لم لم يؤذّ المؤذنون على المنائر ؟ “ فقال له [القاضي] : ” منهم المملوك إعظاما لذلك ، واحتراما له “ . فقال له [الإمبراطور] : ” أخطأت فيما فعلت ، والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين ونسيحهم في^(٣) الليل “ .

(١) في س الانبراطور .

(٢) يقول (Blochet : Op. cit. P. 373. N. I.) إن المقرئى قل تاسيل زيارة الإمبراطور لبيت القدس من كتاب مفرج الكرب في أخبار بني أيوب لابن واصل ، وإن هذا الأخير كتب تلك الأخبار من حديث له مع القاضي شمس الدين ، الذى وافق الإمبراطور .

(٣) قل البقي (عقد الجمان ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٨٧ — ٨٤) من كتاب مرآة الزمان ، لسيبط الجوزى ، أخباراً طريقة عن زيارة الإمبراطور فردريك لبيت القدس ، وهي على طرائقها مهمة =

ثم رحل [الإمبراطور] إلى عكا . وكان هذا الملك عالما متبحرا في علم الهندسة والحساب والرياضيات^(١) ، وبث إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشككة في الهندسة والحكمة والرياضة ، فعرضها على الشيخ علم الدين قيسر الحنفى - المعروف بتماسيف - وغيره ، فكتب جوابها . وعاد الإمبراطور^(٢) من عكا إلى بلاده في البحر ، آخر جمادى الآخرة . وسير الكامل جمال الدين الكاتب الأشرفى إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة ، في (١٦٤) تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرم من ارتعاجهم لأخذ القرع القدس .

وفي خامس جمادى الأولى - وهو يوم الأحد - وقمت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل ؛ وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل ، في سادس عشره ، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة وحمل من داره - في ثالث جمادى الآخرة - خشب خزائن الكتب مفصلة ، [وحملها] تسعة وأربعون مجلا^(٣) . و [كانت] الجبال التي حملت الكتب تسعة وخمسون مجلا ، ثلاث دصات^(٤) .

== (أيضا ، لاختلاف الرواية بخصوص ما حدث من المؤذنين بالقدس . ونصها : - " وفي المرة : وجرى للأنبروز كذا) عجيب ، منها أنه لما دخل [قبة] الصخرة رأى قيسا فاعدا عند القدم ، يأخذ من القرع (٨٣) قراميس . فجاء إليه [الأنبروز] ، كأنه يطلب منه الدعاء ، فلكه فرماه إلى الأرض ، وقال ياختر ! السلطان تصدق علينا بزيارة هذا المكان ، [وأنتم] تفضلون فيه هذه الأنعام ! ثم عاد [و] دخل واحد مسك على هذا الوجه لأفنته . قال البسط : وحكى لي صورة الحال فقام الصخرة ؟ [قال] ، ونظر [الأنبروز] إلى الكتابة التي في القبة ، وهي : " مله هذا البيت القدس صلاح الدين من الشركين " ، فقال ومن هم الشركون ؟ وقال [الأنبروز] فقام : هذه الشاة التي على أبواب الصخرة من أجل أبي ؟ قالوا فلا يدخلها العصاير ، فقال قد أتى الله إليكم بالنازير . قالوا ولما دخل وقت الظهر ، وأدب المؤذنون . فلم يجمع من كان معه من الفرائشين والعلبان ، ومعه وكان من صفلية يقرأ عليه اللطى ، فصاوا وكانوا مسلين . قالوا وكان الأنبروز أشرف أعمط ، في عينيه سيب . لو كان عبدا ما يباوى ماتى درهم . قالوا والطاهر من كلامه أنه كان دهرما ، وإعنا كان يتلاعب بالنصرانية . قالوا وكان الكامل قد تقدم إلى القاضي شمس الدين ، فاضى ناليس ، أن يأمر المؤذنين مادام الأنبروز في القدس [أن] لا يصعدوا المئذنة ، ولا يؤذنوا في الحرم . فأضى القاضي أن يعلم المؤذنين ، فقصم عبد الكريم المؤذن في تلك الليلة وقت السحر ، والأنبروز نازل في دار القاضي ، فحبل يقرأ الآيات التي تخص بالنصارى ، مثل قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد) ، (ذلك عيسى بن مريم) ، ونحو هذا . فلما طلع الفجر ، استدعى القاضي عبد الكريم ، وقال له إيش عملت ؟ السلطان رسم بكنا وكدا ، قال فاعرضي التوبة . فلما كانت الليلة الثانية ، ما صعد عبد الكريم المأذنة . فلما طلع الفجر استدعى الأنبروز القاضي ، وكان قد دخل القدس في حسنة ، وهو الذي سلم إليه القدس . فقال له يا قاضي ! أين ذاك الرجل الذي طلع بارحة أسس للمئذنة ، وذكر ذلك السلام ؟ فصره أن السلطان أوصاه . فقال الأنبروز أحطأتم يا قاضي ! تهيرون أتم شعارك وشروعكم ودينكم لأجل ؟ فلو كنتم عندي في بلاى ، هل كنتم أجبل شرب النافوس لأجلكم ؟ إله الله لاضلوا . هذا أول ما تقصون عندي . (١) في س الرياضى . (٢) في س الأنبروز . (٣) في س ثلاث دصات .

وفي يوم السبت ثاني عشرى رجب منها ، حُلت الكتب والخزائن^(١) من القلعة إلى دار القاضل ؛ وقيل إن عتبتها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب ، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك^(٢) والنصون ، لأبي الملاء المترجم ، في ستين مجلدا .
وفيهما وصل ملك مَلطِيَّة^(٣) ، فكثرت غاراته وقتله وسببه^(٤) . وفيها اشتد تشجيع الملك الناصر [دلود] بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج . ففترت قلوب الرعية ، وجلس الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزي بجامع دمشق ، وذكر فضائل بيت المقدس ، وحزّن الناس على استيلاء الفرنج عليه ، وبشّع القول في هذا القتل . فاجتمع في ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس ، وعلت أصواتهم بالصراخ ، واشتد بكاءهم ، وأبدا . لحافظ شمس الدين قصيدة ، أبياتها ثلثائة بيت ، منها :

على قبة للمراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلّت من تلاوة ونزل وحى مقفر العرصات^(٥)
فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم .

وكان الأشرف على متازلة دمشق ، فيمت إلى الكامل يستعته . فرحل [الكامل] من تل المجول بعد طول مقامه بها ، فتلقاه في قرية^(٦) يُقْبَنَّا [أخوه^(٧)] المرزعيغان ، صاحب باناس

(١) في س " حلت الكتب من القلعة إلى دار القاضل والخزائن " . (٢) يقول ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٩) في ترجمة أبي الملاء ، عن ذلك الكتاب ، مانعه : " وبلنى أن له كتابا سماه الأيك والنصون ، وهو للعروف بالهجرة والردف ، يقارب مائة جزء ، و [هو] في الأدب أيضا . وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة ، من كتب الهجرة والردف ، وقال لا أعلم ما كان يوزنه بعد هذا المجلد ... " .

(٣) ملك ملطية في تلك السنة هو علاء الدين أبو الفتح كيقباد بن غياث الدين كيشيرو ، ٦٦٦ — ٦٣٤ هـ . (Enc. Isl. Arts. Kaikobad & Malatya) . وملطية مدينة قديمة ، شمالي أعالي القراة ، وينتقلها العامة بكسر الطاء وتشديد الياء ، وهي يغير ضبط في س . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٣٣ — ٦٣٤) .

(٤) هذه العبارة ، من أول السطر هنا ، غير مترجمة في (Blochet : Op. cit p. 877) ، على أنها واردة في ب (٧٦٦) . (٥) أخذ السبط هذا البيت الثاني من قصيدة لفضل الخراساني . (أبو الفداء : المختصر في أخبار البصر ، ص ١٠٤ ، في ١٠٤) . (Rec. Hist. Or. I) . ويلاحظ أن (Blochet : Op. cit. p. 378) ترجم هذين البيتين ، وهنا على غير عادته ، فإنه يمحذف الشعر في ترجمته .

(٦) مشبوبة في س ينتج التوّن ، وهي بلدة قرب الرملة ، وبها قبر أحد الصحابة ، يضمهم يقول هو قبر أبي هريرة ، ويضمهم يقول قبر عبد الله بن أبي سرح . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٧) . (٧) انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البصر ، ص ٨٦ ، في ٨٦) . (Rec. Hist. Or. I) .

بابنه الظاهر غازى . فوصل [الكامل] العزيز بخمسين ألف دينار ، وابنه غازى بعشرة آلاف دينار ، وقاش نفيس وخلع سنية . وأمر [الكامل] فضربت^(١) له خيمة عظيمة ، وحولها بيوتات ، وسائر ما يحتاج إليه من الآلات والخيام ، برسم أصحابه ومواليكه . ثم وصل إليه أيضا الأمير عز الدين أيدمر المظفر ، فدفع إليه [الكامل] عشرة آلاف دينار—وقيل عشرين ألف دينار — وكتب له على الأعمال القوصية بعشرين ألف أردب غلة ، وأعطاه أملاك الصاحب صفى الدين بن شكر ، ورباعه وحمامه .

وسار [الكامل] إلى دمشق ، فنزل على ظاهرها في جمادى الأولى ، وجدّه هو والأشرف في حصارها ، حتى اشتد عطش الناس في دمشق ، لقطع الأنهار عنهم ؛ ومع ذلك فالجرب بينهم قائمة في كل يوم إلى آخر رجب . ففلت الأسعار ، وتقدت أموال الناصر ، وفارقه جماعة من أصحابه ، وصاروا إلى الكامل والأشرف . فأخذ الناصر في ضرب أوانيه من الذهب والنفضة دنانير ودرام ، وفرّقها حتى نفذ أكثر ما كان عنده من ذخائر . ونامحته العامة مناصحة كبيرة ، وأبلى في عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيما .

[وفى أثناء ذلك] قدم^(٢) القاضي بهاء الدين بن شداد ، ومعه أكابر حلب وعدولها ، من عند الملك العزيز [محمد بن الظاهر غازى بن صلاح^(٣) الدين] ، صاحب حلب ، لتزويج ابنة الملك الكامل بالملك العزيز . فخرج الملك الكامل من (٦٤ ب) بخيمه بمسجد القدم إلى لقائه ، وأنزله قريبا منه . ثم أحضره ، فقدم مقدمة كانت معه من الملك العزيز . وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ^(٤) ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار ، فقبل العقد ابن شداد في سادس عشر شهر رجب .

فضمف قلب الملك الناصر [دارد] ، وقلت أمواله ؛ فخرج ليلا من قلعة دمشق في آخر شهر رجب ، ، ومعه نفر يسير ، وألقى نفسه على باب مخيم الكامل . فخرج إليه [الكامل] ،

(١) في نسخة . (٢) في نسخة . (٣) أخيف مابين القوسين بعد مهاجرة (Enc. Isl. Art. Halab) . وقد تولى العزيز حلب سنة ٦١٥ هـ ، وهو ابن بنت الملك العادل ، وغاله الملك الكامل . (٤) في نسخة " وعقد العقد على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ للملك العزيز " .

وأكرمه إكراما زائدا ، وبأسطه وطيب قلبه ، بعد عتب كثير ، وأمره أن يعود إلى القلعة ، فعاد إليها . ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى القلعة — وكان يوم جمعة — فوصل بها الجمعة ؛ وخرج ومعه الناصر داود إلى الملك الكامل ، ففتحانها . وعوضه [الكامل] عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالها ، مع الصلات والبقاء والأغوار جميعا ، ونابلس وأعمال القدس وبيت جبريل . ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها ، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام ، وطبرية وغزة ، وصفلان والرملة ولد ، وما بأيدي المسلمين من الساحل .

وفُتحت أبواب دمشق في أول يوم من شعبان ، فشق ذلك على أهل دمشق ، وتأسفوا على مفارقة الناصر ، وكثر بكاءؤم . ثم تسلمها الملك الأشرف . وبعث الكامل قعاده لتسلم بلاد الأشرف ، وهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، والعماد شمس الدين صواب ، وجماعة . فقتلوا حران والرها وسروج ، ورأس عين والركة ، وغير ذلك .

وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك . وسار الكامل إلى حماة ، [وسها الناصر صلاح الدين فلقح أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب] وقدم [مع الكامل] المنظر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن [تقي الدين ^(١)] عمر بن شاهنشاه بن أيوب في جماعة ،

(١) أضيف ما بين الأقواس بعد مهاجمة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٩٧ — ٣١٨) . وسبب تدخل الكامل بين الأخوين ، حسبما جاء في هس الرجح والجزء والصفحة ، أن أيما المنصور محمد صاحب حماة ، كان قد حلف أكابر دولته ، قبل وفاته سنة ٦١٧ هـ ، على تولية ابنه الأكبر المنظر تقي الدين من بعده . فلما توفى المنصور كان المنظر عند حاله الملك الكامل ، يماونه في مقاتلة الصليبيين على قسباط (انظر ص ٢٠٩ ، سطر ٣ — ٦ ، ص ٢٠٥ ، سطر ٩ — ١٣) . وكان أخوه الناصر صلاح الدين فلقح أرسلان ، عند حاله الملك المعظم ، صاحب دمشق . فانهز فلقح أرسلان فرسة غياب أخيه ، وزحف إلى حماة ، واستولى عليها وعلى قلعتها . ثم حاول المنظر أن يأخذها منه ، فلم يفلح ، فرجع إلى الكامل ، وأقام في خدمته . (انظر ص ٣٥٠ ، سطر ١٣ — ١٧) . فلما سار الكامل لمحاربة الناصر داود ، كان المنظر تقي الدين معه ، وقد وعده الكامل أن يسلمه حماة . (انظر ص ٢٢٦ ، سطر ١) . فلما انتهى الملك الكامل من أمر الناصر ، سار إلى أرسلان جيئاً ، لحاصر حماة عدة أيام . ثم قرر فلقح تسليمها ، فنزل من القلعة ، وزحف إلى الكامل ، وهو في طريقه إلى حران والبلاد الشرقية ، فاعتقه حتى سلمت حماة وقلعتها إلى المنظر تقي الدين . (راجع أيضا أبا القداء : المختصر في أخبار البير ، ص ٩٥ ، في (Rec. Hist. Or. I.) .

فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلج أرسلان ، وسبق إلى الملك الكامل وهو بسليمة ، فأهانه واعتقله . وتسلم المظفر حماة ، فكانت مدة الناصر بحماة تسع [سنين] تنقص شهرين . وبث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر ، فاعتقل بها .

ثم سار الملك الكامل يريد البلاد الشرقية ، فقطع الفرات ، ودخل قلعة جعبر . ثم توجه إلى الرقة ، وخافه ملوك الشرق ، فمئد بالركة عيد الفطر . وسار إلى حران والرها ، واستخدم بها عسكريا [هذته] نحو أنفى فارس . تقدمت عليه رسل ماردین وآمد ، والموصل وإربل ؛ و [حضر إليه أيضا] عدة ملوك . وبث [الكامل] أخرايين بن (١٦٥) شيخ الشيوخ إلى الخليفة ؛ وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلج أرسلان من اعتقاله ، وخلع عليه ، وأعطاه باريين ^(١) ، وكتب له بها توقيعا ، وأمر أن يُحمل إليه ما كان في قلعة حماة — وهو أربعمائة ألف درهم — وكتب إلى المظفر تقي الدين بتسليم ذلك إليه . فوصل [الناصر] ^(٢) إلى باريين [وتسلمها] .

ثم ورد ^(٣) الخبر على الكامل بأن [جلال الدين] خوارزم ^(٤) شاه نازل خلاط ، ونصب عليها عشرين متجنقا ، [وكان وصوله إليها] في نصف شوال . و كانت خلاط للملك الأشرف ، وبها عسكره ، فأرسلوا إلى الملك الكامل ^(٥) [يسألون في نجدة] ، فلم يرسل الكامل إليهم أحدا . وورد الخبر بإقامة الخطبة في ماردین للملك الكامل ، وضربت السكة باسمه [هناك] . ثم تواتر الرسل من خلاط ، وكلما تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد [. فبعث الكامل يطلب عساكر حلب وحماة حمص ، فخرجت عساكر حلب] إلى خلاط ، ومعهما الأشرف ^(٦) . ثم ورد ^(٧) الخبر بأن الفرنج قد أغارت على باريين ، وأنهم نهبوا ما بها ، وأسروا وسبوا ^(٨)] .

(١) في س. خرين . انظر ص ٦٠ ، حاشية ٣ . (٢) في س. فوسل إليها وتسلمها . راجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ج ١٢ ، ص ٣١٨ . (٣) في س. فورد . (٤) في س. الجوارزي . (٥) أضيف ما بين القوسين من نص المرجع والجزء (ص ٣١٨ — ٣٢٠) . (٦) أضيف ما بين القوسين من نص المرجع والجزء (ص ٣٢٠) . (٧) في س. فورد . (٨) أضيف ما بين القوسين من نص المرجع والجزء (ص ٣١٩) .

وفيها مات الملك السعدي يوسف بن الملك الكامل بمكة ، عن ست وعشرين سنة ، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة ، [وهو آخر ملوك بني أيوب ببلاد^(١) اليمن] . وترك [السعدي] ابنا يقال له صلاح الدين يوسف ، ولقب بالملك السعدي ، كلقب أبيه . [وبقى يوسف هذا حتى^(٢) مات في سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاحب مصر] . ثم ولي^(٣) ابنه موسى بن يوسف بن يوسف [بن الكامل] مملكة مصر ، ولقب بالأشرف ، شركة مع للمز أيبيك ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

فاستدّ حزن الملك الكامل على^(٤) [ولده يوسف] ، ونسلم ممالكه وخزائنه وأولاده ، وليس لشدة حزنه البياض . وكان السعدي قد استخلف على اليمن نور الدين علي بن رسول التركاني^(٥) ، فغلب عليها ، وبث إلى الملك الكامل عدة هدايا ، وقال :^(٦) "أنا نائب السلطان على البلاد"^(٧) ، فاستمر ملك اليمن في عقبه بعد ذلك .

سنة سبع وعشرين وستمائة . أملت والملك الكامل بمران ، وانغورازمي على خلطاء ، والأشرف محاصر بعلبك . وفيها قدم الأمير غر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد . و [فيها] ورد رسول الإمبراطور^(١) ، ملك الفرنج ، بكتابه إلى الملك الكامل بمران ، ومعه أيضا كتاب للأمير غر الدين بن شيخ الشيوخ . وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة . وفيها استولى الأشرف بن العادل على بعلبك ، بعد ما أقام على حصارها عشرة أشهر . وغوَّض الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه^(٢) بن نجم الدين أيوب بن شادي ،

(١) كره الملك السعدي التمام باليمن ، لما أصابه من الرس بها ، وكان قد تولاه منذ سنة ١١٢٢ هـ ، أي في عهد جدّه العادل . (انظر ص ١٨٩ ، سطر ٩ — ١٤) . ثم استدعاه أبوه الملك الكامل إليه ، سنة ٦٢٦ هـ ، ليولي دمشق ، وذلك بعد وفاة الملك المظفر عيسى . فصار السعدي عن اليمن فاصدا التمام ، فترك بمكة ، وهو آخر ملوك اليمن من الأيوبيين . (المخرجي . العقود الوثائقية ، ج ١ ، ص ٣٠ — ٤٤ ، والفتاوى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٠) .

(٢) أخيف ما بين القوسين من البيهقي (عقد الجمان ، ج ١٨ ، قسم ١ ، ص ٩٧ — ٩٨) .

(٣) في س فولي . (٤) في س عليه .

(٥) المبارة الآتية واردة بهلمش الصفحة ، بخط غالف ، ونصها : " أول مدة استيلاء اولاد رسول على مملكة بلاد اليمن " . (٦) في س الايمرطوز .

(٧) في س شاهان شاه .

موضامن بعلبك وأعمالها ، فَصَيَّرَ^(١) دمشق والزبداني^(٢) ؛ فكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة . فبعت الكاملُ الأميرُ فخر الدين عثمان الأستادار إلى الأشرف ، في مهمات تتعلق به ؛ وولى كمال الدين بن شيخ الشيوخ نائباً بالجزيرة

و [فيها قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السليجوق ، (٦٥ ب) صاحب الروم ، على الملك الكامل] ؛ وأخبره [بأنه جهز خمسة وعشرين ألفاً إلى أَرْزُنجَان^(٣) ، وعشرة آلاف إلى ملطية ، ” وأنا حيث تأمر “ . فطلب قلب السلطان [الكامل] بذلك ، وكان مهتماً من أمر الخوارزمي .

وفيها حار الأشرف ، صاحب دمشق ، من الشام إلى جهة الشرق ، فوصل إلى الكامل وهو بالركة ؛ ووصل أيضاً مانع بن حديثة أمير العرب . وفيها ملك الخوارزمي مدينة خلط ، بعد حصار طويل ، وقتال شديد ، في ثامن عشرى جمادى الأولى ؛ فوضع السيف في الناس ، وأسرف في القتل والنهب . فرحل الملك الكامل يريد مصر ، لأمر منها أنه بلغه موت ولده [الملك] المسعود [صاحب البين] ، فكنته . و [كان قد] ورد عليه [أيضاً] ، من أم ولده العادل ، كتاب تشكو فيه من [ابنه] الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأنه قد عزم على التوثب على الملك ، واشترى جماعة كبيرة من الممالك الأتراك ؛ وأنه أخذ مالا جزيلا من التجار ، وأتلف جملة من مال بيت المال ؛ ” ومتى لم تتدارك البلاد ، وإلا غلب عليها ، وأخرجني أنا وابنتك الملك العادل منها “ . فأنزعج [الكامل] لذلك ، وغضب غضبا شديدا ثم ورد عليه الخبر بأن ابنه الصالح اشترى ألف مملوك ، [فعزم على الرحيل إلى مصر] . فرتب الطواشي

(١) سحر ضبط في س ، وهي ضيعة بشار دمشق ، على الطريق بينها وبين حمص ، وبها خان يعرف بالقصير ، فبأنه عمرى ماء . ومخترق الطريق من القصير إلى دمشق سلسة من البساتين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٣ ؛ و Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 489) .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي كورة بين دمشق وبعلبك ، ومنها يخرج نهر بردى ، وتطلق أحيانا زبدان ، وبها بلدة اسمها الزبداني أيضاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩١٣ ؛ و Le Strange) Op. cit. P. 568 .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي من بلاد أرمينية ، بين خلط وأرزن الروم ، وأهلها يولون أرزن وكان بالسكاف . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥٥) .

شمس الدين صواب المادى نائباً في أعمال المشرق ، وأعطاه [أمير] مائة فارس ، زيادة على ما يده من الهيار المصرية ، وهي أعمال أخميم بكها ، وقاى والقائات ودجوة^(١) ، بإمرة مائتين وخمسين فارساً ، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارساً . ورتب [الملك الكامل] كمال الدين ابن شيخ الشيوخ وزيراً .

(١) تقدم ذكر رتبة أمير مائة عرشاً (انظر ص ٧٥ ، سطر ٣) ، وأرجى السلام عنها إل هنا . وهي مرتبة حرية ، عامة بأرباب السيف ، وتقرن عادة بلب مقدم ألف ، يقال أمير مائة مقدم ألف . والمقصود بتلك النسبة للركبة وظيفة واحدة ، يكون في خدمة حاكمها مائة مملوك (فارس ؟) ، وهو في نفس الوقت مقدم في الحروب على ألف جندي من أجناد الحلقة . وكان أصحاب هذه المرتبة أعلى مراتب الأسماء ، من عهد السلاجقة بالشرق إلى عهد المماليك بمصر . وربما زاد الواحد منهم العشرة أو المئتين مملوكاً ، أو أكثر من ذلك ، فيكون أمير ثلاثمائة ، كما ورد هنا (انظر سطر ٣) ، والظاهر أن هذا كان عربياً نادراً . وكان بيد هؤلاء الأسماء ، أيام المماليك بمصر ، جميع المناصب العليا ، فكان منهم نائب السلطنة ، ونائب القبة ، ونائب الوجه البحري ، والحوادير الكبير ، والاستدار ، ونائب دمشق ، ونائب حلب ، وما يساوي ذلك من الوظائف الكبرى .

وبل هؤلاء الأسماء من يحمل رتبة أمير أربعين ، ويسمون أسماهم بلطغانه ، لأحقيتهم في دق الطبول على أبوابهم ، كما يفعل السلطان وأسماهم الثالث ، ولكن على صورة مصغرة . وطهر أنهم كانوا يسمون بأسماهم البلطغانه تمييزاً لهم عن من أقل منهم في الرتبة ، وليس لهم بلطغانه . وقد تزيد رتبة أمير أربعين إلى إسمائة سبعين أو ثمانين ، أى أن يكون في خدمته ما يساوي أحد مئتين المدين . ومن الوظائف التي جرى إستانداها إليهم وظيفة الحوادير الثاني ، ووالى القاهرة ، ووالى القلعة ، ونائب الإسكندرية ، ونائب طرابلس وحاجه بالشام .

ويأتى بعد هؤلاء أسماهم المصغرات ، ومن هذه الطبقة منار الولاية ونجوم ، مثل والى القسطنطين ، وشاد البواوين ، ووالى القرافة .

ثم تأتي أسماهم الخسرات ، وهؤلاء كانوا قليلين ، وأكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين ، تعطى الواحد منهم هذا الرتبة رعاية لطفه ، وكان يستبرون من أكابر الأجناد . الفلفندى : مسج الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٤ — ٢٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٣ — ٦٧ ؟ ابن شاميه : زبدة كشف الممالك ، ص ١١١ —

١٢٠ ؟ القرزى : للمواظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٢١٥ — ٢٢٠ . انظر أيضاً : (O. Demombynes (Op. cit. Pref. pp. XXXIII et seq. ; P. 139) . أما من أصل هذا التقسيم المصري ، فالظاهر أن السلاجقة والأيوبيين ، والمماليك من بعدهم ، تقلدوا بتسليم من أوطانهم الأول : فن (Morier : Hajji (p. 31) Baba of Ispahan ، أن قبيلة من التركمان ببغايا فارس كانت تستمد لخنزو ، فدعى رئيسها أصحاب المصغرات وأصحاب الثالث .

وما يجب ملاحظته أن هذا التقسيم المصري المذكور في (Morier : Op. cit. pp. 187, 206) في وصف بعض رتب الجيش الفارسي في القرن التاسع عشر ، مثل (Min Gashi) ومنامقد هالب ، و (On Bashi) ، أى مقدم عشرة ، و (Penja Bashi) ، أى رئيس خمسين . وهذا التقسيم موجود أيضاً في الجيش العثماني والجيش المصري الحالي . (٢) تقدم التصريف بقاى والقائات . انظر ص ٨٢ ، حاشية ١ ص ٩١ ، حاشية ٣ . أما دجوة — بنير ضبط في س — فقل الشاطىء الشرقي لفرع دسباط ، جنوبي بها الحالية ، أى أنها من مديرية القليوبية . انظر (P. Omar Tonnson : Op. cit. I. 1. Pl. II. a) . وكانت دجوة في زمن ياقوت (صحيح البلدان ، ج ٥ ص ٥٥٠) من أعمال كورة الشرقية ، وذلك قبل أن تصبح القليوبية لها إدارتها مستقلة ، (انظر ص ٢٠٢ ، حاشية ٢) . لكن ياقوت يقول إنها على فرع رشيد ، ويرجح أيضاً تلفظها بضم الدال .

وتوجه [الكامل] إلى مصر ، فدخلها في رجب ، وتغير على ابنه الملك الصالح تغييرا كثيرا ، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنهم ، وألزمهم إحضار الأموال التي قرط فيها الملك الصالح ، وخلع الصالح من ولاية العهد^(١).

وفيها واقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين^(٢) [نخوارزم شاه] ، وكسره ، وقتل كثيرا ممن كان معه . وخلص [جلال الدين] في عدة من أصحابه إلى تبريز^(٣) ، وكان ذلك في سابع عشرى رمضان . فلك الأشرف ، صاحب دمشق ، مدينة خلاط .

وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين ، وانتهت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر أصبعًا لا غير ، فارتفعت الأسوار .

وفيها قصد الفرنج حماة فأوقع بهم الصالح أيوب ، وقتل عدة منهم ، وأسر كثيرا ، وذلك في رمضان .

وفيها (١٦٦) مات الملك الأحمجد محمد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نيم الدين أيوب ، صاحب بعلبك ، ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال . وكانت مدة ملكه تسعًا وأربعين سنة ، وكان أديبا شاعرا . ومات الملك الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان يعرف بالمشتر^(٤).

• • •

سنة ثمان عشرين وستمائة . فيها عاد الأشرف إلى دمشق . وفيها انفرد العزيز صاحب حلب بالملك ، وقد بلغ ثمان عشرة سنة ، وتسلم الخزان من أتاكبه شهاب الدين

(١) العبارة الآتية الواردة في س ، ولكنها مشطوبة ، وهي : "وعهد إلى ابنه الملك النادل أبي بكر ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، وكان الكامل يحبه ويحب أمه حاكما كبيرا" . وهذه العبارة الواردة بالذي (انظر سنة ٦٤٠ هـ) ، فالراجح أن القريري تدارك ذلك التكرار ، فسطبه هنا .
(٢) في س جلال الله .

(٣) في س توريز ، وفي ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٢٠) أن جلال الدين مضى شهزما إلى آذربيجان ، فثزل عند مدينة خسروي ، بضم الحاء وفتح الواو . انظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٠٢) .

(٤) يقول ابن خلكان (المختار من ترجمة السلطان صلاح الدين ، ص ٤٢٧ ، في (Rec. Hist. Or. III. إن الظاهر خضر عرف بهذا القب ، وممته المستند ، "لأن أبيه — رحمه الله تعالى — لما قسم البلاد بين أولاده الكبير ، قال : وأنا مشر ، فلقب عليه هذا القب" .

انزى . فقام بتدبير الملك قياما مشكورا ، وسير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل ، بسبب إحضار بقية خاتون ابنة الكامل - [وهي] زوجة العزيز - ، فأقام بالقاهرة [حتى ^(١) سنة تسع وعشرين وستائة] . وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل - ومعهم الملك المعظم ، صاحب الجزيرة - في عاشر جمادى الأولى ، فسر لسلطان بقدمهما .

وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية ، وترك الأشرف بالقاهرة ، واستصحب معه صاحب الجزيرة ، بعد ما أتم عليه إنصافا موفورا .

وفيها تحرك التتر . و [فيها] قدم الملك مجير الدين بن المادل إلى القاهرة ، وكان مأسورا عند الخوارزمي . فسر به الكامل ، وأكرمه هو وأخوه تقي الدين عباس .

وفيها مات السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، بعد ما هزمه التتر بيمض قرى ميفارقين ^(٢) ؛ فقتله بعض الأكراد . و [فيها] وصل التتر إلى إربل ، وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم .

وفيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل ، الذي فبا بين القياس ومصر ^(٣) ؛ وحمل فيه بنفسه ، واستعمل الملوك والأمراء والجند . فلما فرغ [من الحفر] صار في أيام احتراق النيل يُنشى من القياس والروضة إلى الجزيرة ، واستمر الماء فيها بين مصر والروضة لا ينقطع في زمن الاحتراق ألبته . وكان السلطان قد قسّط حفر هذا البحر على الدور التي بالقاهرة ، ومصر والروضة ، بالقياس ^(٤) . واستمر العمل فيه - من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر .

(١) انظر ص ٢٤٣ (سطر ١٣) .

(٢) كان جلال الدين بن خوارزم شاه آخر بيته ، وكان تنف القول على بلاده فزير السوء والمطر على العالم الإسلامي ، إذ بدأوا بعد ذلك يثيرون على الرق . وقد خلف البيت الخوارزمي في كرمان ، جنوبي فارس ، أحد رجال جلال الدين ، واسمه برقي حاجب ، واعترف بولايته عليها أوغطلي ابن جنكركخان ، ومنحه لقب قطّاع خان . (Lane-Poole : Math. Dyns. P. 179) .

(٣) بهامش الصفحة في س المبارة الآتية ، بخط مخالف : " انظر حفر النيل بين القياس ومصر " .

(٤) كذا في س ، يشير خسيط . انظر للقرنزي (اللواظم والاعتبار ج ١ ، ص ٢٤٥) حيث ورد ، في هذا السدد : " وقسط [الكامل] مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والقياس " .

وفيهما قدم رسول الخليفة [المستنصر بالله] بالغلع والتقليد الملك الكامل ؛ وميز بزيادات كثيرة ، لم تقبل في حق غيره ، من السلجوقية وغيرهم . و [وردت] خلع الملك الأشرف أيضا . وفيها تسلمن عمر بن علي بن رسول باليمن ، ونشر دعوته .



سنة تسع وعشرين وستمائة . فيها تكل استيلاء التتر على إقليم أرمينية وخراسان ، وسائر ما كان بيد الخوارزمي . فاهتم الخليفة [المستنصر بالله^(١)] غاية الاهتمام ، (٦٦ ب) وسير عدة رسل يستنجد الأشرف من مصر ، ويستنجد العربان وغيرهم . وأخرج [الخليفة] الأموال ، فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر .

و [فيها] خرج الملك الكامل من القاهرة في جمادى الآخرة ، واستخلف على مصر ابنه الملك العادل أبابكر ، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه ؛ وأخرج الصالح أيوب معه ، وقدم الأشرف — والمعلم صاحب الجزيرة — بالمساكر . ومضى الكامل جريدا إلى الشوبك والكرك ، وسار إلى دمشق ، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بمساكره ، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون ، وعقد عقده عليها بمنزلة اللجون^(٢) . وأقام [الكامل] بدمشق يسرح المساكر ، وجعل في مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب .

وورد الخبر بدخول التتر بلاد خراسان ، فأمرع [الكامل] في الحركة ، وخرج من دمشق فنزل سلمية — وقد اجتمع بها عساكر يضيق بها القضاء — ، وسار منها في آخريات رمضان على البرية . وتفرقت المساكر في عدة طرق لكثرتها ، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب ، لقلة الماء .

(١) يرجع اهتمام الخليفة المستنصر بأمر التتر إلى ثلاثة أمور : أولها أن غارات التتر ، التي استؤدى إلى اجتياح الدولة البلبسية من بغداد ، كانت قد وصلت أراضي العراق الأعلى ؛ وثانيها أن بعض البلاد التي استولى عليها التتر من جلال الدين خوارزم شاه ، كانت قبل ذلك من أملاك الخليفة ؛ وثالثها أن جلال الدين كان قد عزم على الاستيلاء بالخليفة ، ولم يمنعه من ذلك سوى مطاردة التتر له ، واضطراره إلى الاختفاء ، حتى وماته . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ٣٢٣ — ٣٣٠) .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي بلدة بالأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) .

وأتمه رسل ملوك الأطراف ، وهم عز الدين يقر^(١) ، وغر الدين بن الدامغانى ، رسل الخليفة للمستنصر بالله ، وألبسوه خلمة السلطنة . فاستدعى [الكامل] عند ذلك رسل الخوارزمى^(٢) ، ورسول السكرج ، ورسول حماة وحمص ، ورسول^(٣) الهند ، ورسول القزنج ، ورسول أتابك سمد صاحب شيراز ، ورسول صاحب الأندلس^(٤) ؛ ولم تجتمع هذه الرسل عند ذلك فى يوم واحد قط غيره . وقدم عليه بهاء الدين اليزدى — شيخ رباط الخلاطية — من بغداد ، وجماعة من الثغاس^(٥) ، يحثونه على الفزاة .

فرحل التتر عن خلاط ، بعد منازلها عدة أيام . وجاء الخبر برحيلهم والكامل بمران ، فجهز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولا إلى الخليفة . وسار إلى الرها ، وقدم الماسكر إلى آمد ، وسار بدم . فبرز على آمد ، ونصب عليها عدة مجانيق . فبعث إليه صاحبها يستعطفه ، ويبدل له مائة ألف دينار ، وللأشرف عشرين ألف دينار ، فلم يقبل . وما زال عليها حتى أخذها ، فى سادس عشر ذى الحجة ، وحضر صاحبها إليه بأمان ، فوكل به حتى سلم جميع حصونها . فأعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وفىها وردت هدية من ماردين . وفىها سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالى للصاحبة غازية خاتون ، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر ، صاحب حماة ؛ والستر العالى للصاحبة فاطمة ، ابنة الكامل وزوجة [الملك] العزيز ، صاحب حلب . وخرج معها أيضا الأمير غر الدين البانياسى ، والأشرف شمس الدين قاضى السكر .

(١) فى س امرأ . والرسم الوارد هنا منقول من (Blochet : Op. cit. P. 391) .

(٢) تقدمت وفاة جلال الدين الخوارزمى ، تحت سنة ٦٧٨ هـ (انظر ص ٢٤١) ، ولعل المقرئ يفتقد بالخوارزمى هنا السلطان براق صاحب ، الذى استقل بكرمان بعد وفاة جلال الدين . (انظر ص ٢٤١ ، حاشية ١) .

(٣) كانت الهند الإسلامية (Hindustan) تابعة للدولة النورية منذ سنة ٥٨٦ هـ ، حين فتحها عز الدين محمد النورى ، وولى عليها مملوك قطب الدين أيك . ثم استقل قطب الدين هذا بالهند الإسلامية ، سنة ٦٠٢ هـ ، بعد وفاة عز الدين وانقسام الدولة النورية . وكذلك استقل ناصر الدين كياشا بالسند ، وهو مملوك غورى آخر . (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 292—299) .

(٤) لعل المؤلف يقصد بى نصر مملوك غزنائية ، وأولهم محمد بن غالب بن يوسف من نصر (٦٢٩ هـ — ٦٧١ هـ) (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 27—29) . (٥) فى س النحاس .

وفيها مات الأمير غر الدين عثمان بن قزل ، أستاذ الملك الكامل ، [و] صاحب المدرسة الفخرية بالقاهرة ، في ثامن عشر ذي الحجة ، بحران .
وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، صاحب اليمن ، [عسكرا إلى مكة^(١)] ، فيه الشريف راجع بن قتادة ، فلكها من الأمير شجاع الدين طفتكين ، نائب الملك الكامل ، في ربيع الآخر . وفر [شجاع الدين] إلى نخلة^(٢) ، ثم إلى ينبع ، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك . فبعث إليه [الكامل] عسكرا سار بهم إلى مكة ، فقدموها^(٣) في شهر رمضان ، وملكوها بعد ما قتلوا جماعة ، وكان مقدّم العسكر الأمير غر الدين يوسف ابن الشيخ .



سنة ثلاثين وستمائة . فيها أتم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا ، وسيره^(٤) إليها . وعاد [هو] إلى الديار المصرية ، ومعه الملك المسعود ، صاحب آمد . فلما وصل قلعة الجبل أخرج عنه ، وأحسن إليه ، وأعطاه إمرة بديار مصر .
و [فيها] قبض [الكامل] على جماعة من الأسماء المصرية . وفيها استولى الملك للظفر ، صاحب حماة ، على حصن بارين^(٥) ، وانزعه من أخيه (١٦٧) الناصر قلعج أرسلان . فسار [قلعج أرسلان] إلى خاله الكامل ، فقبض عليه ، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات .
وفيها جهز الملك الكامل عسكرا من النز والهربان إلى ينبع ، من أرض الحجاز — عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدی ..^(٦) — في شوال ، وعدتهم سبعمائة . وسبب ذلك ورود الخبر

(١) ما بين القوسين محجوب بورقة ملصقة في س ، ولكنه وارد في ب (٧٩ ب) .

(٢) بغير ضبط في س : وهي الرحلة الأولى الصادر عن مكة ، واسمها نخلة عمود ، وتميزا لها عن نخلة الشامية ، الواقعة على طريق اليمن ، على مسافة ليّتين من مكة ؛ وتميزا عن نخلة البليانية ، التي تقع على الطريق بين مكة والبصرة . (ياوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٦٩ — ٧٧٠) . (٣) في س قدموا . (٤) قصد الملك الكامل بهذا أن يبعد الصالح عن مصر ، فيخلو بذلك الجبل له ، ولولده المعامل ، ولئلا

المهد من يده . انظر (Blochet : Op. cit. p. 893. N. 1.) .

(٥) في س يبريد . (٦) يباس في س .

بمسير الشريف راجع من اليمن بسكر إلى مكة ، وأنه قدمها في صفر ، وأخرج من بها من المصريين بغير قتال . قدم الزاهد في اللوس ، وتسلم مكة ، وفتح بالناس ، وترك بمكة ابن محلى^(١) ، ومعه خمسون فارسا ، ورجع إلى مصر .

وفها توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب البمشقي ، كاتب الإنشاء^(٢) . فاستحضر الملك الكامل ناسخا يقال له الأمين الحلبي ، كان عند الأمير عز الدين أبيك - أستاذ الملك

(١) في س محلى ، وبشريط ، وهو مترجم إلى (Ibu Mehalla) في (Blochet : Op. cit. P. 394) .
انظر الخرجي (المقود المؤلوية ، ج ١ ص ٥٠) ، وكذلك الترجمة الإنجليزية للرجع نفسه ، (Vol. I. P. 97) . (٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 896. N. I.) ثبت لأسماء أصحاب ديوان الإنشاء بمصر ، من عهد الخليفة العزيز بن المنز الحاملي ، (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) ، إلى حكم سلطان الأشرف إيتال ، (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ) ، أحد سلاطين دولة المماليك البرجية . وقد كان لديوان الإنشاء المنصب الأكرم من رعاية الدين كتبوا في موضوع الأنظمة الحكومية المصرية في القرون الوسطى ، وأهم الكتب التي ألفت فيه ، وأكثرها ذوقا ، كتاب التريف بالمصطلح الشريف ، لصهاب الدين بن يحيى الدين بن فضل الله المصري ، الذي تطلب في ديوان الإنشاء بمصر ، في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١ هـ) ، انظر (Enc. Isl. Art. Fadi Allah) ؛ وكتاب صبح الأعشى في كتابة الإنشاء ، ومؤلفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن الفقهني ، المتوفى بالقاهرة في ماضى جادى الثانية سنة ٨٢١ هـ ، راجع (Enc. Isl. kaikashandi) ؛ وكتاب المقصد الرفيع للنشا الهادى لصناعة الإنشاء ، لبهاء الدين محمد بن طلف الله بن عبد الله بن عبيد الله المصري الهادى ، وقد كتبه حوالي سنة ٨٣٦ هـ ، انظر (O. Demombynes) . (Op. cit. Pref. pp. V-VI.)

أفرد الفقهني الجزء من الأول والثاني من كتابه في التريف بهذا الديوان ، وتصديدا للصفات والمؤهلات التي تلزم لصاحبه ، وفي بحث نشأته في الإسلام إلى زمنه ، وسيقتصر هنا على الموضوع الأخير . يقول الفقهني (ج ١ ، ص ٩١ - ١٠٤ ؛ ج ٣ ، ص ٤٩٠ - ٤٩٢ ؛ ج ٥ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥) إن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام : وذلك أن النبي عليه السلام ، كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه ، وقد كتب أيضا إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ؛ ومن استكتبه عليه السلام أبابكر الصديق وعلي بن أبي طالب . وفي الدولة الأموية كان أمر الكتابة مفوضا إلى كاتب ، وعرف متوليها بهذا الاسم . ومن أشهر من كتب الأمويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان في عهد مروان ابن محمد ، آخر خلفاء الأمويين بدمشق . فلما جاءت الدولة العباسية كان ديوان الإنشاء يضاف تارة إلى الوزارة ، وتارة يهد إلى كاتب يختص به . وفي الحلة الأولى أضيف لقب الكتابة إلى الوزارة ؛ أما في الثانية ، حيث كان الديوان معهودا بديوان الرسائل ، كما في العصر العباسي الأول ، لقب متولي بصاحب ديوان الرسائل ، أو متولى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات ، أو متولى ديوان المكاتبات ؛ حيث كان الديوان معهودا بديوان الإنشاء ، لقب متولي بصاحب ديوان الإنشاء ، وربما جمع حفظ الديوان =

المعلم — في خدمته يكتب له . فلما حضر [الأمين] ليكتب بين يديه خلع عليه ، وأعادته إلى صاحبه ، فترهّد استحياء من الناس . وبثّ الكامل إلى ميفارقين ، فأحضر الجلال بن نبانة ليستكتبه ؛ فلما حضر خلع عليه ، وأعادته ولم يستكتبه ، فاستكتبه الأشرف صاحب دمشق .

== تخلياً لمولاه ، فيقال صاحب ديوان الإنشاء بالملك الإسلامية . ومن اشتهر من وزراء الباسيين وكتابهم يحيى بن خالد الرمي ، وابن القفج مترجم كتاب كيلة ومئة .

ولما كانت بلاد المغرب والأندلس الإسلامية بأيدى نواب الخلفاء ، لم يكن أولئك النواب بديوان الإنشاء في ولايتهم ، فترجم من البداوة ، وانصهر غاية الولاء على السكينة لديوان الخلافة . فلما هرب طائفة من بني أمية إلى الأندلس ، وتأسست على يدهم دولة مستقلة عن الدولة العباسية ، جرى أسواقها على سنن ما كان عليه أبائهم بإسلام من ألقاب الخلافة ، مضامين بني العباس يمداد . فأطموأ شعار الخلافة ، واتخذوا ديوان الإنشاء ، واستخدموا ببناء الكتاب . ومن اشتهر عندهم من الكتاب أبو الوليد بن زيون ، وابن الحطيب وزير ابن الأحمر ، صاحب فرناطة .

أما ديوان الإنشاء بمصر ، فله غسة أحوار : الدور الأول ما كان عليه الأمر من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية (٢٠ — ٣٥٤ هـ) ، وفيه لم يكن لنواب الخليفة عناية بديوان الإنشاء ، لاختصار المكاتبات على ما يرام لأبواب الخلافة . والدور الثاني ما كان عليه الأمر في الدولتين الطولونية والإخشيدية (٢٤٥ — ٣٥٨ هـ) ، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بمصر ، ومن اشتهر من كتاب الطولونيين أبو جعفر محمد بن أحمد بن موحود بن عبدكان . والدور الثالث ما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية (٣٥٨ — ٥٠٦ هـ) ، وفيه صرف الفاطميون مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء ، وكان يعرف صاحبه بكتاب البست الشريف ، وولي في زمنهم جماعة من أكابر الكتاب ، ما بين سلم وذو ، مثل المحافظ الشيخ الأجل أبي الحسن علي بن أسامة الحلبي ، وأبي المنصور بن سوردين الصراف ، وابن أبي الدم اليهودي . وقد نخرج القاضي الفاضل عبد الرحيم البستاني في ديوان الإنشاء الفاطمي ، في عهد المعتمد ، آخر خلفاء تلك الدولة . والدور الرابع من إحياء الدولة الأيوبية إلى إقراضها (٥٦٥ — ٦٤٧ هـ) ، وفيه أسند السلطان صلاح الدين كتابة الإنشاء إلى القاضي الفاضل ، ومن تولاه أيضاً في تلك الدولة جها الدين زهير ، في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب . والدور الخامس ما كان عليه الأمر في دولي المماليك البحرية والجليلة (٦٤٧ — ٨٢٢ هـ) ، وفي أوائل هذا الدور كان صاحب ديوان الإنشاء يلقب نارة بلقبه أيام الدولة الفاطمية — وربما عر عنه أحياناً بكتاب الدرر — ونارة وليه جماعة يبر عنهم بكتاب البست . وبقي الأمر على ذلك إلى أن ولي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ، في أيام السلطان المنصور ثلاثون ، فلقب بكتاب السر ، وقتل لقب كاتب البست إلى طبقة دولته من كتاب الديوان ، واستمر ذلك إلى زمن الملك الناصر . ومن مشاهير أصحاب ديوان الإنشاء إلى عهده يحيى الدين بن فضل الله العمري ، وهو والد شهاب الدين صاحب التبريد ، ومنهم شهاب الدين قسه ، وأخوه بدر الدين . (انظر أيضاً القرطبي : المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ؛ ابن خلدون : زبدة كشف الممالك ، ص ٩٣ — ٩٠٢ ؛ و O. Demombynes : Op. cit. Pref. pp. V. LXVI.)

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان سلطان الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر ، وأركبه بشعار السلطنة ، وشق به القاهرة ، وهره يومئذ إحدى عشرة سنة . وكان الكامل يحبه ، ويجب أمه حبا زائدا .

وفي ذى القعدة وصل محيي الدين يوسف بن ^(١) الجوزي من بغداد ، بالتقليد من [الخليفة] المستنصر [بالله] للملك الكامل .

وفيها أبطل السلطان الماملة بالقلوس ^(٢) ، في القاهرة ومصر ، فتلف مال كثير للناس . وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة ، أمير العربان من آل فضل ، فأمر الأشرف بعده ابنه منها ^(٣) . وفيها قدم الناصر دارد صاحب الكرك إلى مصر ، فنزل بدار الوزارة من القاهرة ، وركب في خدمة عمه الملك الكامل .

وفيها مات المرزغر الدين عثمان بن العادل بدمشق ، يوم الاثنين عاشر رمضان . و [فيها] مات الملك العظيم مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك ، ملك إربل ، في تاسع عشر شعبان ، عن أربع وعشرين سنة ؛ وكان يهتم بعمل الموالد النبوي في كل سنة اهتماما زائدا . فسلم إربل من بعده نواب الخليفة ، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد .



سنة إحدى وثلاثين وستمائة . فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقي ، صاحب بلاد الروم ، مدينة خلاط . فخرج الملك الكامل من القاهرة بسكره ، ليلة السبت خامس شعبان ، واستقبل ابنه الملك العادل . فوصل إلى دمشق ، وكتب إلى ملوك بني أيوب يأمرهم بالتجهيز ، للمسير بساكرهم إلى بلاد الروم .

(١) انظر ص ٢١٩ ، حاشية ٢ . (٢) كانت القلوس في مصر على نوعين ، أحدهما المطبوع بالنكة ، وثانيها غير المطبوع . وكان النصف الثاني عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر ، أو الأصفر ، ويمر عنها بالثق . (الملتفندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤) . (٣) القبائل العربية بالشام عاصرهم في تاريخ تلك البلاد ، انظر (Olfb : Damascus Chronicle. Introd. pp. 17-19) وكانت ديار آل فضل ممتدة من حمص إلى جبيل ، وإلى الرحبة والبحيرة ، على القرات . وآل فضل لم النخذ الأول من ربيعة بن حزم ، وقد نفا ربيعة هنا في أيام الأتابك زنكي ، وهو ينسب إلى عزيز بن سلمان .. ابن طلي . بن كهلان بن قحطان . (الملتفندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٢٤ — ٣٢٥) ج ٤ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

وخرج [الكامل] من دمشق ، فنزل على سلمية في شهر رمضان ، ورتب عساكره ، وسار إلى منبج ، فقدم عليه عسكر حلب ، وغيره من الساكر فسار وقد صار معه ستة عشر دهلجاً^(١) ، ستة عشر ملكاً — وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكاً . فرضهم [الكامل] على البيرة أطلاً^(٢) بأسلحتهم ، فلكترة ما أعجب بنفسه قال : ” هذه الساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام “ . وأمر بها فسارت شيئاً بعد شيء نحو الدزبند^(٣) ، وقد جد السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتلة . ونزل الكامل على النهر^(٤) الأزرق ، وهو بأول بلد الروم . ونزل عساكر الروم فيا بينه (٦٧ ب) وبين الدربند ، وأخذوا عليه رأس الدربند ، وبنوا عليه سوراً يمنع الساكر من الطلوع ، وقاتلوا من أعلاه ، فقلت الأقوات عند عسكر الكامل .

واتفق — مع قلة الأقوات وامتناع الدربند — نفور ملوك بني أيوب من الملك الكامل ، بسبب أنه حفظ عنه أنه لما أعجبه كثرة عساكره بالبيرة ، قال لغواصه : ” إن صار لنا ملك الروم فإيا نعرض ملوك الشام والشرق لمملكة الروم ، بدل ما بأيديهم ؛ ونجعل الشام والشرق مضافاً إلى ملك مصر “ . فحذر من ذلك المجاهد صاحب حصص ، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق . فأوجس في نفسه خيفة موسى ، وأحضر بني عمه وأقاربه من الملوك ،

(١) الدهليز هنا الحمية ، التي ترافق السلطان في الحرب . وتختلف عن غيرها — من الخيم والدهاليز الكبيرة ، التي تنام السلاطين في الصيد والترح — بكونها خيمة فائضة بذاتها ، ليس بجوانبها خيم صغيرة ، كالتي تنام عادة لتجهيز حاسات السلطان في أيام السلم . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) جمع طُلب ، وهو اصط كرى ، معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال . ويطلق أيضاً على قائد المائة أو السبعين . وكان أول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام السلطان صلاح الدين ، ثم عدل مدلوله ، فأصبح يطلق على الكتيبة (battalion) من الجيش . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) بغير ضبط في س . وليس المراد هنا بلدة الدربند ، المسماة أيضاً باب الأبواب ، والواقعة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين ، شمال باكو ، وقالة تفليس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ؛ التفهيم : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٦٤) . إنما هي قنط تارسي ، معناه في الأصل سبلة من حديد ، ينقل بها باب الدكان ، ويقال لها دروند أيضاً . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . ثم استعملت كما هنا ، بمعنى المشايخ والطوائف ، (محيط المحيط) ، وأراد المقرئ بها المعابر الضيقة الواقعة شمال البيرة والنهر الأزرق . (انظر الحاشية التالية) .

(٤) أحد نهيرات الفرات الأعلى ، ويمر بين هيسنا وحصن منصور . (ياقوت : معجم البلدان ،

وأعلمهم ذلك . فاتفقوا على الملك الكامل ، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل . وسبّروا الكتب [بذلك] ، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل ، فكتمها ورحل راجعا .

فأخذ [السلطان علاء الدين كيقباد] ، ملك الروم ، قلعة خرتيوت^(١) ، وست قلاع أخر كانت مع الملوك الأرتقية ، في ذى القعدة . فاشتد حنق^(٢) [الملك الكامل] ، لما حصل على أسرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع خرتيوت ؛ ونسب ذلك إلى أهله من الملوك ، فتشكر ما بينه وبينهم .

وفيا مات الملك للفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في ذى الحجة . وفيها بث للنصور [عمر بن علي بن رسول] ، ملك الجبل ، عسكرا وخزاة مال إلى الشريف راجح [بن قتادة^(٣)] ، فأخرج من بمكة من المصريين .

. وفيها حضر أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي تجمعا ، بزقاق الطباخ^(٤) بمدينة مصر ، في أول يوم من شهر رجب ؛ و[كان] هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي^(٥) ، وأبو عباس القسطلاني ، وجماعة [غيرها] . فلما أشد القول صفق أبو يوسف الدهماني يديه ، وارتفع عن الأرض متربعا ، إلى أن بلغ إلى أنفادارية^(٦) المجلس ، ودار ثلاث دورات ، ثم نزل إلى مكانه . فقام الشيخ القرطبي ، وقدر ارتفاع الأنفادارية ، فكان أطول من قامته رافعا يديه .

(١) في س خيرت ، في اللوشين (سطر ٦) ، بئر ضبط ، وإسقاط الماء الوسطى هكذا جاء في النسر . وهو اسم أرمي ، يطلق على حصن زياد ، من بلاد الروم ، في أقصى جبل بكر . (القول : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩) .

(٢) في س حنقه . (٣) انظر الخروبي (الفتوح الأولى ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠ ، ٥٤ — ٥٥ ، ٦١ — ٦٢) لمراجعة خاميل محاولات ابن رسول نحو مكة . (٤) ليس بالواضع والاعتبار للقرشي ذكر لهذا الزقاق ، في باب أزقة القاهرة ومصر ، غير أنه يوجد جامع الطباخ (هـ) المرجح : ج ٢ ، ص ٣١٥) ، وقد جده الحاج علي الطباخ ، قبل سنة ٧٤٦ هـ ، وموقع هذا الجامع بضط باب اللوق ، بجوار بركة القنات .

(٥) في س القرشي . (٦) مضمومة على منطوقها في (Blochet : Op. cit. P. 404. N. 1.) ، حيث هي مترجمة إلى (Lambria) ، أي السف .

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق — في جمادى الأولى — ، وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف ، صاحب دمشق ، وغيره من الملوك . فقبض [الكامل] على السعود صاحب آمد ، واحتقله في برج هو وأهله ، يوم الاثنين . سادس عشر جمادى الأولى ، لما آله لم . فملك صاحب الروم الرها وحران بالسيف ، وعاد إلى بلاده ، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال . فلما بلغ الكامل ذلك أمر الساكر أن تجهز للسير إلى الشرق ، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلى صفاقير^(١) بالقليلية ، وجعل أقارب والده ومالكيه معه ، وعدتهم سبعة عشر رجلا .

وفيهما بعث ابن رسول إلى الشريف راجع [بن قتادة] بخزاة مال ، ليستخدم عسكرا . فلم يتمكن من ذلك ، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جعفريل^(٢) ، أحد الماليك الكاملية ، إلى مكة بسبعمائة فارس . [وحضر جعفريل إلى مكة] ، ففر منه الشريف راجع بن قتادة إلى اليمن ، وملك [جعفريل مكة]^(٣) في شهر رمضان ، وأقام للمسكر بها .

وفيهما مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، صاحب البيرة ، في سابع صفر . فاستولى العزيز ، صاحب حلب ، عليها من بعده . و[فيهما] مات (١٦٨) الأمير شمس الدين صواب ، الطواشي الكاملى ، بمران في أواخر شهر رمضان .

* * *

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر ، فأت بالقاهرة ومصر خاق كثير ، بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا ، سوى من مات بالريف .

(١) بنر ضبط في س ، وهي بمركز نلوب ، غرب ناحية جهادة ، وشمال كفر المارث . وإليها ينسب الشيخ يحيى بن علي الصانفي ، التوفى سنة ٧٧٢ هـ (على مبارك : المخطوطات التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٢٤ — ٢٦) . هذا والقاهرة الحالية طريق اسمه شارع الصانفي . (٢) في س جفريل ، وبغير ضبط ؟ وفي التفتندي (سبع الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٣) جبريل ؟ وفي الخزرجي (الغود الأولى ، ج ١ ، ص ٥٥) جبريل . انظر (Blochet : Op. cit. P. 405, N. 2) . (٣) في س "وملكها في شهر رمضان" ، وقد أنشأ ما بين الأقواس ، بعد مراجعة الخزرجي (مس الرجاء والجزء والمفتحة) .

وفيها سار التتر إلى جبة اللوصل ، قتلوا ونهبوا وسبوا ، وفيها سار الناصر داود ، صاحب الكرك ، إلى الخليفة [للمستنصر بالله] ، خوفاً من عمه الملك الكامل ، فإنه كان قد أزمه حتى طلق ابنه الكامل ، غشى أن يتزع منه الكرك . فوصل إلى بتداد ، فأكرمه الخليفة ، ومنعه من الاجتماع به ، رعاية لذلك الكامل . ثم اجتمع به سرا ، وخلع عليه ، وبعث معه رسولا مُشَرِّباً^(١) من خواصه إلى الكامل ، يشفع فيه . فلما وصل [الرسول] إلى الكامل تلقاه ، وقبل الشفاعة

وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بساكره يريد بلاد الشرق ، فنازل الرها حتى أخذها ، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى ؛ وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء ، وهدم قلعتها . ونازل حران ، وأخذها بعد حصار وقتال ، في رابع عشر جمادى^(٢) الآخر ؛ وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين ، وأسراؤه ومُقدِّميه الصواباشية^(٣) ، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا ، فأت كثير منهم في الطرقات . ثم نزل [الكامل] على دُنَيْسِر^(٤) ، وخر بها . فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار ، في مائة مُلْطَب ، كل مُلْطَب خمسمائة فارس . وأخذ [الكامل] قلعة السَّوَيْدَاء عنوة ، وأسر من بها في سابع عشر جمادى [الآخر] ، وهدمها ؛ وأخذ^(٥) قَيْطِينا ، وأسر من بها في رجب . وفي تاسع عشره بعث [الكامل] جميع الأسرى إلى ديار مصر ، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف ، وعاد إلى دمشق ، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح [أيوب] .

- (١) الشربوش قلسوة طويلة أعجية ، (محيط المحيط) ، وتليس بدل العاية ، وكانت شارة للأمراء ، فلا يلبسها رجال العلم ، كالثقافة والكتاب وغيرهم . وقد أُلِي استعمالها بمصر زمن المليك البرجية . (Dozy : Supp. Dict. Ar) في س^(٢) "ربيع" ، وهفوة للفرزي هنا طاهرة . (٣) في س السوابسية ، بغير ضبط . والصوابشي لفظ فارسي ، معناه "الوكيل في الضيقة" ، من قبل صاحبها ؛ وفي اصطلاح أرباب السياسة الأمين الذي تحبس النساء في بيته . والنامة تحول الشوابسي ، (محيط المحيط ؛ و Dozy) Supp. Dict. Ar ، ولعل رسم الفرزي نطق على آخر . (٤) بغير ضبط في س ، وهي بلدة كبيرة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين ماردين فرسخان ، ويقال لها فوج حصار . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦١٢) . (٥) بغير ضبط في س ، وهي بلدة قرب حران . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) . (٦) بغير ضبط في س ، أو في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٠٢) ، وهي بلدة على نه الزاب الأعلى ، شمال اللوصل . انظر . (Blochet : Op cit. p. 408) .

وفيهما هدمت دقيسر ، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين . وفيها خرج عسكر الروم ، بعد عود الكامل ، وحاصر آمد وأحرب دارا^(١) ، في خامس ذى القعدة . وفيها استولى القرنج على مدينة قرطبة بالأندلس . وفيها قُدم أنبا كيرلس داود بن لقلق بطركا على الإسكندرية لليساقبة^(٢) ، في يوم الأحد ثالث عشرى :بؤونة ، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء ، الموافق لتاسع عشرى رمضان فأقام [في البطركية] ، سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أعوام ؛ وكان عالما ، محبا للرياسة ، ويجمع المال ، وأخذ الشرطونية . وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة ، [قبيل اعتقاله كرمى^(٣) البطركية] ، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير . ومرت به شذائد كثيرة ، فإذ الراهب عماد^(٤) المرشركان قد سقى في ولاية البطركية ، وشرط عليه ألا يقدم أسقفا إلا برأيه ، فلم يف له ، ولا التفت إليه . فاعترف عنه ورائفه ، فوكل عليه وعلى عدة من أقاربه والزومه . وقام أيضا عليه الشيخ السقى^(٥) بن التبان الراهب وعانده وذكروا مثالبه ، وأنه إنما تقدم بالرشوة ، وأنه أخذ الشرطونية ، فلا تصح له كهنوتية ، على حكم القوانين . ومال منه جماعة ، وعقدوا له مجلسا بحضور الصاحب (٦٨ ب) معين الدين ابن شيخ الشيوخ ؛ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأثبتوا عليه أمورا شُفعة ، وعزموا على خلعهم . فقام معه الكتاب الستوفون بديار مصر ، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين ، فقرر ملاحظه [البطريك] إلى السلطان^(٦) ، واستمر [أنبا كيرلس] على بطركيته حتى مات ، يوم

(١) بلدة في لطف جبل ، بين نصيبين وماردين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ —

١٦١) .

(٢) انظر ص ١٨٣ — ١٨٤ . (٣) أصيف ما بين القوسين بعد صراحة (Butcher : Op. cit. II, p. 139.) (٤) كذا في ، بمرسوط ، وفي (Ibid:Op. cit. II, P. 142.) ، راهبا سمه (Hamid) ، وكان زعيم الثورة ضد البطريق . وقد يكون لفظ المرشركان تريبا لاسم دير (Macarius) بوادى النطرون ، وهو أحد الأديرة الكبيرة بمصر ، في القرون الوسطى ، وعماد هذا — أو حاد — راهبا به . وكان الدير تابعا لبطريك مباشرة ، فلم يطمع في أموال الدير أحفظ الراهب عماد — أو حاد — وأثاره ، على الوجه المذكور يالقي . (Ibid : Op. cit. II, P. 140.) (٥) مضبوط هكذا في س . ولعله سقى الدولة . انظر (Blochet : Op. cit. P. 409) .

(٦) تفاصيل هذه الحوادث موجودة في (Butcher : Op. cit. II. pp. 140-151) .

الثلاثاء رابع عشر برمهات ، سنة تسعمائة وتسع وخسين للشهداء ، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وسبعمائة ؛ ونحلا الكرسي بهذه سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ملك الجين ، عسكريا إلى مكة ، مع الشهاب بن عبد الله ، ومعه خزانة مال ، فقاتله للصريون وأسروه ، وحلوه إلى القاهرة مقيدا .

• • •

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة ، فوصل إليها ، وحصد قلعة الجبل في ... (١) ثم خرج إلى دمياط ، فقدم عليه محي الدين يوسف بن الجوزي رسولا من الخليفة ، وهو بها . وسافر [محي الدين ؟] إلى [السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان (٢)] ، صاحب الروم ، ومعه الحافظ زكي الدين عبد العظيم النذري ، رسولا من جهة الملك الكامل .

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، صاحب حلب ، يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأول ، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر . وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ، وعمره نحو السبع سنين . وقام بتدبير أمره الأميران إياؤل الأميني ، وعز الدين عمر بن تحي (٣) ، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم ، يراجع الست الرفيع ضيفة خاتون ابنة الملك العادل ، على لسان جمال الدولة إقبال . وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبي الميجاء ، وزير الدين قاضي حلب ، إلى الملك الكامل ، بزردية العزيز وكز اغند (٤) ، وخودته وسركوبه . فأظهر [الكامل] الألم لموته ، وقصّر في إكرامها ؛ وحلف للناصر ، وشرط أشياء ، وأعاد الرسولين . ثم أرسل خلعة للناصر بغير سركوب ، ومعهما عدة خلع للأمرءاء الحليين ، وخلعة للخالص

(١) يباس في س . (٢) انظر الصفحة التالية ، (سطر ١٢) .

(٣) في س على ، بغير ضبط ، وقد تقدم مثل هذا الاسم ، (س ٢٤٥ ، سطر ٣) ، وصحح هناك كما هنا بالفتح . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. P. 411) .

(٤) الكز اغند الحلف القصير ، وليس فوق الزردية ، ويصغر من الفطن — أو الحرير — المبطن للنجدة (rembourrée et Plaquée) ، والجهم كز اغنديات . وموقوف فارسي (محيط المحيط) (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) وقابله في الإنجليزية لفظ (Surcoat) ، انظر (Scott : Talleman. P. 8) ، وفي الفرنسية (Jaquette) .

صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازي ، صاحب عيتاب . فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل ، ولم توافق على لبس أحد من الأمراء الخلع . فلبس الناصر وحده خلع الكامل ، ورُدَّ الرسول الوارد إلى الصالح [صلاح الدين] بخلته .

وفيها تنكر الأشرف ، صاحب دمشق ، على الملك الكامل ؛ وراسل أهل حلب ، فوافقوه على منع الكامل من بلاد الشام ، ومكانة السلطان علاء الدين ، صاحب الروم ، ليكون لهم . فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل ، فارتفع الملك الكامل ، وعز ذلك عليه . وكان حين بلغه الخبر بالإسكندرية ، فخرج منها ليلا ، وسار إلى قلعة الجبل ، وشرع في تدبير أمره .

فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد^(١) بن غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان ، ملك الروم ، وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن [علاء الدين] كيقباد من بعده ، في سابع شوال ، قبل اجتماعه بالحافظ زكي الدين عبد العظيم [المنذرى^(٢)] ، رسول السلطان . (١٦٩) فبث ملوك الشام رسلكم إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد^(٣) بن كيخسرو بن قلع أرسلان السلجوقي ، صاحب الروم ، بمنزلة في أبيه ، ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل . وسير الكامل أفضل الدين محمد الخوئي يميز غياث الدين بأبيه ، ومعه ذهب رسم الصدقة عنه ، وثياب أطلس برسم أغشية القبر . وفيها كان الوفاء أشد من السنة الماضية . وفيها ضرب الملك الكامل القلوس .

وفيها بث [الملك الكامل] القاضي الأشرف بن [القاضي] الفاضل إلى الملك الناصر داود ، صاحب الكرك ، يدعو إلى موافقته فرسل^(٤) [الملك الناصر] إلى القاهرة ، مع القاضي الأشرف ،

(١) عبارة س كالاتي : "اتفق موت السلطان علاء الدين وقيام ولده من بعده ... " ، وقاتها هامش نفسه : " كيقباد (كذا) بن غياث الدين كيخسرو قلع أرسلان ملك الروم ، وملك بعده ابنه عاب الدين كيخسرو بن كيقباد " . وقد أصبح هذا الملمس على النحو الوارد بالحق . (٢) انظر ص ٢٥٣ (سطر ١٠) .

(٣) ق س كيقباد . (٤) مظلم عبارة للفرزي ، من هنا إلى آخر أخبار هذه السنة ، مشابهة في أسلوبها وألفاظها ، لما في أبي القداء (المختصر في أخبار البصر ، ص ١١٢ — ١١٣ ، في Rec. Hist. Or. 1 . وقد أخيف ما بين الأقول من ذلك المرجع .

فسر الكامل بقدمه، وركب إلى لقائه، وأرّله بدار الوزارة وقدم له أشياء كثيرة، وخلّع عليه. وقلّده [الكامل] دمشق، وأمر من عنده من الأسراء والملوك الأيووية، فعملوا الناشئة بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحداً بعد واحد، إلى أن صمد قلعة الجبل. وجدّد [الناصر] عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل، في تاسع عشر ذي الحجة. فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الخوطة على نابلس، وأخذ ما كان فيها للناصر داود.

و[فيها] سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيّفا، يستأذن أباه في استخدام من خالف [السلطان غياث الدين كيخسرو]، صاحب الروم، من الخوارزمية. فأذن له في ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم. وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى تنفّت من كثرة القتل؛ ثم رحلوا عنها.

وفيها قدم من جبة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: "إنا اتفقت كلتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك". فاتفق سرّض الأشرف بالذّرب^(١)، فكان لا يستقر بباطنه طعام أبنة، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب.

وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فخارهم الأمير أسد الدين جفر ل^(٢)، وكسرم. فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بنير قتال، وتصدّق بمال، وترك بها جماعة. فقدم الشريف شيخة^(٣) بن قاسم، أمير المدينة، وملك مكة منهم، ونهبهم، ولم يقتل أحداً.

(١) في س بالدرب. والقرب عند الأطباء مرض استطلاق البطن للتصل، والفرق بينه وبين الميضة أن الذّرب لا يكون منه قه، وهو من الأمراض للزّمة. أما الميضة فيكون معها قه، وهي من الأمراض الحادة. (محيط المحيط).

(٢) كذا في س، وغير ضبط. انظر س ٢٥٠، حشية ٢.

(٣) في س شحة. انظر (الفتننى: صبح الأعشى، ج ٤، س ٣٠٠).



سنة خمس وثلاثين وستمائة . فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبي بكر
 ابن أيوب ، صاحب دمشق بها ، يوم الخميس رابع المحرم ؛ وجره نحو من ستين سنة ؛
 ومدة ملكه بدمشق ثمان سنين وأشهر . ولم يترك سوى ابنة ، [تزوجها الملك الجواد
 يونس ^(١) بن مودود بن الملك العادل] . فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين
 إسماعيل ، صاحب بصرى ، بهد من أخيه ^(٢) له . فاستولى [الملك الصالح عماد الدين] على
 دمشق وبعلبك ؛ وبث ابنه الملك المنصور محمود ^(٣) إلى الشرق ، ليتسلم سنجار ونصيبين
 والخابور من نواب الأشراف ؛ وبث إلى المجاهد صاحب حمص ، وإلى المظفر صاحب
 حماة ، وإلى الحلبيين [أيضا] ، ليحلقوا له ويتفقوا معه — على القاعدة التي تقررت بينهم
 (٦٩ ب) وبين الأشراف — على مخالفة الكامل . فأجابوا إلا صاحب حماة ، فإنه مال
 مع الكامل ، وبث إليه يعلمه بميله إليه ؛ فسر الكامل بذلك . ثم إن [الملك] الصالح
 [عماد الدين] صادر جماعة من الدماشقة ، الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل ، منهم
 العلم ^(٤) قساف ، وأولاد مزهر ؛ وجبهم في بصرى .

فتجهز الكامل ، وخرج من قلعة الجبل بمساكره ، بكرة يوم الخميس ثالث عشرى صفر ،
 واستتاب على مصر ابنة الملك العادل . وأخذ معه الناصر داود ، وهو لا يشك أن ^(٥) الملك الكامل
 يسل إليه دمشق ، لما كان قد تفرغ بينهما ^(٦) . فكاتب [الكامل ^(٧)] نائب قلعة عجلون

(١) أخيف ماين القوسين من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١١٣ ، في (Rec. Hist. Or. I. (٢) قبالة هذه البارة ، بالهش في س ، فقرة بمسما تقريبا ، ونصها : "واستحلف بعده
 اخاه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وحلف له الامرا ، واركبه في حياته بالنجق" . (٣) في س محمود .
 (٤) بنير ضبط في س ، والمجاور اسم لهر كبير ، منبه عند رأس عين ، ومصبه في الثرات ، بعد
 أن ينقي بنهر نصيبين وغيره . وتقع على نهر الخابور بلدان جة ، علب على كثير منها اسمه ، (ياقوت : معجم
 البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٢) ، فيكون البلد الوارد بالفتح أحدهما . (٥) أي علم الدين . انظر ص ٢٣٢ ،
 سطر ٣ . (٦) ، (٧) البارة بين الرقين ، منقولة بنصها من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ،
 ص ١١٣ ، في (Rec. Hist. Or. I. ، وقد وضعت بدل ماورد في السلوك ، لوضوحها عنه ، وهذا نصه :
 "... وهو لا يشك أنه يتسلم دمشق لا تفرغ" . (٨) في س : "فكاتب نائب قلعة عجلون ، حتى
 سلها . ونزل الكامل على دمشق ، بمجد القدم" . انظر (Blochet : Op. cit. p. 417. N. 2.)

حتى سلمها . ونزل على دمشق بمسجد القدم ، في ثالث عشر ربيع الأول ، وقد تحصنت وأتتها النجدات ، فحاصرها وقطع عنها المياه ، وضايقها حتى غلت بها الأسمار ، وأحرق المُقَيَّبِيَّة^(١) والعَوَّاحِيْنَ^(٢) ، وألح على أهلها باقتل . وكان الوقت شتاء . فأذن الصالح [إسماعيل] ، وسلم دمشق لأخيه الكامل ، فموضه عنها ببلبك والبقاع ، وبصرى والسواد . وكان السفير بينهما الصاحب محي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، رسول الخليفة ، الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب .

فتسلم الكامل دمشق في عاشر جمادى الأولى ، وسار الصالح [إسماعيل] إلى بلبك ، لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى . فنزل الملك الكامل بالقلعة ، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق ، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص ، وأطلق الفلك^(٣) الميسري من سجن قلعة دمشق — وكان قد سجنه الملك الأشرف — ، ونقل الأشرف إلى تربه .

وأمر [الكامل] في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصل أحد من أئمة الجامع المنرب ، سوى الإمام الكبير فقط ، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين .

وورد الخبر باستيلاء الصالح [نجم الدين]^(٤) أيوب [بن الكامل] على سنجار ونصيبين وانغابور . وقَدِم رسول الخليفة بمالٍ إلى الملك الكامل ، ليستخدم به عسكرياً للخليفة ، فإنه بلغه توجه التتر إلى بغداد . فقام الملك الكامل لما سُلِّم إليه كتاب الخليفة ، ووضه على رأسه ؛ وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية . فأمر الملك الكامل أن يُخْرَج من بيت المال مائتا ألف دينار ، ليستخدم بها العساكر ؛ وأن يُجَرَّد من عساكر

(١) بنبر ضبط في س ، وتسمى أيضاً القَيَّبِيَّة ، وهي قرية من ضواحي دمشق . : Demombynes — G. ; Op. cit. pp. 26, 36. ؛ وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٥٧ .

(٢) بنبر ضبط في س ، وهي حيا بياض ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٤٤) موضع قرب الرملة ، غير أن القرائن تدل على أنها موضع قرب القبية ، من ضواحي دمشق .

(٣) في س الفلك . انظر (Blochet : Op. cit. P. 418) حيث عدل هذا الاسم ، وترجم إلى (Falak-ad-Din) .

(٤) أنيف ما بين القوسين بعد مهاجة أبي الفداء (المختصر في أخبار البعير ص ١١٥ ، في Rec. Hist. Or I .

مصر والشام عشرة آلاف ، نجدة الخليفة ؛ وأن يكون مقدم الساكر الناصر داور ؛ والأبصارف عما حضر من المال شيء ، بل يباد بكماله إلى خزانة الخليفة . فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الميخاوى ، وعاد الدين ابن موصلك ، وأن يكونا مع الناصر [داود] فى خدمته . فاستخدم [الناصر] السكر ؛ وسار إلى بغداد ، وم نحو ثلاثة آلاف فارس .

وشرع الكامل يتجهز لأخذ حلب ، فخاف المجاهد صاحب حمص ، وبث ابنه [المنصور^(١)] إبراهيم [فنقرر الأمر على أن يحمل [المجاهد] كل سنة لذلك الكامل ألفى درهم ، ففعا عنه .

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام ، فدخل فى ابتدائه إلى الحمام ، وصب على رأسه الماء الحار . فاندفعت المواد إلى معدته ، فقوم وعرضت له حمى ، فنهاه الأطباء عن القيء ، وحذروه منه . فاتفق أنه تقياً (١٧٠) لوفته ، فى آخر نهار الأربعاء حادى عشرى شهر رجب ، بقاعة النفذة من قلعة دمشق ، فدفن بها بكرة النذ ، وعمره نحو من ستين سنة ؛ وذلك بعد موت أخيه الأشرف بنحو ستة أشهر . فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحد^(٢) وسبعين يوماً ؛ ومدة مملكته بمصر ، بعد موت أبيه عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوماً - وقيل وخمسة وأربعين يوماً - ، و [كانت] فى أيام أبيه نحوها . فحكم مصر قريبا من أربعين سنة ؛ ومولده فى الخامس والعشرين من ربيع الأول ، سنة ست وسبعين وخمسمائة .

وكان يحب أهل العلم ، ويؤثر مجالستهم ؛ وشغف بسماع الحديث النبوى ، وحدث بالإجازة من أبى محمد بن برى ، وأبى القاسم البوصيرى ، وعدة من المصريين ، وغيرهم . وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية ؛ وبقي له دار الحديث الكاملية^(٣) بالقاهرة ، وجعل عليها أوقافا .

(١) أخيب ما بين القوسين بمد مراجعة (Lane-Poole : Saladin. Table II. in pocket) . هذا وفى أبى القداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١١٤ ، فى ١١٤) أن المجاهد أرسل نساءه إلى الملك الكامل ، ليشفن له عنده " فدفن على الملك الكامل ، فلم يفت إلى ذلك " .
(٢) فى ص احد .

(٣) كانت تلك المدرسة ، حسبا فى القرى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٥) أول بيت للحديث بالقاهرة ، وفيها يقول : " هذه المدرسة بخط بين التصرين من القاهرة ، وتعرف بدار =

وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يجتمع بها ، فن أجاب عنها قَدَّمه وحظي عنده . و [كانت] تبيت عنده بالقلمة جماعة من أهل العلم : كالجلال البني النحوي ، والفتية عبد الظاهر ، وابن دحية ، والأمير صلاح الدين الإربلي — وكان أحد الفضلاء — فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ، ليسامروه ^(١) . فنفتت العلوم والآداب عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدائرة . فمن قصده التاج بن الأرموي ، وأفضل الدين الطنجي ، والقاضي الشريف شمس الدين الأرموي ، فاضى المسكر ؛ وهؤلاء أئمة وقتهم في المقول والمقول .

وكان مهيباً ^(٢) ، حازماً شديد الآراء ، حسن التدبير لماليكه ، عفيفاً عن الدماء . وبلغ من مهابته أن الرمل — فيما بين العريش ومصر — كان يمر فيه الواحد ، بالذهب الكثير والأحمال [من] الثياب ، من غير خوف . ومُرق مرة فيه بساط ، فأحضر [الكامل] العربان الذين يخفرون الطريق ، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه . فبذلوا عوضه شيئاً كثيراً ، وهو يأبى إلا إحضار السارق ، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله ، فلم يجدوا بداً من إحضار السارق والبساط .

وكان يباشر أمور الملك نفسه ، من غير اعتماد على وزير ولا غيره . واستوزر أولاً صاحب صفى الدين بن شكر ، ست سنين ، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات ،

== الحديث الكاسية ، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك الناصر أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان ، في سنة اثنين وعشرين وستة . وهي ثاني دار عملت للحديث ، فإن أول من بي دارا [للحديث] على وجه الأرض الملك الناصر نور الدين محمود بن زنكي بدمشق . ثم بي الكامل هذه الدار ، ووقفها على المتتابين بالحديث النبوي ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية . ووقف عليها الربيع الذي بجوارها ، على باب الخرش ، وجمد إلى الحرب المتقابل للجانب الأخر . وهذا الربيع من إنشاء الملك الكامل ، وكان موسمه من حلة القصر العربي ، ثم صار موسماً يسكنه الفقهاء . وكان موضع المدرسة سوطا الرقيق ، وداراً تعرف بابن كستول . وأول من ولي تدريس الكاسية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم الحافظ عبد العظيم المنذري ، ثم الرشيد الصلار . وما برحت بيد أعيان الفقهاء ، إلى أن كانت الحوادث والحزن ، منذ سنة ست وثمانمائة ، فتلاشت كما تلاشى غيرها ، وولي تدريسها صي ، لا يشارك الأئمة إلا بالصورة ، ولا يجتاز من الهيئة إلا بالطلق ؛ واستمر فيها دهرها لا يدرس بها ، حتى نبت ، أو كادت تنسى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

(١) قس لي سامروه . (٢) قس لي سهايا .

وكان الأمير خسر الدين عثمان الأستاذار يتردد إليه في الأشغال . فلما مات الصاحب [صفى الدين] لم يستوزر [الكامل] بمده أحدًا ، بل كان يستعاض من مختار في تدبير الأشغال (٧٠ ب) : فأقام^(١) معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة ، وسماه نائب الوزارة ؛ وصار وصرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفى الدين ، وصرة جمال الدين بن البورى . وصار يباشر أمور الدولة بنفسه ، ويُحضر عنده الدواوين ، فيحافقهم ويحاسبهم . وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور ، ورتب في كل جسر من الأسهاء من يتولاه ، ويجمع الرجال لسله . ثم يشرف على الجسور بعد ذلك ، ففى اختل جسر عاقب متولاه أشدَّ المقوبة ؛ فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة زائدة .

وأخرج [الكامل] من زكوات الأموال ، التى كانت تُجْبَى ، سهمى الفقراء والمساكين ، وجعلها مصروفين في مصارفها ، ورتب عليهما جامكيات الفقهاء والفقراء والصلحاء . و [كان] يحمل في كل ليلة جمعة مجلساً لأهل العلم عنده ، ويجلس معهم للباحثة . وكان كثير السياسة ، وأقام [فى] كل^(٢) طريق خفراء تحفظ المسافرين . إلا أنه كان مُفرى بجمع المال ، مجتهداً في تحصيله : وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق ، لم تكن في أيام من تقدمه . وله شعر ، منه قوله :

إذا تحققتُ ما عند صاحبكم من النرام فذاك القدر يكفيه
أتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد ، من قصيدة عند فتح دمياط : —

هو الكامل اللوى الذى إن ذكرته فيا طرب الدنيا ويا فرح المصر
به ارتجعت دمياط قهرا من العدى وطهرها بالسيف والملة الطهر
لأن الله من ملك إذا جاد أو سطا فناهيك من عرف وتاهيك من نكر
يقتر عنه اللح من كل مادح ولو جاء بالشمس للنيرة والبدر

(١) فى س « وأقام » .

(٢) هذا اللفظ مكرر فى س .

وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه مأكابر دولته وأعيانها، وهم الأمير نحر الدين يوسف، وعماد الدين عمر، وكال الدين أحمد، ومعين الدين حسن. وكان نحر الدين [قد] ترك لبس العمامة، وليس الشرابوش والقباء، وندم السلطان. وكان فاضلاً أدبياً، يشارك في فنون، وإخوته لم فضائل، وإليهم مشيخة الخلفاء الصلاحية سعيد السعداء، وتدرّس المدرسة^(١) الناصرية، بجوار قبر الشافعي من القرافة، وتدرّس المشهد الحسيني بالقاهرة. وما منهم إلا من تقدّم على الجيوش، وبأثر الحرب. وأرضعت أمهم — [وهي] ابنة القاضي شهاب الدين ابن عصرون — الملك الكامل، فصاروا إخوته من الرضاع.

فلما مات السلطان [الكامل] اتفق أولاد الشيخ، والأمير سيف الدين علي بن قلاج، وأخوه الأمير عماد الدين، والملك الناصر داود، وأرباب الدولة، على تخليف الأجناد للملك المادل أبي بكر بن الملك الكامل — وهو يومئذ مختلف أباه بقلمة الجبل — على ديار مصر؛ وأن يرُتب الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن المادل أبي بكر بن أيوب، في نيابة دمشق. وكتبوا ذلك [الأمر الثاني] عن الناصر داود، وحلفوا [على ذلك] في يوم الخميس ثاني عشر رجب. وبشوا الأمير نور الدين علي بن (١٧١) الأمير نحر الدين عثمان الاستادار إلى الناصر داود، فأخرجوه من دمشق إلى الكرك، واستقر الجواد بدمشق، نائباً لأبن عمه الملك المادل. وسار المسكر من دمشق إلى مصر، وتأخر بدمشق أمراء [عدة] — في جمع من عسكر مصر وممالك الأشرف — لحفظها، ومقدّمهم عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ. فبذل الجواد الأموال، وطمع في الاستبداد بملك دمشق، وأزم الخليفة بذكره في الخطبة بعد المادل.

(١) المدرسة الناصرية أول مدرسة بديار مصر، أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، سنة ٥٦٦ هـ. برسم الفقهاء الشافعية، وكان يحتشد يتولى وزارة مصر للخليفة الماسد العاطلي، وأول من ولي التدريس بها ابن زين التجار، فمُرّت به. ثم عرفت بالمدرسة الصربية، نسبة إلى الصريف النافذ شمس الدين الأيوبي، فمُسى المسكر، وكان قد درس بها أيضاً. واشتهرت بهذه التسمية الثانية إلى زمن القرظي، أي حتى الترت السبع المجرى. (القرظي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

كُلَّ طبع القسم الأول من الجزء الأول
من كتاب "السلوك القرينى" بمطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر فى يوم الخميس ٢٢
صفر سنة ١٣٧٦ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٦)



